



مجلة

مجمع اللغة العربية بمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

مجلة محكمة فصلية

ذو القعدة ١٤٣٣ هـ

تشرين الأول ٢٠١٢ م



# مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

المدير المسؤول: الدكتور مروان المحاسني، رئيس المجمع

## بجنته المجلة

الدكتور محمود السيّد «رئيس التحرير»

الدكتور عبد الله واثق شهيد	الدكتور مكي الحسني الجزائري
الدكتور مازن المبارك	الدكتور ممدوح خسارة
الدكتور محمد محفل	الدكتور عيسى العاكوب
الدكتور عبد الإله نبهان	الدكتور هاني رزق
الدكتور أحمد قدور	الدكتور محمد سعيد الصفدي

أمينة المجلة: ريم الملاح

## أغراض المجلة:

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية، وأبرزها: المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

## خطة المجلة وشروط النشر فيها:

- أن يُرفق الكاتب بحجته بالسيرة الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني، مع تعهد بأن البحث غير مستل من أطروحة جامعية، وغير منشور من قبل، ولم يُرسل إلى جهة أخرى.
- ألا يقلّ البحث عن عشر صفحات وألا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة، وعدد الكلمات في الصفحة الواحدة لا يزيد عن (٢٠٠) كلمة. أما المقالات فيُقبل منها ما يقلّ عن عشر صفحات.
- أن يخلو البحث من أي إساءة إلى الكتاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.
- أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة، وأن تشفع بقرص حاسوبي ليزري مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- أن يلتزم الباحث المنهج العلمي في كتابة المراجع في متن البحث وحواشيه، وأن يضع في آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع، مع ذكر اسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم السري.
- ترتّب البحوث والمقالات وفق اعتبارات فنية.
- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- تُعطى الحواشي أرقامًا متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته. وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها.
- توضع الكلمات العربية (أو المعربة) قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو: تقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).
- من الضروري أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ....
- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان:

العنوان البريدي: دمشق ص.ب ٣٢٧. البريد الإلكتروني: [E-mail: mla@net.sy](mailto:mla@net.sy)

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشبكة (الإنترنت): [www.arabacademy.gov.sy](http://www.arabacademy.gov.sy)

# فهرسُ الجُزءِ الرَّابِعِ من المجلد السَّابع والثَّمانينَ

## البُحوث والدراسات

- ٩٤٣ د. محمود السيد مشكلات اللغة العربية
- ٩٦٩ د. ممدوح خسارة تجديد الدرس الصرفي - بناء (فَعْلَن) وجواز تقييسه
- ٩٩٣ د. أنور الخطيب أتنيات نباتية عربية (أيتنوبوتاني Ethnobotany)
- ١٠٢٥ د. محمد الأمين بو علي رسالة ابن كمال باشا في بيان أن صاحب علم المعاني يشارك اللغوي في البحث عن مفردات الألفاظ
- ١٠٤٣ د. سمر ديوب دراما الحركة والثبات في نونية ابن مقبل
- ١٠٧١ د. محمد رضوان الداية الكيواني الدمشقي أحمد بن الحسين
- ١٠٩٧ د. عبد البديع النيرباني شهادة العروض على مسائل في علم الأصوات

## التَّعريف والتَّقد

- ١١٢٣ د. مازن المبارك تعريف بكتاب: «القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية» لابن طولون
- ١١٢٥ د. عبد الإله نبهان معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة
- ١١٣٥ د. إبراهيم عطية قراءة في كتاب المدارس اللسانية

## المقالات والآراء

- ١١٤٩ د. مكّي الحسني (( السَّوء و السُّوء ))  
١١٥٥ د. محمود الحسن قراءة الشعر وأثرها في الاستقرار النفسي

## أبناءً مجمعيّة وثقافيّة

- ١١٧٧ من قرارات مجمع اللغة العربية في الألفاظ والأساليب عامي ٢٠٠٩-٢٠١٠م  
١١٩٨ الكتب والمجلات المهداة إلى مكتبة المجمع  
في الربعين (٣ و ٤) من عام ٢٠١٢م  
١٢٠١ فهرس المجلد السابع والثمانين



البحوث والدراسات





## مشكلات اللغة العربية

الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد (\*)

نحاول في هذا البحث الموجز أن نشير إلى النظرة المعاصرة إلى اللغة على أنها منظومة، وإلى تبيان المشكلات التي تواجه اللغة العربية في ضوء المفهوم المنظومي الشامل للغة.

### أولاً - اللغة منظومة ووحدة متكاملة

من الاتجاهات التربوية المعاصرة النظر إلى اللغة على أنها نظام أو منظومة System، وأن النظام يتكون من عناصر أو مكونات، وأن هذه المكونات تتبادل التأثير والتأثر فيما بينها، حيث إن كلاً منها يؤثر في غيره ويتأثر به، وأن ثمة عوامل خارجية تؤثر في هذه المكونات الداخلية.

ولقد استعارت التربية المعاصرة هذا المصطلح «نظام» من علوم الحياة (البيولوجيا) التي تهتم بدراسة النظم أو الأجهزة التي يتكون منها جسم الكائن الحي، ويطلق على كل منها اسم «جهاز» أو «نظام»، فهناك النظام الهضمي، والنظام التنفسي، والنظام العصبي.. إلخ.

وفي دراسة كل نظام يركز الاهتمام على أمور ثلاثة أساسية وهي:

---

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ونائب رئيسه.

- ١- مكونات هذا النظام.
- ٢- العلاقات الوطيدة التي تربط بين هذه المكونات.
- ٣- العوامل الخارجية التي تؤثر في هذا النظام، وتربطه بغيره من النظم الأخرى في إطار نظام أكثر شمولاً واتساعاً.
- وفي ضوء هذا المفهوم المنظومي أوضحت فروع اللغة أجزاء لكل، تتكامل لتؤدي وظيفة التواصل اللغوي، ويعد النظر إلى كل فرع على أنه غاية في حد ذاته، مشكلة من مشكلات اللغة العربية. وإذا كانت المهارات اللغوية تتمثل في المحادثة والاستماع والقراءة والكتابة، فإن النظرة النظامية ترى أن ثمة تكاملاً بين مهارات الإرسال (المحادثة والكتابة) ومهارات الاستقبال (الاستماع والقراءة).
- ولقد أثبتت الأبحاث أن مهارات الاستماع والمحادثة ذات أهمية قصوى في البدء بتعليم القراءة، كما أن هنالك صلة كبيرة بين الكفاية في الاستماع والمحادثة، والكفاية في تعليم القراءة.
- وبالمقابل تتطلب مهارات الاستماع والمحادثة معرفة معاني المفردات كما تتطلب الكتابة معرفة مبادئ الإملاء وجودة الخط، وما المهارات اللغوية المتمثلة في المحادثة والاستماع والقراءة والكتابة إلا وسائل لغاية هامة هي التواصل اللغوي.
- وثمة أبحاث أثبتت العلاقة القوية بين نمو الدقة في المحادثة والتحصيل القرائي المتنوع، الذي يعطي بدوره مددًا قويًا للقدرة على المحادثة، كما أن ثمة علاقة بين المحادثة والاستماع والكتابة فيما بعد، إذ إن المحادثة تعد أساساً فعالاً في إغناء الكتابة، وغالباً ما يكون المستمع الجيد كاتباً جيداً لأنه يستفيد من فكر الآخرين وآرائهم، فيحتفظ بها وتؤثر في ثقافته وفي أسلوبه وكتابته.

وهذه النظرة الكلية إلى اللغة تتطلب تحقيق التوازن والانسجام بين مهاراتها وفروعها، إذ من الخطأ أن يكون الاهتمام منصباً على جانب واحد على أنه غاية، وعلى حساب بقية الجوانب، ذلك لأن فروع العربية ترتبط فيما بينها ارتباطاً عضوياً، فالقواعد الإملائية وسيلة لصحة الكتابة من الخطأ، والقواعد النحوية وسيلة لتقويم القلم واللسان من الاعوجاج والزلل، والقراءة والنصوص وسيلتان لزيادة الثروة اللفظية ومدّ القارئ بالفكر والمعاني والحس الجمالي والقيم والاتجاهات المستمدة من تفاعله مع المقروء، ومن ثمّ الإفادة منه وتوظيفه في مواقف التعبير والتواصل اللغوي شفاهياً كان أو كتابياً.

وإذا كان غياب المفهوم المنطومي للغة يعد مشكلة فإن هذا الغياب لم يكن مقتصرًا على اللغة في جملتها، وإنما كان يتجلى في بنية اللغة الداخلية، فإذا كانت اللغة نظامًا فإن النحو أيضًا هو نظام فرعي من ضمن الأنظمة اللغوية، وكان مفهوم القواعد النحوية يضيق أحياناً ليقصر على ضبط أواخر الكلام، ويتسع أحياناً أخرى ليشمل بنية الكلمة مما نطلق عليه الضبط. أما المفهوم المنطومي الحديث للنحو فلا يقتصر على ضبط أواخر الكلمات والبنية الداخلية للكلمة، وما يطرأ عليها من تغييرات في أحوالها كافة، وإنما تجاوز هذا المفهوم ليشتمل على التراكيب اللغوية وبنى الجمل الفرعية والأساسية، والأصوات والمعاني، فهذه كلها أجزاء من مكونات النحو أيضًا.

وتعدُّ ضبابية المفاهيم في النظرة إلى اللغة على أنها نظام ومكوناتها من أنظمة فرعية، مشكلةً أساسية من مشكلات اللغة العربية، إلا أن تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣ أشار إلى أن مشكلات اللغة العربية في وقتنا الراهن تتجلى في:

١- عدم توفر سياسة لغوية على المستوى القومي.

٢- ضمور سلطات المجامع اللغوية وقلة مواردها وضعف التنسيق بينها.

٣- تعثر عملية التعريب والقصور في حركات الترجمة في الميادين العلمية والإنسانية الحديثة.

٤- جمود التنظير اللغوي.

٥- قصور الوعي بدور اللغة في تنمية المجتمع الحديث.

٦- مشكلات ثنائية اللغة (الفصحى والعامية).

٧- غياب الرؤية الواضحة لإصلاح اللغة.

وأشار التقرير أيضاً إلى أن المشكلات السابقة تؤدي إلى استبعاد الثقافة العربية الذي يؤدي بدوره إلى استبعاد في كل مناحي الحياة المختلفة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً<sup>(١)</sup>. وفي مشروع إنقاذ اللغة العربية الذي اعتمده مؤسسة الفكر العربي رصد للتحديات التي تواجهها اللغة العربية، وتبين أن هذه التحديات تتجلى في:

١- سيطرة اللهجات المتداولة (العامية) في واقعنا العربي.

٢- عدم وجود آليات فعالة لنشر الفصحى ودعمها.

٣- انحصار استخدام الفصيحة في قلة من النخبة المتخصصة التي تهتم بها من أجل المعيشة على أنها وظيفة.

٤- عدم وجود توحيد للمقررات ومحتوياتها في البلاد العربية، واجتهاد كل قطر عربي على حدة بوضع هذه المقررات.

٥- تدني الإعداد الأكاديمي والمهني لمعلمي اللغة العربية ومعلماتها، وبخاصة في التعليم العام، والاكتفاء بإعدادهم تخصصاً لا تأهيلاً مهنيّاً.

(١) تقرير التنمية الإنسانية العربية - ٢٠٠٣.

٦- النظر إلى المتحدث بالفصحى أحياناً بشيء من الريبة، وأحياناً بالاستخفاف.<sup>(٢)</sup>  
 بيد أن المشكلات التي أشار إليها كل من تقرير التنمية الإنسانية العربية ومشروع  
 إنقاذ اللغة العربية ليست إلا جوانب من المشكلات التي تواجهها لغتنا العربية في حياتنا  
 المعاصرة، فما المشكلات المعاصرة التي تعانيها لغتنا الأم (العربية الفصيحة)؟.

### ثانياً- مشكلات اللغة العربية

إذا ألقينا نظرة على مشكلات اللغة العربية في ضوء المفهوم المنظومي الشامل فإننا  
 نلاحظ أن أغلب هذه المشكلات تتمثل في أربعة أبعاد هي: البعد الحضاري، والبعد  
 السياسي، والبعد التربوي، والبعد الاجتماعي. وفيما يلي فكرة موجزة عن كل بعد من  
 هذه الأبعاد.

١- المشكلات ذات البعد الحضاري: لما كانت اللغة ترافق الأحياء الذين يتكلمونها،  
 تقوى بقوتهم وتضعف بضعفهم، وكان مجتمعنا العربي يسعى إلى التوجه نحو مجتمع  
 المعرفة، لأن ثمة فجوة رقمية بينه وبين هذا المجتمع الذي تسيطر عليه الأمم القوية،  
 انطلاقاً من أن المعرفة قوة، كانت حالة الانتقال من المجتمع التقليدي إلى مجتمع المعرفة  
 باستثمار تقانة المعلومات والاتصالات جامدة في مكانها، ذلك لأن الخطوات التي نفذتها  
 مؤسساتنا لاستثمار التقانات الحديثة اعتمدت أسلوب الأوامر من دون الأخذ بالحسبان  
 موضوع الجمود الذهني والانتماء إلى الذهنية التقليدية، فبقي القرار مقحماً على الواقع،  
 وهو ما شكّل نوعاً من مقاومة التغيير بردة فعل لا إرادية، فاخفت المبادرة، وضاعت  
 ملامح الإبداع، وتحول الاستثمار إلى حالة استهلاكية.

(٢) مؤسسة الفكر العربي - مشروع إنقاذ اللغة العربية - بيروت ٢٠٠٣.

وتجدر الإشارة إلى أن مهمة الانتقال إلى مجتمع المعرفة ألفت على عاتق المهندسين والفنيين، متجاهلة الأبعاد الاجتماعية والنفسية والتأهيلية، فتحولت إلى مجرد حالة تقنية لا غير، مع أن تغيير الذهنية التقليدية يتطلب منهجاً متكاملًا لا يقتصر على التقنيين.

إن مجتمعنا العربي في حالة جُوع حقيقي للتغيير الذي يضمن الانتقال إلى تحقيق نتائج أفضل، واستثمار الموارد بالشكل الأمثل، وهذا يتطلب وجود منهجية متكاملة لكسر حالة الجمود، إذ لا يمكن الانتقال إلى مجتمع المعرفة ما لم يكن ثمة خروج من حالة التوقوع والجمود إلى التحلي بفكر عصر المعلومات ومجتمع المعرفة، ويتسم هذا الفكر بأنه: (٣)

١- فكر غير خطي: الفكر الخطي هو ذلك الفكر الذي أفرزته طبيعة تقانة الطباعة حيث يسير في هيئة سلسلة متدرجة، في حين أن فكر عصر المعلومات له طابع غير خطي بما له من إمكانات مثل حلقات التشعب النصي التي تسمح بالتنقل الحر، والقفز فوق الخطية من أي موضع في النص وإليه.

٢- فكر غير ثنائي: الفكرة الثنائي هو فكر بين ثنائيات مثل الذاتية والموضوعية، العلوم والفنون، المثالية والمادية، في حين أن فكر عصر المعلومات هو فكر يجمع مسارات عديدة ومتنوعة معاً، ويحطم الثنائيات الراسخة.

٣- فكر غير تخصصي: فمازلنا- نحن العرب- أسرى التخصص، في حين أن عصر المعلومات يدعونا إلى عبور التخصص والقفز فوقه، وذلك بغية تحطيم الحواجز المعرفية، وذلك يتطلب مستوى أعلى من التجريد، والدعوة إلى تلاقي التخصصات وتلاقحها.

(٣) الدكتور نبيل علي - الإنترنت ونقل المعرفة في الوطن العربي - المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي بدمشق - حزيران (يونيو) - ٢٠٠٩.

وإذا كانت ثمة هوة بين المجتمع العربي ومجتمع المعرفة فإن ذلك أثر سلباً على واقع اللغة العربية، مادامت مرافقة لأبناء المجتمع الذي يتكلمها نفسه، فألفينا أن من مشكلات اللغة العربية ذات البعد الحضاري:

#### أ- تعدد مواصفات محارف اللغة العربية:

وهو أحد التحديات التي تواجهها اللغة العربية في ميدان المعلوماتية واستخدامها على الشبكة (الإنترنت)، إذ إن اللغة العربية تأتي في المرتبة الخامسة في العالم من حيث عدد المتكلمين الأصليين بها أو الأصليين والثانويين، فهي تجيء قبل الفرنسية والألمانية واليابانية والإيطالية، ومع ذلك فقد اعتمدت مواصفات محارف هذه اللغات، وفرضت رسمياً، ولم يتحقق ذلك عربياً، وهذه الحال هي نفسها في كل المواصفات الأخرى لاستعمال اللغة العربية في جميع التطبيقات المكتوبة والمحكية.<sup>(٤)</sup>

وإن تعدد المواصفات يؤدي إلى إشكالات في الشبكة (الإنترنت) وفي البحث في قواعد المعطيات وفي الإعلام، ويسبب العديد من الإشكالات في مجالات تعرف الحروف العربية، ولدى المدقق الإملائي، والمدقق الصرفي، والمدقق النحوي، وفي التحليل والتركيب، وتوليد النص الآلي، والترجمة بين اللغات، وتعرف الكلام وتركيبه، والفهم الآلي للنص.

#### ب- ضآلة نسبة حضور العربية على الشبكة (الإنترنت):

لقد صارت مساحة المحتوى على الشبكة (الإنترنت) في العالم بحجم هذا العالم وحاجاته، وصارت تشكّل كماً مذهلاً من المعلومات في حقول المعرفة المختلفة من العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية والبحثية وشؤون الاقتصاد والمال والطب والهندسة والسياسة، وهي منظمة في بنوك معلومات ومواقع جامعات وشركات

(٤) الدكتور محمد مراياتي- قضايا راهنة حول اللغة العربية والشبكة- مجمع اللغة العربية

ومراكز بحوث، وأكثرها مصوغ باللغة الإنجليزية، إذ تزيد نسبة هذه اللغة على ٧٠٪. أما العربية فنصيبها ١.٥-٢٪.

ومن الشواهد على ضآلة نسبة حضور العربية على الشبكة أن محتوى الموسوعة العربية الحرة من حيث الحجم لا المضمون يماثل تقريباً ربع محتوى مقابلتها السويدية، علماً بأن متكلمي السويدية لا يزيد على تسعة ملايين في حين أن متكلمي العربية يزيدون على ٣٠٠ مليون. وفي مطلع عام ٢٠٠٩ كان عدد المقالات المنشورة على الموسوعة العربية الحرة ٧٧.٠٠٠ مقال تقريباً، وفي اللغة السويدية ٢٩٠.٠٠٠ مقال.<sup>(٥)</sup>

وثمة إحصاءات تشير إلى أن عدد صفحات (الويب) المفهرسة من قبل محركات البحث يقدر بنحو ٧٠ مليار صفحة، ويقدر عدد صفحات (ويب العربية) المفهرسة من قبل محركات البحث بنحو ٧٥٠ مليون صفحة، فتكون نسبة عدد صفحات (ويب العربية) إلى إجمالي صفحات (الويب) نحو ١.٠٧٪ في منتصف عام ٢٠٠٩.<sup>(٦)</sup>

ومع أن اللغة الأم تشكل أهم أداة في تداول المعلومات وتوليد المعارف فإن الخطر على اللغة العربية يأتي من تهميشها تدريجياً على أنها لغة عمل وتواصل، ومن ضعف الأدوات المعلوماتية الأساسية لمعالجة اللغة العربية، وما هو متوفر منها حالياً لا يلبي الحاجات.<sup>(٧)</sup>

(٥) الدكتور نور الدين شيخ عبيد- المحتوى الرقمي العربي، صورة لحقيقة- المؤتمر الوطني

الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي- دمشق- حزيران «يونيو» ٢٠٠٩.

(٦) الدكتور عبد القادر الكاملي- المحتوى الرقمي العربي- النمو والأهمية الاقتصادية- المؤتمر

الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي- دمشق- حزيران «يونيو» ٢٠٠٩.

(٧) الدكتور منصور فرح- اللغة العربية على الإنترنت- منظور إقليمي- المؤتمر الوطني الأول

لصناعة المحتوى الرقمي العربي- دمشق- حزيران «يونيو» ٢٠٠٩.



وتجدر الإشارة إلى أن صناعة المحتوى في الوطن العربي ليس سببه عدم توفر الموارد المادية أو قلة المواهب أو عدم توفر الأسواق، بل يرجع التخلف إلى عدم وجود السياسات والرؤية المستقبلية وضعف صناعة المحتوى، وضعف جهود البحث والتطوير في استخدام اللغة العربية، وتطوير أدواتها الحاسوبية، وضعف البيئة التمكينية لمساهمة القطاع الخاص في صناعة المحتوى، وضمور العرض، وضعف الطلب.

ومن الملاحظ أن ثمة قصورًا في توظيف التقنية واستنبات العلم عربيًا، وفي إبعاد اللغة العربية عن حركة التطور والتقدم العلمي في الجامعات العربية التي تقتصر في كثير منها على الآداب والعلوم الإنسانية، مما أدى إلى قلة المراجع ذات القيمة الأكاديمية في العلوم الدقيقة والطبية والتقانات التي تقود حداثة اليوم، وما بعد حداثة التي تصدرها اليوم تقانة الاتصالات والمعلوماتية، والتقانة الحيوية، والهندسة الجينية، والاكتشافات المتلاحقة للفضاء.

### ج- البطء في مواكبة المستجدات العالمية والتفجر المعرفي:

ومن مشكلات اللغة العربية في هذا المجال أن ثمة تفجرًا معرفيًا في العالم المعاصر، وأن ثمة تقدمًا هائلًا في ميدان التقنية (التكنولوجيا)، ووفرة في المصطلحات، وظهور منظمات علمية متعددة وشركات متعددة الجنسيات، إلا أن الواقع العربي يدل دلالة واضحة على القصور في مواكبة المستجدات على النطاق العالمي، والمصطلحات المتفجرة في مختلف الميادين.

### د- القصور في توظيف التراث:

إذا كان ثمة قصور في الواقع العربي في مواكبة المستجدات على النطاق العالمي والمصطلحات المتفجرة في مختلف الميادين فإن ثمة قصورًا هو الآخر مع التراث العربي الواسع بميادينه المختلفة وعلومه المتفاوتة، إذ إن ثمة فتورًا واضحًا بين تلك العلوم

والميادين وأمثالها في العصر الحاضر، ففي التراث اللغوي الذي خلفه لنا سلفنا زاءً وظيفي حي يوظف في حياتنا المعاصرة وتوجهنا المستقبلي.

والأمم الحية توظف الإيجابي من ماضيها في بناء حاضرها، ولنا في ماضيها اللغوي كنوز ما تزال نموذجاً في المنحى الوظيفي كالضروري في صناعة النحو لابن رشد، وعلم الأصوات عند سيويوه وابن جنبي، والبنية اللغوية عند الجرجاني، وعلوم اللسان عند البيروني وابن خلدون، وآلية اكتساب اللغة عند ابن خلدون... إلخ.

#### ه- البطء في حركة الترجمة إلى العربية ومنها إلى اللغات الأخرى:

وإذا كنا نعتر في ماضيها بألق الترجمة إلى اللغة العربية إبان العصر العباسي، فإن أمتنا العربية في واقعها الحالي تعاني مشكلة حادة في عملية الترجمة، إذ تشير إحصاءات اليونسكو المتعلقة بمسار الترجمة في العالم إلى أن ما نقل إلى اللغة العربية خلال العقود الثلاثة الماضية لا يزيد على ما نقل إلى اللغة الليتوانية في المدة نفسها، وعدد سكانها لا يتجاوز أربعة ملايين من الناطقين بها، مع أن الناطقين بالعربية يزيد على ٣٠٠ مليون نسمة أي ٥٪ من سكان البشرية، ويشغل الوطن العربي ١٠٪ من مساحة كوكب الأرض.

#### و- التباين بين شريحتين في المجتمع العربي تجاه التعريب:

من الملاحظ أن ثمة خللاً بين مجموعتين في المجتمع العربي الواحد وفي البلد الواحد، يقال عن الأولى إنها في غربة معرفية، ويقال عن الثانية إنها في غربة عن الانتماء، وإذا ظلت كل مجموعة متمسكة بمنهجها فإن لذلك تأثيراً سلبياً في اللغة العربية، إذ لابد من تعزيز الانتماء إلى لغتنا الأم (العربية الفصيحة)، رمز كياننا القومي، وعنوان شخصيتنا العربية، ولغة قرآنا الكريم، وتراثنا الحضاري، وفي الوقت نفسه لابد من الاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى والتمكن من لغاتها الحية، لأن في ذلك إغناء للغة العربية.

ز- الجمود والتشدد اللغوي:

من متطلبات العصر الذي نحيا في ظلاله أن يتسم المرء بالمرونة في التفكير. والذي نلاحظه على نطاق الساحة القومية أن نفرًا من اللغويين يظنون أن في تشدهم اللغوي حماية للغة، فلا يقبلون بأي تيسير، ويحولون دون أي تجديد، وينظرون إلى التراث بكل ما فيه نظرة القداسة. وهم بعملهم هذا ينفرون الناس من اللغة من كثرة ما يقولون هذا خطأ، فبات الناس يخافون من النطق على حدّ تعبير المجمع المرحوم الدكتور محمد كامل حسين.

وفي دراسة علمية قمتُ بها من قبل كنت أسأل المتخصصين في اللغة:

ما المباحث النحوية الأساسية التي ترى أن على المثقف العادي أن يتمكن منها حتى يقرأ فتكون قراءته سليمة، ويستمتع فيفهم ما يستمع إليه، ويعبر شفاهياً وكتابياً، فيكون تعبيره سليماً من الأخطاء؟

فكان أغلب هؤلاء يقول لي: وهل هنالك مباحث في النحو غير أساسية؟ إن جميع ما ورد في النحو من مباحث أساسي ولا يمكن الاستغناء عنه بأي صورة من الصور. وفي تقديري أن مناقشة هؤلاء منطقيًا وواقعيًا لا تجدي، إذ يظنون متشبثين برأيهم و متمسكين به، وهذه مشكلة من مشكلات اللغة العربية ذات البعد الحضاري.

ولا يفهم من قولنا أننا لا ندعو إلى حماية اللغة العربية لا سمح الله، وإنما ندعو إلى التيسير والتسهيل على غرار ما قام به سلفنا من قبل، على ألا يكون في هذا التيسير خروج عن نظام اللغة وقواعدها، وإنما يكون فيه خدمة للغة وانتشارها انتشارًا سهلًا وميسرًا وسليماً في الوقت نفسه.

٢- المشكلات ذات البعد السياسي: ويجيء في مقدمة هذه المشكلات غياب

السياسة اللغوية على الصعيدين الوطني والقومي، مع أن دساتير الدول العربية تنص

على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية المعتمدة في الدولة، إلا أن هناك هوة بين ما تنص عليه الدساتير وما يطبق على أرض الواقع.

وأدى غياب السياسة اللغوية إلى غياب التخطيط اللغوي الذي يوضع في ضوء السياسة اللغوية، ويتحمل السياسيون المسؤولون في الدولة من رؤساء وزعماء أحزاب مسؤولية التهاون في وضع السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي في ضوءها، إذ لم يكونوا قدوة أمام شعوبهم في استعمال اللغة العربية السليمة في خطبهم وبياناتهم، ولا في الحرص على حماية العربية وإصدار القوانين المؤدية إلى الحفاظ عليها والتمكين لها.

وطالما عقد المعنيون من الباحثين والدارسين وأعضاء مجامع اللغة العربية ندوات ومؤتمرات لمعالجة شؤون اللغة وقضاياها ومشكلاتها، وطالما كانت ثمة بحوث جادة وهادفة، وتوصيات ومقترحات هامة، توصل إليها هؤلاء المعنيون، ومع ذلك كله لم تنفذ تلك التوصيات الصريحة في تحديدها المهام والتنفيذ، ذلك لأن «تنفيذ القرارات المتعلقة بالتخطيط اللغوي ليس بيد العلماء والباحثين، وإنما هو بيد من يمتلكون الحل والعقد، فهو خاضع لإرادتهم، ومن يمتلكون الحل والعقد في أمتنا قليلاً ما يدركون أهمية ما ينظر إليه اللغويون والتربويون، وما يخططون من أجله، ويوصون بتنفيذه»<sup>(٨)</sup>.

وإن لغياب السياسة اللغوية على الصعيد القومي آثاراً سلبية على مسيرة التمكين للغة العربية، وهذا ما أدى إلى الفوضى في المصطلحات، إذ كثرت التسميات للمسمى

(٨) الدكتور محمد أحمد المعتوق - التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها والتعليم بها في دول الخليج العربي - المملكة العربية السعودية أنموذجاً - اللغة العربية والتعليم، رؤية مستقبلية للتطوير - مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية - أبو ظبي ٢٠٠٨ ص ٣٢٨.

الواحد، كما أدى إلى ضعف التنسيق بين المؤسسات اللغوية والجهات المعنية بالتعريب على النحو الذي نلاحظه في الدول المتقدمة الحريصة على مكانة لغتها في إطار التغيرات العالمية المعاصرة، فها هو ذا القرار السياسي في التخطيط اللغوي في فرنسا يصدر عن اللجنة العليا للغة الفرنسية التابعة لمجلس الوزراء مباشرة، وعن اللجنة العليا للغة الفرنسية تكونت الجمعية الفرنسية لتوحيد المصطلحات، ولجنة المصطلحات التقنية الفرنسية، ومركز دراسات اللغة الفرنسية الحديثة والمعاصرة، وكل هذه المؤسسات تُعنى بقضايا اللغة، وفي مقدمتها قضية المصطلحات، وترشد بعملها السلطة العليا في الدولة بغية اتخاذ القرارات المناسبة.

إن لوجود السياسة اللغوية شأنًا يعيد إلى اللغة العربية المكانة في قلوب أبنائها وأفكارهم، فتكون اللغة مطلبًا أساسيًا للالتحاق بالجامعة والوظائف الحكومية والخاصة، واللغة المستعملة في يد متخذي القرار في الإدارات المختلفة، ولغة رسمية في المؤتمرات والندوات التي تعقد في الوطن العربي، ولغة الإعلام الأولى بمختلف وجوهه.

ووجود السياسة اللغوية يسهّل إصدار القوانين التي تحمي اللغة وتحافظ عليها، ويسهّل مهام البنى الاجتماعية التي ترعى اللغة وتتابع تنفيذ القوانين، وتشرف على التنفيذ، وتوفّر الوسائل الحديثة المناسبة لجعل اللغة العربية قريبة من مستعمليها ودارسيها.

ولما كانت اللغة العربية هي الوطن الروحي لأمتنا العربية، وكان للوطن حدود لا بد من الحفاظ عليها، ومنع الاعتداء عليها، فكذلك للغة حدود لا بد من حمايتها. ولو كانت ثمة سياسة لغوية وقوانين حماية في ضوئها، ما رأينا مزاحمة اللغات الأجنبية للعربية في التعليم العالي حيث تهيمن اللغة الفرنسية في المؤسسات التعليمية في المغرب العربي، وتهيمن اللغة الإنجليزية في دول الخليج العربي، وما رأينا تدريس المواد العلمية حتى في

مرحلة التعليم الأساسي في بعض الدول العربية ولاسيما في المدارس الخاصة يجري باللغة الأجنبية، وتدرّس بعض مقررات كليات الآداب والعلوم الإنسانية يطبّق باللغة الأجنبية في جامعات رسمية في دول الخليج العربي وتستبعد العربية منها، وما رأينا مدارس وجامعات أجنبية على الأرض العربية تتبع في مناهجها وبرامجها جهات أخرى خارج الوطن العربي، ولا صلة له بها، ولا تدرّس فيها جغرافية الوطن العربي، ولا تاريخه وحضارته، وهذا ما يجعل طلاب هذه المدارس يعيشون بقلوب أخرى، وعقول أخرى، وضوائر أخرى، فلا يكادون يحسون بالانتماء الحقيقي لأوطانهم، ولا يعتزّون بتاريخهم ولا بحضارة أمتهم، ولا بهويتهم، لأنهم يدرسون تاريخ أمة أخرى، وحضارة أخرى.

ولو كانت ثمة سياسة لغوية واضحة وتخطيط لغوي في ضوءها ما رأينا مزاحمة العامية للعربية في التعليم والإعلام وفي قطاعات المجتمع الأخرى، وما رأينا أن التمكن من اللغة الإنجليزية أساس للقبول والتدريس والتخاطب الرسمي والنشاطات البحثية في معظم الأقسام العلمية في الجامعات الخليجية، حتى إن أقسام الطب والعلوم الطبية المساندة والعلوم الطبيعية والبحثية، لا يقبل فيها إلا المتفوقون في معرفة الإنجليزية بمختلف مهاراتها. أما مهارات اللغة العربية فلا يكاد يذكر منها شيء لأنها لا تستعمل في هذه الأقسام إلا في حدود ضيقة من التعامل، وفي تدريس قليل من المواد التكميلية المهمشة، وهذا ما يقلل من ممارستها، وما رأينا المواقف السلبية تجاه اللغة العربية تزداد، والفتور في الإقبال عليها تتسع دائرته، في حين أن الإقبال على الإنجليزية التي يبشر التفوق فيها بمستقبل واعد وأحلام جميلة يزداد.

ولو كانت ثمة سياسة لغوية واضحة وقوانين في ضوءها ما رأينا غياب الحوافز لمدرسي اللغة العربية الذين يعينون في مراتب وظيفية أدنى من مراتب نظرائهم من أصحاب التخصصات العلمية، وبمراتب أقل من رواتبهم، وتحجب عنهم فرص

التدريب والتطوير، في حين يميز مدرسو اللغة الإنجليزية عليهم في التوظيف والعطاء والحوافز، وهذا ما يدفع إلى كراهية الوظيفة والنفور منها، وفتور الانتماء إليها في نفوسهم! وما رأينا ظهور نظرة فوقية من ذوي الثقافة الفرنسية إلى الدارسين بالعربية في دول المغرب العربي، ومن ذوي الثقافة الإنجليزية في دول الخليج العربي، وتبدي هذه النظرة بصورة علنية في هذه الدول، وإن كانت تمارس سرا في دول عربية أخرى.

ولو كانت ثمة سياسة لغوية واضحة وقرارات سياسية ملزمة في ضوءها ما رأينا التسبب اللغوي على ألسنة ممثلي الدول العربية في المحافل الدولية عندما يستعملون اللغة الأجنبية في مناقشاتهم ومدخلاتهم وأوراق العمل التي يقدمونها، مع أن لغتهم العربية معتمدة بين اللغات الست في الأمم المتحدة ومنظماتها، وقد خصص اليوم الثامن عشر من كانون الأول (ديسمبر) سنوياً مناسبة للاحتفال باليوم العالمي للغة العربية، وما رأينا الجراءة السلبية لبعض منظمي المؤتمرات على الأرض العربية عندما يستخدمون اللغة الأجنبية في هذه المؤتمرات التي يعالج بعضها قضايا عربية، وهم بعملهم هذا يحقرون أنفسهم وهويتهم وأمتهم في الوقت نفسه، ولا ضير من استعمال اللغتين العربية والأجنبية إذا كان ثمة أجنب يشاركون في أعمال هذه المؤتمرات. أما أن تستبعد العربية، ويقتصر العمل في تلك المؤتمرات على الأرض العربية باللغة الإنجليزية وحدها، أو بالفرنسية وحدها، فهذا ما لا يقبله عاقل متم إلى أمته!

ومن مشكلات اللغة العربية ذات الطابع السياسي ما تتعرض له اللغة العربية على أيدي أرباب العولمة الذين يرومون وأد كل القيم الإيجابية والعوامل الفعالة التي تعمل على تقدم المجتمع العربي، وإيقاظ كل القيم السلبية التي تفتت بنيته. وما دامت العربية توحد بين أبناء الأمة العربية، وفي وحدة العرب قوة لهم، كانت هذه اللغة محطّ سهامهم، فعملوا من قبل على تفتيت هذا الرابط بطريق إحياء العامية من جهة على أن

العامية عامل تفريق، في حين أن الفصيحة عامل توحيد، كما عملوا على وصم العربية بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر، وعملوا من جهة أخرى على محاربة الفصيحة بوسائل أخرى منها (إنشاء الأكاديمية البربرية)، واستعمال الحروف اللاتينية في كتابة الأمازيغية، وكان الهدف تمزيق مجتمعنا العربي في المغرب تمزيقاً لا يقتصر على استعمال اللسان فحسب، بل يمتد إلى العرق، فقد ورد في وثيقة صدرت عام ١٩٧٣ عن الخارجية الفرنسية أن «تاريخ شمال إفريقيا كما يدرّس اليوم كله تزييف وتحريف، ويجب على البربر أن يتحدوا ضد جريمة نكراء اسمها العروبة».<sup>(٩)</sup>

ومن أساليب محاربة العربية الفصيحة ما لجأت إليه فرنسا أيضاً في الحؤول دون أن يقدم أبناء الجالية العربية امتحانات اللغة الثانية في الشهادة الثانوية بالفصيحة، وإنما بإحدى عاميات أقاليم الوطن العربي الأربعة (المغرب العربي - وادي النيل أي مصر والسودان - الخليج العربي - بلاد الشام والعراق)، وما لجأت إليه جامعة هلسنكي عندما استبدلت كرسى الدراسات الإسلامية بالدراسات العربية الإسلامية في سعيها إلى إبعاد العربية من هذا الموقع.

ويسعى أعداء اللغة العربية حالياً إلى استبعادها من بين اللغات الست المعتمدة في الأمم المتحدة بحجة عدم استعمال ممثلي الدول العربية لغتهم في عملهم في المحافل الدولية والمنظمات التابعة للأمم المتحدة، وإنما يستخدمون اللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وينأون عن استعمال العربية، وبحجة عدم دفع الدول العربية لما يترتب عليها من اعتمادات مالية تجاه استعمال العربية، وعدم وجود مترجمين أكفيا لترجمة اللغة الأجنبية إلى العربية، ولنقل العربية إلى اللغات الأجنبية.

(٩) الدكتور عمار الطالبي - وضع اللسان العربي في الجزائر - المؤتمر الأول للأعضاء المراسلين لمجمع اللغة العربية في القاهرة، أبريل (نيسان) ٢٠٠٩.



٣- مشكلات ذات طابع تربوي: وهي مشكلات متعددة جداً، ويمكن إيجازها

فيما يلي:

أ- ضعف إعداد معلمي اللغة العربية: من يلقى نظرة على مستوى إعداد معلمي اللغة العربية خلال العقود الأربعة الأخيرة يجد أن ثمة صيحات تنطلق من هنا وهناك تشير إلى ضعف هذا المستوى وقصوره، وانعكس هذا القصور على مستوى الأداء اللغوي لدى الطلبة أيضاً، ذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ولقد قيل: أعطني معلماً جيداً أعطك طالباً جيداً.

ومن مظاهر قصور إعداد معلمي اللغة العربية ما نلاحظه من أخطاء لغوية يرتكبها معلمو اللغة في المناشط اللغوية التي يؤدونها محادثة وقراءة وكتابة، ولا يقتصر الأمر على الأخطاء اللغوية النحوية في الأداء، وإنما امتد إلى استعمال العامية في العملية التعليمية التعليمية على ألسنة المعلمين كافة، ومنهم معلمو اللغة العربية في مدارس التعليم العام، وفي التعليم الجامعي، وفي مناقشات رسائل الماجستير والدكتوراه وحتى في أقسام اللغة العربية أحياناً ويا للأسف!<sup>(١٠)</sup>

وإذا كان ثمة منهجان في إعداد معلمي العربية على المستوى الجامعي أولهما المنهج التتابعي، وهو أن يدرس الدارسون المواد التخصصية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية مدة أربع سنوات، ثم يعدون تربوياً في كلية التربية لدراسة المواد التربوية خلال عام أو عامين، وثانيهما المنهج التكاملي في الإعداد وهو أن يدرس الدارسون المواد التخصصية إلى جانب المواد التربوية في كليات التربية أو الآداب نفسها مدة أربع سنوات، فإن مخرجات هذين المنهجين ليست في الصورة المرغوب فيها، مع أن نسبة المواد التخصصية

(١٠) للتفصيل يُنظر: الدكتور محمود أحمد السيد- دراسات تربوية- المؤسسة العامة السورية

في المنهج التكاملي تصل إلى ٥٥٪ أحياناً، وتصل نسبة المواد التربوية إلى ٣٠٪ ونسبة المواد الثقافية إلى ١٥٪، إلا أن «الدراسة التخصصية في الكليات وأقسام اللغة العربية تدور حول اللغة وأدبها، ولا تمارس التعامل التطبيقي لا مع اللغة ولا مع أدبها، ولذا يتخرج كثير من معلمي اللغة العربية والمتخصصين فيها، وهم ضعاف، ويقومون بتدريس اللغة، وهم على هذا الضعف، وتكون النتيجة زيادة تدهور المستوى اللغوي لتلاميذ التعليم العام، إضافةً إلى تدنيه في مرحلة التعليم العالي»<sup>(١١)</sup>.

وإذا كان معلمو المواد الأخرى في الدول المتقدمة يساعدون معلمي اللغة على استعمالهم لغتهم الأم سليمةً في العملية التعليمية التعلمية، ويحاسبون طلبتهم على الأخطاء اللغوية التي يرتكبونها، فإن هذا الصنيع لا نجده في واقعنا العربي، وهذا مما يزيد الطين بلةً، عندما تحاول أن تبني، ويتعرض البناء نفسه إلى الهدم من أطراف أخرى.

ومن جوانب القصور في إعداد معلمي العربية أن نفرًا منهم في أثناء ممارستهم لعملهم بعد تخرجهم قد غابت الأهداف من أمامهم، وأن ثمة ضبابية في تمثل تلك الأهداف، وهذا ما يؤدي إلى التخبط والفوضى في أثناء تنفيذ دروسهم، فإذا درس القراءة تتحول إلى إعراب تارة، وإلى عملية ميكانيكية في القراءة الجهرية تارة أخرى، وإذا درس الأدب تتحول إلى بلاغة، وهذا يحول دون تحقيق الأهداف المرسومة لنصوص القراءة والأدب، كما أن الدخول في الاستثناءات والمحاكات والتأويلات في تعليم النحو يؤدي إلى غياب الهدف من تعليم النحو على أنه وسيلة لتقويم القلم واللسان من الاعوجاج والزلل.

(١١) الدكتور أحمد هيكل - اللغة والحفاظ على مقومات الشخصية القومية - المرجع السابق ص ١١٥ نقلاً عن بحث الدكتور هيكل - اللغة والحفاظ على مقومات الشخصية القومية - ندوة اللغة العربية بين الواقع والمأمول - الجمعية الخيرية الإسلامية - القاهرة - مارس ٢٠٠١.

ب- النقص في الدورات التدريبية لمعلمي اللغة: تبين من استطلاع رأي المعلمين في مشاركتهم في الدورات التدريبية أن ثمة شريحة منهم لم تشارك في أي دورة تدريبية، وأن الذين اشتركوا في دورات تدريبية كانت مدة الدورة فيها أقل من عشرة أيام، وأن ثمة دورات لا تقوم نتائجها.<sup>(١٢)</sup>

ج- مشكلة القصور في بناء المناهج اللغوية التربوية: تعتمد التربية المعاصرة في بناء المناهج اللغوية التربوية ثلاثة أركان في هذا البناء، أولها تحديد أساسيات المواد تحديداً علمياً في ضوء التواتر والشيوع، فما يستخدم في الحياة بكثرة عدداً أساسياً ويركز عليه في المناهج، وما يستخدم قليلاً يربط إلى مراحل تالية، وثانيها حاجات المتعلمين ومتطلباتهم وميولهم في تفاعلهم مع المجتمع، على أن تحدد تلك الحاجات والمتطلبات والميول في ضوء الدراسات العلمية، وثالثها دراسة المجتمع بثقافته وفلسفته ومشكلاته، والعصر بثوراته العلمية والتقنية.

وفي عملية بناء المناهج ينظر إلى هذه الأركان والمكونات في إطار علاقاتها المتشابكة، إذ لا يمكن الاعتماد على أساس واحد في بناء المنهج على نحو سليم، ذلك لأن كلاً من المادة الدراسية والمتعلم والمجتمع يعد أساساً من الأسس في إطار منظومي شمولي متكامل، ولا تجده هذه النظرة الشاملة في تعدد المصادر تشتتاً أو بعثرة للجهود، بل على العكس من هذا كله تجد فيه نسقاً متصلاً وبنياً مترابطاً، وهذا الذي نفتقده في بناء مناهجنا، إذ ما تزال المناهج تبنى في ضوء الخبرات الشخصية والاجتهادات الذاتية، من غير الاستناد إلى الدراسات العلمية في تحديد أساسيات مواد المعرفة، وتعرف حاجات المتعلمين، وميولهم، ومتطلباتهم، وتعرف طبيعة المجتمع، وروح العصر.

(١٢) الدكتور محمود أحمد السيد- الكفايات اللغوية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي - مجلة

وتجدر الإشارة إلى أن بعضاً من محتويات المناهج بعيد عن اللغة الوظيفية النابضة بالحياة، ويقدم بأساليب غير جذابة ولا مشوّقة، وهذا الأمر يؤدي إلى النفور من اللغة، والضعف فيها.

وكان الدكتور طه حسين قد أشار إلى أن لغتنا العربية لا تدرّس في مدارسنا، وإنما يدرّس فيها شيء غريب لا صلة بينه وبين الحياة، ولا صلة بينه وبين عقل التلميذ وشعوره وعاطفته، وهاجم المباحكات والتأويلات في المادة اللغوية النحوية التي تدرس في مدارسنا، مشيراً إلى أنها سبب نفور طلبتنا من اللغة، كما حمل الأستاذ عباس حسن الاضطراب في المادة النحوية والخلاف فيها مسؤولية الضعف، وتدني مستوى التحصيل في اللغة العربية.<sup>(١٣)</sup>

#### د- تحلّف طرائق التدريس: ويتجلى هذا التخلف فيما يلي:

١- سيطرة الطرائق التلقينية: ما يزال العبء في العملية التعليمية التعليمية ملقّى على كاهل المعلمين في الأعم الأغلب، مع أن المتعلم هو محور العملية، وهو القطب الذي يوجه إليه الاهتمام، فهو الهدف والغاية من هذه العملية، وينحصر دور المعلم في الإشراف، والتعزيز، والتوجيه، والحث، والتشجيع، وتأمين البيئة الغنية لحسن سير العملية.

وما دامت المعلومات تُلقّن للمتعلمين تلقيناً، وما على هؤلاء المتعلمين إلا أن يحفظوها ويستظهروها، فهي معرضة للنسيان السريع لأنهم لم يبذلوا مجهوداً في سبيل الحصول عليها.

(١٣) الدكتور محمود أحمد السيّد- في الأداء اللغوي- منشورات وزارة الثقافة في سورية- سنة ٢٠٠٥

٢- الإخفاق في تكوين الكفايات اللغوية والمهارات: ويرجع السبب في هذا الإخفاق إلى غياب القدوة الحسنة من المعلمين، وإلى قلة ممارسة المتعلمين للغة ما داموا سلبين منفعلين فيما يقدم إليهم، وإلى غياب التعزيز والتوجيه الصحيح لأخطائهم، وإلى عدم مساندة معلمي المواد الأخرى لمعلمي اللغة في تصحيح أخطاء المتعلمين.

ويتجلى هذا الإخفاق في القصور في كفاية الفهم، فهم ما يقرؤونه وما يستمعون إليه في المحاضرات والدروس، ولم يدرّب المتعلمون التدريب الكافي على قراءة الاستماع، إذ تكاد أن تكون مهملة في الأعم الأغلب. كما يتجلى في القصور في كفاية القراءة، سلامة في النطق، وفهماً للمعاني والفكر، وإدراكاً لما وراء السطور، وتوظيفاً للمقروء، ويتجلى في عدم كفاية التعبير الوظيفي، فهناك التفات إلى موضوعات التعبير الوصفية أكثر من الالتفات إلى الموضوعات الوظيفية التي يتطلبها المجتمع مثل إلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة، وكتابة الرسائل، وإعداد محاضر الجلسات، وتوجيه الدعوات، وكتابة النشرات والإعلانات، وبطاقات الدعوة والاعتذار، وملء الاستمارات، وإجراء المقابلات، وأصول تقديم الطلبات... إلخ.

ويتجلى القصور أيضاً في الكفايات النحوية والإملائية وفي التذوق الأدبي، وفي النقد، وفي غياب كفاية الحفظ، إذ يغيب الاستشهاد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، ونماذج شعرية يتوفر فيها الجمال والحكمة، من التراث العربي والعالمي.

٣- الافتقار إلى التقنيات التربوية المساعدة في تفعيل العملية التعليمية التعلمية، فثمة غياب في أغلب المدارس على نطاق الساحة القومية للمخابر اللغوية والأفلام والرزم التعليمية والحواسيب... إلخ. وفي استخدام هذه الوسائل إثارة للاهتمام وجذبه للتفاعل بإيجابية. والمتعلم لدينا يحسّ بالفرق بين الأساليب الجذابة لتعلم اللغة الأجنبية والفقر في الوسائل والتقنيات في تعلم لغته الأم، فيتكون لديه إحساس سلبي تجاه لغته يترسخ في لا شعوره.

٤- القصور في إكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي: ويتجلى هذا القصور في عدم تمكن المتعلمين من اكتشاف أخطائهم والاعتماد على أنفسهم في تعرّفها، وفي عدم تمكنهم من الكشف في المعاجم بسهولة ويسر، وعدم تمكنهم من اختيار المادة الصالحة للقراءة، وفي عزوفهم عن القراءة الحرة والمطالعة.

ه- ضعف ممارسة المناشط اللغوية اللاصفية: من الملاحظ أن ثمة قلة في المناشط اللغوية التي يمارسها المتعلمون، إن في داخل الصفوف بسبب هيمنة الطرائق الإلقائية التقليدية، أو في خارج الصفوف في الإذاعة المدرسية، أو في مجلة الحائط، أو مجلة المدرسة، أو في المناظرات والمساجلات، أو كتابة اللافتات والإعلانات، أو في فرق التمثيل، ولقلة الممارسة أثر سلبي في تكوين الكفايات اللغوية.

و- القصور في أساليب التقويم: ويتجلى هذا القصور في أن الامتحانات تقيس المستوى الأول من مستويات المعرفة متمثلاً في الحفظ والتذكر والاسترجاع في الأعم الأغلب، وتهمل قياس المستويات العليا فهمًا وموازنة وتعليلاً وتفاعلاً وحكمًا وتوظيفاً... إلخ.

ومن الملاحظ أيضاً أن الامتحانات في الشهادة الثانوية تقتصر على الامتحانات المكتوبة، وفي التعليم الجامعي كان ثمة امتحانات شفوية، ولكن هذه الامتحانات استبعدت من بعض الجامعات مع أهميتها في الوقوف على مستوى المتعلم، ذلك لأن الامتحانات الشفوية تقيس جوانب في الأداء لا تقيسها الامتحانات المكتوبة.

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة فقراً في الاختبارات الموضوعية المقننة في مجال قياس الأداء اللغوي، وهذه الاختبارات يمكن أن تقيس مستويات الأداء في القواعد النحوية والإملائية ومعاني المفردات والعروض، والتذوق الأدبي.

وإذا كانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قد وضعت من قبل اختبارات

موضوعية في التعليم ما قبل الجامعي فإن الحاجة ماسة إلى وضع اختبارات لقياس الأداء في اللغة العربية على غرار (التوفل) في اللغة الإنجليزية.

#### ٤- مشكلات ذات طابع اجتماعي: ومن هذه المشكلات:

أ- غياب التنسيق بين النظام التعليمي وسائر الأنظمة في المجتمع، فإذا لم يكن ثمة تعاون وتناغم بين النظام التعليمي والنظام الاقتصادي والسياسي والثقافي والإعلامي في المجتمع فإن ثمة مشكلة، لأن ما يبنى من طرف يتعرض للهدم من طرف آخر، ولا سيما أن ناشئتنا يتسمرون أمام شاشات التلفزة ساعات طويلاً، فإذا كانت اللغة التي تبثها وسائل الإعلام محشوة بالأخطاء وبالعامية، فإن البناء اللغوي السليم لا يتحقق، كما أن ما ينشر على مواقع الشبكة (الإنترنت) في منأى في الأعم الأغلب عن اللغة السليمة، وينشر بالعامية، وباعتماد رموز وأرقام مكان الحروف العربية، وهذه كلها معاول هدم في صرح الفصيحة.

ب- القصور في قيام الجمعيات الأهلية والمجتمع المدني بالتمكين للغة العربية والتبصير بأهمية اللغة في بناء الأمة، إذ إن التوعية اللغوية من الأهمية بمكان في عمل تلك الجمعيات، وعلى المسؤولين فيها الولوج إلى لحمة المجتمع والتحرك لتطبيق الدساتير والقوانين التي تنص على استعمال العربية في جميع المعاملات الرسمية في الدوائر الحكومية كافة، ومراقبة التجاوزات التي يرونها على واجهات المحال التجارية وفي الشوارع، ومراقبة البرامج الموجهة إلى الأطفال في الرياض والتلفزة والإعلام والمجلات الدورية والنشاطات الثقافية... إلخ.

والواقع أن هذه الجمعيات تستطيع أن تؤثر في الرأي العام، وأن تؤثر في الوقت نفسه في صاحب القرار، وأن تعمل على التوعية، وأن تسهم في العملية التعليمية التعلمية بتقديم ملاحظاتها، وأن تقوم بمناشط لغوية في جميع المجالات محاضرات وندوات

ومناظراتٍ ومسابقات، وإقامة معارض، وعرض مسرحيات مصوغة بالفصيحة،  
وعرض أفلام .. إلخ. (١٤)

وإن المهم في عمل هذه الجمعيات هو الخروج من المكاتب وعدم الاكتفاء  
بالتنديدات المتلاحقة، وإنما بالعمل الجاد في الميدان على غرار ما يجري في الدول المتقدمة  
الحريصة على هويتها المتمثلة في لغتها، حفاظاً عليها، وتمكيناً لها في المجتمع.  
تلك هي بعض مشكلات اللغة العربية، ولا يتمكن أحدنا من حصر المشكلات  
كافة، ويكفيه أن يشير إلى ما يراه جديراً بالمعالجة العلمية والإحساس العالي بالمسؤولية  
تجاه لغتنا الأم، والتي على أبنائها أن يكونوا بارين بها برهم بأهمهم.

---

(١٤) للتفصيل يُنظر: الدكتور محمود أحمد السيّد - دور المسؤولين في نشر اللغة العربية في  
مؤسساتهم وتنميتها - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد ٨٦ الجزء الأول كانون الثاني  
(يناير) ٢٠١١ ص ١٧.



## مِصْرَاوْرُومَرِ الْجَمْعِ الْبَحْتِ

- الدكتور أحمد هيكل - اللغة والحفاظ على مقومات الشخصية القومية - المرجع السابق ص ١١٥ نقلاً عن بحث الدكتور هيكل - اللغة والحفاظ على مقومات الشخصية القومية - ندوة اللغة العربية بين الواقع والمأمول - الجمعية الخيرية الإسلامية - القاهرة - مارس ٢٠٠١.
- الدكتور عبد القادر الكامي - المحتوى الرقمي العربي - النمو والأهمية الاقتصادية - المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي - دمشق - حزيران «يونيو» ٢٠٠٩.
- الدكتور عمار الطالبي - وضع اللسان العربي في الجزائر - المؤتمر الأول للأعضاء المرسلين لمجمع اللغة العربية في القاهرة، أبريل (نيسان) ٢٠٠٩.
- الدكتور محمد أحمد المعتوق - التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها والتعليم بها في دول الخليج العربي - المملكة العربية السعودية أنموذجاً - اللغة العربية والتعليم، رؤية مستقبلية للتطوير - مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية - أبوظبي ص ٢٠٠٨ ص ٣٢٨.
- الدكتور محمد مراياتي - قضايا راهنة حول اللغة العربية والشابكة - مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠٠٦ ص ٢٠.
- الدكتور محمود أحمد السيد - الكفايات اللغوية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي - مجلة التعريب - العدد الثالث والأربعون - ديسمبر ٢٠١٢ ص ٢٩.
- الدكتور محمود أحمد السيد - دراسات تربوية - المؤسسة العامة السورية للكتاب بوزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠١٠ ص ١٢٤.

- الدكتور محمود أحمد السيد- دور المسؤولين في نشر اللغة العربية في مؤسساتهم وتنميتها-  
مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- المجلد ٨٦ الجزء الأول كانون الثاني (يناير) ٢٠١١  
ص ١٧.
- الدكتور محمود أحمد السيد- في الأداء اللغوي- منشورات وزارة الثقافة في سورية- سنة  
٢٠٠٥ ص ١٠٤.
- الدكتور منصور فرح- اللغة العربية على الإنترنت- منظور إقليمي- المؤتمر الوطني الأول  
لصناعة المحتوى الرقمي العربي- دمشق- حزيران «يونيو» ٢٠٠٩.
- الدكتور نبيل علي- الإنترنت ونقل المعرفة في الوطن العربي- المؤتمر الوطني الأول لصناعة  
المحتوى الرقمي العربي بدمشق- حزيران (يونيو)- ٢٠٠٩.
- الدكتور نور الدين شيخ عميد- المحتوى الرقمي العربي، صورة لحقيقة- المؤتمر الوطني الأول  
لصناعة المحتوى الرقمي العربي- دمشق- حزيران «يونيو» ٢٠٠٩.
- تقرير التنمية الإنسانية العربية- ٢٠٠٣.
- مؤسسة الفكر العربي- مشروع إنقاذ اللغة العربية- بيروت ٢٠٠٣.



## تجديد الدرس الصرفي بناء (فَعَلَنَ) وجواز تقييسه

د. ممدوح خسارة(\*)

(١) الظاهرة:

بدأ يشيع في استعمال المحدثين أفعالاً من مثل (عَقَلَنَ) بمعنى أَخْضَعَ الأمور والأحداث للعقل، و(عَصَرَنَ) بمعنى جَعَلَ الشيء مواكباً لمتطلبات العصر، كقولهم (عَصَرَتِ الدولة التعليم)، و(عَلَمَنَ) بمعنى جَعَلَ نظام الدولة علمانياً، و(شَخَّصَنَ) في مثل قولهم (شَخَّصَنَ الحوار أو المسألة) بمعنى جَعَلَهُ يَتَعَلَّقُ بأمور شخصية ذاتية لا بأمور عامة موضوعية. كما بدأت تشيع مصادرها مثل: العَقْلَنَةُ والعَصْرَنَةُ والعَلْمَنَةُ والشَخْصَنَةُ، وأقل منها مشتقاتها من أسماء الفاعلين أو المفعولين.

وشيوع هذه الأفعال وأمثالها على أسلوات الكتاب وألسنة المتكلمين أثار جدلاً بين اللغويين حول قبول هذا البناء من الأفعال لهذه الدلالات المحدثثة، وحول إمكان تقييسه، فذهبوا في ذلك بين موافق ومعارض.

---

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

## (٢) بناء (فَعَلَنَ) لدى القدماء:

يندر أن نجد ظاهرة لغوية محدثة إلا لها أصول - ولو قليلة - في لغتنا الفصحى، ذلك أن الدائقة اللغوية عند العربي المعاصر لا تكاد تسيغ حالة إلا إذا توافقت مع عادات لغوية متأصلة في النطق العربي. ويصدق هذا القول على بناء (فَعَلَنَ) الذي نرى أصوله في لغتنا التراثية. فما جاء على هذا البناء من الأفعال<sup>(١)</sup>:

- حَلَقَنَ البُسْرَ: إذا بلغ إِرطابُ بُسْرته الثلثين.
- عَرَبَنَه: أعطاه العُربون.
- عَرَّتَنَ الثوبَ: صَبَّغَه بالعَرْتَنَ، وهو نبات يُدْبَغُ به.
- عَرَجَنَه: ضربه بالعصا، وضربه بالعُرجون<sup>(٢)</sup>.
- فَرَجَنَ الدَّابَّةَ: حَسَّهَا بالفِرْجُونِ [الفرشاة].
- قَحَزَنَ خَصْمَه: ضَرَبَه وصرعه.
- شَيْطَنَ فلانٌ: صار كالشيطان أو فَعَلَ فِعْلَه<sup>(٣)</sup>.
- عَنَعَنَ في كلامه: أبدل الهمزة عيناً<sup>(٤)</sup>.
- عَنَوَنَ الكتابَ: وَضَعَ له عنواناً.
- عَلَوَنَ الكتابَ: وضع له علواناً [وهو العنوان].

(١) يسلكها ديوان الأدب للفارابي وغيره من كتب الصرف في باب (فَعَلَلَنَ). وسنعود لمناقشة

هذه الجزئية بالتفصيل.

(٢) العُرجون: العَصَا وعِدْق النخل إذا يبس: تاج العروس: عرج.

(٣) ابن منظور - لسان العرب - دمحق.

(٤) الفارابي - ديوان الأدب: ٤٩٩.

- بَرَّهَنَ: جاء بحجَّة قاطعة، «من البرهان وهو الحجة والدليل، والنون، عند الليث، زائدة»<sup>(٥)</sup>.
- عَيْدَنَ النَّخْلَ: صار أطول ما يكون، من العَيْدَانِ، جمع عَيْدَانَةٍ، وهي النخلة الطويلة<sup>(٦)</sup>.
- سَبَعَنَ دراهمه: كَمَّلَهَا سبعين<sup>(٧)</sup>.
- فَرَّصَنَ الشَّيْءَ: قَطَّعَهُ.
- سَلَطَنَهُ: جَعَلَهُ سُلْطَانًا<sup>(٨)</sup>.
- كَنَّنَ فُلَانٌ: هَرَبَ وَقَعَدَ فِي بَيْتِهِ<sup>(٩)</sup>.
- عَشَّرَنَ الشَّيْءَ: جَعَلَهُ عَشْرِينَ<sup>(١٠)</sup>.

فهذه سبعة عشر فعلاً على بناء (فَعَلَنَ) دون شك، لأن النون فيها إما زائدة على الفعل الثلاثي، لتنويع المعنى كما في حَلَّقَنَ البُسْرَ، وفَرَّصَنَ الشَّيْءَ وَقَحَزَنَ خَصْمَهُ وَعَرَّجَنَ، وَكَنَّنَ، وإما زائدة في أصل ما اشتُقَّت منه مثل: عَيْدَنَ النَّخْلَ من العَيْدَانِ، وعنون الكتابَ وعلونه من العنوان والعلوان، وبرَّهَنَ من البرهان وشيطن من الشيطان وسَلَطَنَ من السُّلْطَانِ وَسَبَعَنَ من السَّبْعِينَ، وَعَشَّرَنَ من العَشْرِينَ وفَرَّجَنَ من الفرجون، وَعَرَّتَنَ من العَرَّتَيْنِ، وَعَنَّنَ من العَيْنِ، وَعَرَّبَنَ: من العَرَبُونَ.

(٥) ابن منظور- لسان العرب: بره.

(٦) الزبيدي- تاج العروس: عود.

(٧) المصدر السابق: سبعن.

(٨) مجمع القاهرة- الوسيط: سلطن.

(٩) الزبيدي- تاج العروس: كتن.

(١٠) معجم القاهرة- الوسيط: عشر.

وقد وردت أفعال متتهية بالنون لم نعدّها في هذا البناء لأن النون فيها أصلية فحقها أن يكون بناؤها (فَعَلَل)، وهي: سَلَعَن: عدا عدواً شديداً، وَرَهَوَن في سيره: أَبْطَأ. وَسَنَسَن الهوَاء: هبَّ بارداً، وَطَمَّأَن الخائف: سَكَّنَه، وَرَوَدَن الرَّجُلُ: أَعْيَا وتعب، وَهَيَمَن الرجلُ: صار رقيقاً<sup>(١١)</sup>. وَتَسَعَن: امتلاً سَمَنًا.

ويُستأنس لزيادة النون في بناء (فَعَلَن) في الأفعال، بزيادتها في أبنية الأسماء لتتنوع المعنى أو للتوسع في الألفاظ، فمن ذلك: الخَلْبَن<sup>(١٢)</sup>: الخرقاء، العَلَجَن<sup>(١٣)</sup>: الناقة الغليظة المكتزرة اللحم، الرَّعْشَن: الرَّعْش، الضَّيْفَن<sup>(١٤)</sup>: وهو من يأتي مع الضيف بلا دعوة، والْبَلِغَن<sup>(١٥)</sup>، وهو الذي يُبَلِّغ للناس بعضهم أحاديث بعض. وقريب منها: القُطْن وهو القُطن<sup>(١٦)</sup> والعِرْضَنَة<sup>(١٧)</sup> من الاعتراض، وهو نوع من المشي، والخِلْفَنَة<sup>(١٨)</sup> من الخِلاف، والسَّمْعَنَة والنُّظْرَنَة، وهي المرأة إذا تَسَمَّعت أو تَبَصَّرت فلم تر شيئاً تَظَنَّت<sup>(١٩)</sup>.

(١١) ذهب بعضهم إلى أن (هَيَمَن) على بناء (فَيَعَل) الملحق بالرباعي، ولا نرى ذلك، إذ لم يرد فعل (هَيَمَن) الثلاثي فيراد عليه للإلحاق.

(١٢) ابن منظور - لسان العرب: حلب.

(١٣) المصدر السابق: عالج، علجن.

(١٤) المصدر السابق: ضيف، ضفَن.

(١٥) المصدر السابق: بلغ.

(١٦) المصدر السابق: قطن.

(١٧) المصدر السابق: عَرَضَ، عَرَضَن.

(١٨) ابن منظور - لسان العرب: خلف.

(١٩) المصدر السابق: سمع، ظنَّ.

### ٣) تأصيل بناء (فَعَلْنَ) في الاشتقاق العربي.

لعلَّ أهمَّ ما يؤصِّل هذا البناء المؤلَّد للأفعال في الاشتقاق العربي ما يُسمَّى في علم الصرف (الإلحاق). نقول في الأفعال، لأن هذا البناء موجود في الأسماء، قال الفارابي: «ومما ألحق بالرُّباعي بزيادة نون في آخره فجاء على (فَعَلْنَ): الحَلْبَنُ، العَلَجَنُ، الرَّعْشَنُ»<sup>(٢٠)</sup>.

وقد عرَّف ابن جني الإلحاق بقوله: «اعلم أن الإلحاق إنما هو بزيادة في الكلمة تبلغ به زنة الملحق به لَصْرَبٍ من التوسُّع في اللغة، فذوات الثلاثة يُبلغ بها ذوات الأربعة والخمسة..»<sup>(٢١)</sup>. ويوضح الرضيُّ الأسترابادي هذه الظاهرة بقوله: «ويعنى الإلحاق في الاسم والفعل أن تزيد حرفاً أو حرفين على تركيبٍ زيادة غير مطَّردة في إقامة معنى، ليصير بتلك الزيادة مثل كلمة أخرى في عدد الحروف وحركاتها المعينة والسكَّونات، كلُّ واحد في مكانه في الملحق بها، وفي تصاريفها في الماضي والمضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل...»<sup>(٢٢)</sup>.

وقد قسَّم القدماء الإلحاق قسمين: مطَّرداً وغير مُطَّرد، فالمطَّرد هو ما كان يتكرر لام الفعل؛ قال ابن جني يشرح قول المازني: «إن باب مَهْدَدٍ وَجَلْبَبٍ مُطَّردٌ: أنك لو احتجَّت في شعر أو سجع أن تشتق من (ضرب) اسماً أو فعلاً أو غير ذلك لجاز، وكنت تقول: (ضَرَبَبَ زيدَ عَمراً) وأنت تريد (ضَرَبَ)، وكنت تقول: (هذا ضَرَبَبٌ أَقبلَ إذا جَعَلْتَهُ اسماً»<sup>(٢٣)</sup>. وغير المطَّرد هو بزيادة أحرف (سألتمونيها)، كما في قولهم: (دَهْوَر،

(٢٠) الفارابي - ديوان الأدب: ٢٦٧-٢٦٨.

(٢١) ابن جني - المنصف: ١: ٣٤-٣٥.

(٢٢) الرضي الأسترابادي - شرح الشافية: ١: ٥٢.

(٢٣) ابن جني - المنصف: ١: ٤٣.

وَيَبْطِرُ وَصَوَمَعَ)، يقول ابن فارس: «والعرب تبسط الاسم والفعل فتزيد في عدد حروفها، ولعل أكثر ذلك لإقامة وزن الشعر وتسوية قوافيه»<sup>(٢٤)</sup>.

وإذا كان بعض القدماء قد حصروا الإلحاق بتكرار لام الفعل أو بزيادة حرف من أحرف (سألتمونيها)، فإن بعضهم الآخر كابن فارس: «يرى أنه من الممكن زيادة أي حرف من حروف الأبجدية على الأصل الثلاثي مادام هناك دليل يسوّغ تلك الزيادة، أي إنه لم يفرّق بين الحروف الزائدة التي تزداد باطراد أي أحرف (سألتمونيها) أو تكرار لام الفعل وبين الحروف التي تزداد زيادة غير مُطَّرَدة أو حُرَّة»<sup>(٢٥)</sup>.

أما اللغويون المحدثون فلا يحصرون حروف الزيادة في لام الفعل ولا في أحرف (سألتمونيها)، بل يرون أنها وقعت في معظم حروف العربية إن لم يكن كلها<sup>(٢٦)</sup>.

وبالنظر للصلة ما بين العربية العدنانية واللغات الجزيرية، فإننا لا نعدم كلمات تزداد فيها النون على المصدر في بعضها، وهي ليست في أصل الاسم الذي أخذت منه<sup>(٢٧)</sup>.

أما تسميتنا الإلحاق بالاشتقاق وجعله من أنواعه فهو تطبيق لكلام ابن السراج: «إن سأل سائل فقال: ما معنى قولنا: هذا الحرف مشتق من هذا الحرف؟ قيل له: لن يستحقّ هذا الاسم حتى يجتمع له شيان: أحدهما أن تجد حروف أحدهما التي يقدرها

(٢٤) ابن فارس - الصاحبي: ١٩٣.

(٢٥) د. مزيد نعيم - الصيغ الرباعية والخماسية: ١٦٢.

(٢٦) د. حسين نصار - المعجم العربي: ٢: ٧٥٦.

(٢٧) في الآرامية: (خَلْبَشْه) بمعنى تكألب من الاسم (خلبا) الكلب. و (وَلْتَنْشَه) بمعنى النَّصَابِي، كما في عامية الشام (وَلْدَنَة)، و (دَلْعَنْشَه) بمعنى الدَّلْع، كما في عامية الشام (دَلْعَنَة). والنون زائدة في هذه الكلمات الآرامية، إذ ليس في الأصل الذي أخذت منه نون. (عن الأستاذ جورج رزق الله مدير مدرسة اللغة الآرامية بمعلولا).



النحويون بالفاء والعين واللام موجودةً بأعيانها في الحرف الآخر... ولا يقع فرق بينهما-  
إذا وقع- إلا باختلاف الحركات أو بالزوائد، فيكون البناء غيرَ البناء والأصول واحدة..  
والآخر أن يشاركه في معنىً دون معنى، فإن لم يجتمعا ألبتة فلا اشتقاق»<sup>(٢٨)</sup>.  
لعل ما قدّمنا يُدلل على أن هذا البناء أصيل في العربية سماعاً وتقعيداً.

#### ٤) بناء (فَعَلَنَ) في لغة المحدثين:

شاع على هذا البناء في العصر الحديث أفعال كثيرة، تتبّعها لغويون أفاضل فيما يجري  
على ألسنة الإعلاميين والعلميين ودرسوها، مقترحين تقعيده في الصرف العربي<sup>(٢٩)</sup>.  
ومن أظهر هذه الأفعال:

- عَلَمَنَ يُعَلِّمُنْ، جَرَدَ الشَّيْءُ من صفته الدينية.
- عَضُّونَ يُعَضُّونَ بمعنى جعل الشيء عُضْوًا، أو تحويله إلى مادة عضويّة.
- عَقَلَنَ وَعَقَلَنَتْ: بمعنى جعل الشيء معقولاً مما يقبله المنطق المجرّد.
- ولا تكاد لغة الإعلام تخلو من أفعال على هذا البناء من مثل:
- بَلَقَنَ المنطقة: أي جَزَّأها على غرار ما جرى في إقليم البلقان.
- أَفغَنَ البلادَ: أي حوَّلهَا إلى ميدانٍ لأمرأ الحرب والاقْتتال.
- عَرَقَنَ النزاعَ: أي جعله على غرار ما يجري في العراق من صراعات مؤلّمة.
- أنسَنَ العلاقة: جعلها ذات طابع أخلاقي إنساني.
- شَرَعَنَ الفسادَ: أي جَعَلَهُ مشروعاً بالعرْف أو تحريف القانون.

(٢٨) ابن السراج- رسالة الاشتقاق: ٢٠.

(٢٩) د. محمد حسن عبد العزيز- زيادة النون في (فَعَلَنَ) وما يشتق منها- في أصول اللغة لمجمع

اللغة العربية بالقاهرة: ٤: ٣٤٧.

- طَبَعَنَ العلاقات بين الدولتين: أي جعلها طبيعية بعد أن كانت متوترة .  
وفي حقل المعلوماتية ظهرت أفعال على هذا البناء مثل:
- رَقَمَنَ الكتاب: إذا حوَّله إلى كتاب إلكتروني بدل الورقي، ينشر على الشبكة أو يُخزَّن على قرص متراص .
- رَوَمَنَ الحروف العربية: إذا وضع لكل حرف منها ما يقابله في اللغات الأوربية كوضع الحرفين (KH) مقابل حرف (الخاء) العربي .
- لَيَّنَ الكلمات العربية: إذا كتبها بحروف لاتينية بدل الحروف العربية كأن يكتب (سافر أبي: safara abi)، تلك البدعة المبتذلة الشائنة التي بدأت تظهر في كتابة بعض الرسائل النصيَّة الهاتفية في الجوّالات!!<sup>(٣٠)</sup>
- ولكن الأهم من كل ما تقدّم هو دخول بناء (فَعَلَن) ومطاوعه (تَفَعَّلَن) ميدان المصطلحات العلمية في المعاجم المتخصصة، مثل<sup>(٣١)</sup>:
- حَمَّضَنَ الدَّمَّ وَتَحَمَّضَنَ الدَّمُّ: لمعنى زيادة نسبة الأحماض فيه .
- قَلَّوَنَ السَّائِلَ وَتَقَلَّلَوَنَ: لمعنى زيادة نسبة المادة القلوية في تركيبه .
- وَتَشَحَّمَنَ الدَّمُّ: إذا زادت نسبة الشحوم فيه .
- تَصَفَّرَنَ البَوْلُ: إذا زادت صفوته عما هو طبيعي .
- وَتَعَوَّلَنَ وَتَفَحَّمَنَ وَتَحَجَّرَنَ وَتَحَلَّلَوَنَ وَتَهَلَّمَنَ .. وكل ذلك لملازمة دلالات الأسماء التي اشتقت منها وهي الغول والفحم والجزر والحلُّو والهلام ..

(٣٠) لمزيد من التفصيل ينظر د. ممدوح خسارة- ندوة إشكالية اللغة غير المعيارية في المواقع

الإلكترونية- مجلة مجمع اللغة العربية = دمشق مج ٨٥-٤٤ - ص ١١٤٢ .

(٣١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة- في أصول اللغة ٤: ٣٥٠ .

ونخلص مما سبق إلى أن هذا البناء الفعلي ومشتقاته، قد صار إلى كثرة لا يصحّ معها إغفال النظر عنه وتعيينه في النظامين الصرفي والدلالي للعربية.

### ٥) هل يجوز تقييس بناء (فَعَلْنَ)؟

نحن نرى أنه يمكن تقييس هذا البناء والصَّوْغ عليه تحت شروط. وحقّتنا في ذلك ثلاثة أشياء: المسوّغات الصرفية، والحاجة الدلالية، والضرورة العلمية.

#### ١ - المسوّغات الصرفية: وما يسوغ ذلك أمور:

أ- أصالة هذا البناء وكثرته في العربية: وفيه الرد على من اعترض على تجويز الصوغ عليه «بحجة أن العرب لم تعرف على هذا البناء إلا كليات»<sup>(٣٢)</sup>. أي إنهم يجعلونه من باب النادر والشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه، منطلقين من أن «ليس كل شيء يسمع من الشواذ والنوادر يجعل أصلاً يقاس عليه»<sup>(٣٣)</sup>. ومن قول الزجاج: «سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد يقول: إذا جعلت النوادر والشواذ غرضك واعتمدت عليها كثرت زلاتك»<sup>(٣٤)</sup>. ومن المعروف أن المبرّد بصريّ «وأن البصريين لا يبنون القواعد المطّردة إلا على ما كثر واستفاض من كلام العرب عندهم»<sup>(٣٥)</sup>.

ولكن من تبّعنا لما ورد من زيادة النون على أبنية الأفعال والأسماء تحصّل لنا عددٌ ليس بالقليل مقارنة بأبنية أخرى لم توصف بالندرة ولا الشذوذ، بل تُقدّم على أنها أبنية فعلية ثابتة في الصرف العربي. فما زادت فيه النون في الأفعال: (حَلَقْنَ، عَرَبْنَ، عَرَّتْنَ،

(٣٢) د. محمد حسن عبد العزيز - في أصول اللغة: ٤: ٣٤٧.

(٣٣) السيوطي - الأشباه والنظائر: ٣: ١١٨.

(٣٤) المصدر السابق: ٣: ١١٩.

(٣٥) د. منى إلياس - القياس في النحو: ٨١.

عَرَجْنَ، فَرَجْنَ، قَحَزْنَ، شَيْطَنَ، عَنَّعْنَ، عَنُونُ، عَلَوْنَ، بَرَهْنَ، عَيْدَانَ، سَبَعْنَ، فَرَصْنَ، سَلَطْنَ، كَنَكْنَ، عَشَرَ نَ) فهذه سبعة عشر فعلاً على بناء (فَعَلْنَ)، كما ذكرنا آنفاً.

ولا يستقيم أن يقال إن هذه الأفعال على وزن (فَعَلَلَّ) كما ذهب اللغويون، إذ ليس من المنطق أن يوزن (سُلْطَان) على (فُعْلَان) بالنون، ثم يوزن الفعل (سَلَطْنَ) المشتق منه على فَعَلَلَّ، ولا أن توزن الصفة (عَيْدَان) على (فُعْلَان) بالنون، ثم يوزن الفعل منها (عَيْدَانَ) على (فَعَلَلَّ)<sup>(٣٦)</sup> وسوف نفصل القول في هذا بعد.

وإذا اعتل بعضهم بأن النون هي من أصول الاسم الذي اشتقت منه، كما في عَرَتْنَ من العَرَتْنَ، وَبَرَهْنَ من البرهان فإن هذا لا يصدق على فعل (حَلَقْنَ) بمعنى بلغ إرطاب البسرة ثلثيها، لأن الاشتقاق هنا من (الحَلَقُ)، بدليل قولهم (حَلَقُ البُسْرَةِ والثمرَةُ مُتَّهِيَةٌ ثُلُثِيهَا)<sup>(٣٧)</sup>، كما اشتقوا للمعنى نفسه (حَلَقُ البُسْرِ) من الحَلَقُ أيضاً، وبدليل زيادة النون على الفعل الثلاثي (فَحَزَ) ليصبح (فَقَحَزَ) والفعل الثلاثي (فَرَصَ) ليصبح فَرَصْنَ.

أما الردُّ على أن الأفعال التي وردت على هذا البناء قليلة أو كلياً، فهو أن الأمر ليس كذلك، ويتضح ذلك بمقارنتها بالأفعال التي وردت على أبنية أخرى ما بين أبنية أصلية أو ملحقة بها وهي<sup>(٣٨)</sup>:

- بناء: يَفْعَلُ: ورد عليه أربعة أفعال منها يَرِنًا: إذا صبغ لحيته باليرنَاء وهي الحِنَاء.
- تَفَعَّلَتْ: ورد عليه أربعة أفعال، منها تَعَفَّرَتْ.
- تَفَعَّلِيلٌ: ورد عليه ستة أفعال، منها تَرَهِيًا إذا اضطرب وتحرك.

(٣٦) الفارابي - ديوان الأدب: ٧٢٢.

(٣٧) ابن منظور - لسان العرب - حلق، حلقن.

(٣٨) الإحصاء والأعداد من كتاب: إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي تأليف: أمروان البواب

و. د. يحيى مير علم و. د. محمد مراياتي و. د. محمد حسان الطيَّان، مكتبة لبنان - ناشرون - ١٩٩٦ م.

- تَفَعَّلَى: ورد عليه عشرة أفعال، منها تَجَعَّبَى: أنصَرَ، وكلها مهملة.
  - أَفَعَّوْلٌ: ورد عليه ثلاثة عشر فعلاً، منها اجْلَوَّذَ: دام سيرُهُ مع السرعة، وكلها مهملة.
  - تَفَوَّعَلَ: ورد عليه أربعة عشر فعلاً، منها تَكَوَّثَرَ.
  - فَعَيْلٌ: ورد عليه ستة عشر فعلاً، منها شَرَيْفَ الذَّرْعِ: إذا قطع منه أوراقه الفاسدة.
- هذه سبعة أبنية تشكل نحو خمس أبنية الأفعال العربية، وما جاء عليها من أفعال أقل عدداً مما جاء على بناء (فَعَلْنَ). أليس من حق هذه الأفعال السبعة عشرة أن يفرد لها بناء (فَعَلْنَ)، وأن يضاف هذا البناء على ما قرروه من أبنية لأفعال هي أقل عدداً واستعمالاً؟
- ب- يمكن أن يُجمل هذا البناء على زيادة النون إلحاقاً في الأسماء: جاء في لسان العرب: «والنون زائدة في (الرَّعْشَن) كما زادوها في الصَّيْدَن وهو الأَصِيد... ويقال: الرَّعْشَنُ بناء رُباعي على حِدَةٍ»<sup>(٣٩)</sup>. وجاء فيه: «الأزهري في باب ما زادت فيه العرب النون من الحروف: ناقة (عَلَجْنُ)، وهي الغليظة المستعلية المكتنزة اللحم، ونونه زائدة، وامرأة عَلَجْنُ: ماجنة»<sup>(٤٠)</sup>، وجاء فيه أيضاً: «والنون تُزاد في الأسماء والأفعال... تزداد رابعة في خَلْبِن وَصَيْفِن وَرَعْشَن.. وتزداد خامسة في نحو عُثْمَان وَسُلْطَان»<sup>(٤١)</sup>. وقال ابن السراج: «والنون تزداد رابعة في الرَّعْشَن والعِرْضَنَة»<sup>(٤٢)</sup>. ويُجمل ما مرَّ قول المازني: «فإذا وَجَدْتَ حرفاً من حروف الزيادة سوى الواو والياء والألف في شيء يُشتق من معناه ما يذهب فيه، فاجعله زائداً نحو (رَعْشَن) من الرَّعْشَة»<sup>(٤٣)</sup>. وهذا القول ينطبق تماماً على

(٣٩) ابن منظور- لسان العرب: رعش.

(٤٠) المصدر السابق: علجن، والزيبيدي- تاج العروس: علج.

(٤١) ابن منظور- لسان العرب: نون: والزيبيدي- تاج العروس: نون.

(٤٢) ابن السراج- أصول النحو: ٣: ٢٤٠.

(٤٣) ابن جني- المنصف: ١: ١٦٦.

ما نحن فيه إذ اشْتُقَّت هذه الأفعال من شيءٍ وذُهِبَت في معناه، وهذا ما نسميه مُلابسة الشيء أو الاسم، فزيادة النون في مثل هذه الحالات مِمَّا لا تأباه العربية وأصولها.

ج- جواز القياس على القليل: وعلى افتراض أن هذا البناء قليل فهل يجوز القياس عليه؟

إننا نرى أن القياس على هذا البناء الذي ورد عليه سبعة عشر فعلاً- والنون فيها زائدة- جائزٌ على مذاهب ووجوه:

- مذهب سيبويه الذي يقول: «وليس شيءٌ يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وَجْهًا»<sup>(٤٤)</sup>، وقد صار هذا البناء مما يُضطَرُّ إليه في هذا العصر.
- مذهب الكوفيِّين الذين كانوا يقيسون على المثال الواحد أو الكلمة الشاذة<sup>(٤٥)</sup>.
- مذهب البصريِّين الذين يميزون القياس على ما سوى النادر والشاذ، على ما أوردنا من كلام المبرِّد الذي نقله الزَّجَّاج: «إِذَا جَعَلْتَ النَوَادِرَ وَالشَّوَاذَ غَرَضَكَ واعتمدت عليها في مقاييسك كَثُرَتْ زَلَاتُكَ»<sup>(٤٦)</sup>، فهذا البناء ليس بالنادر ولا الشاذ. ويؤكد ما مرَّ قولُ السيوطي في الاقتراح: «ليس من شرط المقيس عليه الكثرة، فقد يقاس على القليل لموافقته للقياس، ويمتنع على الكثير لمخالفته له»<sup>(٤٧)</sup>.
- مذهب العرب في الإلحاق الذي سبقت الإشارة إليه في قول ابن جني يشرح عبارة المازني: «إِنْ بَابٌ مَهْدَدٌ وَجَلْبَبٌ مُطْرَدٌ: أَنْكَ لَوْ احْتَجَجْتَ فِي شَعْرٍ أَوْ سَجَعٍ أَنْ تَشْتَقَّ مِنْ (ضَرْبٍ) اسْمًا أَوْ فِعْلًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ لِحَازٍ، وَكَنتَ تَقُولُ: ضَرْبٌ زَيْدٌ عَمْرًا وَأَنْتَ تَرِيدُ

(٤٤) سيبويه- الكتاب: ١: ١٣.

(٤٥) أبو حيان- ارتشاف الضرب- مقدمة المحقق: ٤٤، عن النكت الحسان لأبي حيان: ٢١٣.

(٤٦) السيوطي- الأشباه والنظائر: ٣: ١١٩.

(٤٧) السيوطي- الاقتراح: ٩٩.

ضَرَبَ»<sup>(٤٨)</sup>. وفي قول ابن فارس: «العرب تبسط الاسم والفعل فتزيد في عدد حروفها، ولعل أكثر ذلك لإقامة وزن الشعر وتسوية قوافيه»<sup>(٤٩)</sup>.

- مذهب القدماء في زيادة النون على الأفعال أو الأسماء لتنويع المعنى، إذ استعملوا (عَرَجَنَ) مع وجود عرج، وَقَحَزَنَ مع وجود قَحَزَ، وَقَرَصَنَ مع وجود فَرَصَ، وَالْقَطُنَّ مع وجود الْقَطْنَ وَالْحِلْفَنَةَ مع وجود الخلاف.

- لا مندوحة عن تضمين هذه النون في الفعل المشتق من اسم فيه نون، كاشتقاق عَرَبِينَ من عُرْبُونَ وَعَرَتَنَ من العَرَتَنَ، وَتَسَلَطَنَ مطاوع سَلَطَنَ من السُّلْطَانِ، وهذه النون زائدة في الأصل فيجب مقابلتها بالنون في الميزان.

- استعمال العرب (فَعَلَنَ) بمعنى فَعَّلَ للصيرورة، كما في قولهم: حَلَّقَ البُسْرَ وَحَلَّقَنَ إذا بلغ الإِرطَابُ ثلثيه.

فإذا كان اللغويون القدماء يسوغون صرفياً بناء (ضَرَبَبَ) من ضَرَبَ، وَالْقَطُنَّ من الْقَطْنَ، تلبيةً لحاجة شعرٍ أو سجع، فإن تسويغ مثل (عَصْرَنَ وَعَقْلَنَ) لتنويع المعاني وتخصيصها بما يلائم حاجة العصر، هو أحقُّ وأولى.

## ٢- الحاجة الدلالية:

مما لا شك فيه أن أي تجويز لغوي يجب أن يكون مما تدعو إليه ضرورة دلالية جديدة أو تنويع على دلالة قديمة مما هو مستعمل في العربية.

إن بناء (فَعَلَنَ) للأفعال مقترحٌ للدلالة على شيئين هما:

أ- ملابسة الاسم المشتق منه هذا الفعل، أي مقاربتة في معنى من معانيه.

(٤٨) ابن جني - المنصف: ١: ٤٣.

(٤٩) ابن فارس - الصحابي في فقه اللغة: ١٩٣.

ب- الجَعْل والتَّصْيِير على حالة.

وهاتان الدالتان وُضِعَ لهما في العربية بناء (فَعَّلَ وَفَعَّلَلَ)؛ جاء في اللسان: «حَلَّقَ البُسْرُ: بلغ الإِرطابُ ثلثيه، وحَلَّقَن البُسْرُ كذلك»<sup>(٥٠)</sup>.

فَلْتَرَ، هل يحمل بناء (فَعَلَن) المقترح ما يزيد على الدالتين المذكورتين؟

\* عَصَرََن التعليم: ويعني جعله عَصْرِيًّا يَتَّسِمُ بأهم خصائص العصر الحديث من الموضوعية والإبداع وخدمة المجتمع. فهل يعني عنه قولنا (عَصَّرَ العلم) اشتقاقاً من العصر؟ إن الذي ورد في المعاجم<sup>(٥١)</sup> لفعل عَصَّرَ هو: «عَصَّرَت الجارية: بلغت سن المراهقة ودخلت عصر شبابها. عَصَّرَ الزرعُ: نَبَتَ أكمأه أخذاً من العَصَر وهو الملجأ والحرز، أي تحرَّزَ في عُلفه». وإذا بَنَيْنَا (فَعَّلَ) من عَصَّرَ بمعنى استخراج الدهن أو الماء من شيء، فستكون دلالة (عَصَّرَ) هي المبالغة في الاستخراج.

ويلحظ أن دلالة (عَصَرََن) تختلف عن دلالة (عَصَّرَ)، لأنها أفادت معنى مَخَصَّصاً مَحْدَداً، وهو جَعَلَ الشيء يتصف بسمة محدَّدة مميِّزة للعصر الحديث لا أيَّ عصر، ولا أيَّ سمة من سماته الأخرى، كضَعْفَ العلاقات الأسرية أو انتشار الجريمة المنظَّمة مثلاً. وحتى لو قيل: عَصَّرَ التعليم لدلالة جعله عَصْرِيًّا حديثاً، فإن ذلك سوف يزيد في المشترك اللفظي الذي يحسن الإقلال منه ما أمكن.

\* رَقَمَنَ الكتاب: ويعني جعله الكترونياً مكتوباً رقمياً على قرص مُتْرَاصٍّ أو على الشبكة، فهل يعني عنه (رَقَمَ الكتابَ) على بناء (فَعَّلَ) الذي من معانيه الجعل والتَّصْيِير؟ جاء في المعاجم<sup>(٥٢)</sup>: «رَقَمَ الثوبَ: خَطَطَهُ» وهو من الرَّقَم الذي هو النقش. أما (الرَّقَم)

(٥٠) ابن منظور - لسان العرب: حلق.

(٥١) المصدر السابق: عصر، ومثله في تاج العروس: عصر.

(٥٢) ابن منظور - لسان العرب: رقم، ومثله في تاج العروس: رقم.



المستعملة بمعنى الرمز إلى عَدَدٍ، وهو ما أُخذ منه الفعل (رَقَمَنَ)، فليس له في المعاجم إلا معنى اللون المُنْقَش، وأما (رَقَمَ) في الاستعمال اللغوي المعاصر فيعني وَضَعَ علامات في أثناء الكلام المكتوب كالنقطة أو الفاصلة»<sup>(٥٣)</sup>.

أي إن قولهم (رَقَمَ الكتاب) على بناء (فَعَّل) لا يُؤدي معنى (رَقَمَنَ) على بناء (فَعَّلَنَ).  
\* عَقَّلَنَ المسألة: ويعني جعل الشيء عقلاً، أي ممَّا يقبله العقل، فهل يُعطي بناء (فَعَّل) هذه الدلالة لو قلنا: (عَقَّلَ المسألة)؟

إن ما ورد في المعاجم لهذا الفعل هو: «عَقَّلَ البعيرَ: ثَنَى وظيفه مع ذراعه وشدَّها» من العَقْل، وهو الرِّبْط والشدُّ<sup>(٥٤)</sup>. وفي التاج: «عَقَّلَ تَعْقِيلاً شَدَّدَ للعَقْل». وفي الوسيط: «عَقَّلَهُ: جَعَلَهُ عاقلاً»<sup>(٥٥)</sup>. وكل هذه الدلالات لفعل (عَقَّل) لا تغني عن دلالة فعل (عَقَّلَنَ)، إذ لا نستطيع أن نقول: عَقَّلَ المسألة، بمعنى جَعَلَهَا معقولة، لأن معناها اللغوي هو جعلها عاقلة بحسب ما ورد في الوسيط.

\* شَخَّصَنَ الحِوَارَ: يعني هذا الفعل أن المحاور حَرَفَ الكلامَ والحديث في مسألة بعمومية وموضوعية وتجرد، إلى الحديث فيها انطلاقاً من علاقات أو عواطف شخصية بين المتحاورين مما ليس مطلوباً. فهل يغني فعل (شَخَّصَ) على بناء (فَعَّل) عن هذه الدلالة؟ بالعودة إلى المعاجم القديمة والحديثة وجدنا في مادة (شَخَّصَ) الدلالات الآتية: «شَخَّصَ شُخُوصاً: ارتفع وأتبرَّ وحَصَرَ... والشَّخَّصَ: سواد الإنسان وجُسمانه»<sup>(٥٦)</sup>، و«أشَّخَصَه:

(٥٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة- المعجم الوسيط: رقم.

(٥٤) ابن منظور- لسان العرب: عقل.

(٥٥) الزبيدي- تاج العروس: عقل.

(٥٦) ابن منظور- لسان العرب: شخص.

أَتَعَبَهُ، وَأَشْخَصَهُ عَنِ الْمَكَانِ: أَجْلَاهُ... وَأَشْخَصَهُ وَشَخَّصَهُ: أَبْعَدَهُ.. وَثَلَاثَةُ شُخُوصٍ: ثَلَاثُ أَنْفُسٍ.. وَشَخَّصَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ: ذَهَبَ.. وَأَشْخَصْتُهُ أَنَا [أَيَ أَذْهَبْتُهُ وَأَحْضَرْتُهُ].. وَأَشْخَصَهُ مِنَ الْمَكَانِ: أَرْعَجَهُ وَأَقْلَقَهُ فَذَهَبَ.. وَأَشْخَصَ فَلَانٌ: حَانَ سَيْرُهُ وَذَهَابُهُ.. وَشَخَّصَ عَنْ قَوْمِهِ: خَرَجَ مِنْهُمْ، وَشَخَّصَ إِلَيْهِمْ: رَجَعَ.. وَتَشَخَّصَ الشَّيْءُ: تَعَيَّنَهُ.. وَالتَّشَاخُصُ: الْأَمْرُ الْمُخْتَلَفُ وَالْكَلامُ الْمُتَفَاوِتُ<sup>(٥٧)</sup>. وَفِي الْوَسِيطِ: «شَخَّصَ الشَّيْءُ: عَيَّنَهُ وَمَيَّزَهُ مِمَّا سِوَاهُ، يُقَالُ: شَخَّصَ الدَّاءَ وَشَخَّصَ الْمُشْكِلةَ.. وَالشَّخْصُ: كُلُّ جِسْمٍ لَهُ ارْتِفَاعٌ وَظَهْوَرٌ وَغَلَبٌ فِي الْإِنْسَانِ»<sup>(٥٨)</sup>.

فَأَيُّ صِلَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ (شَخَّصَ)، وَبَيْنَ الدَّلَالَةِ الْمُحَدَّثَةِ لَهَا فِي فِعْلِ (شَخَّصَنَ)؟ وَهَلْ اسْتَطَاعَ بِنَاءُ (فَعَّلَ) الَّذِي وُضِعَ لِلجَعْلِ وَالتَّصْيِيرِ أَنْ يُوْدِيَ مَعْنَى الدَّلَالَةِ الْمُحَدَّثَةِ لِهَذَا الْبِنَاءِ الْجَدِيدِ؟ إِنَّا نَرَى أَنَّ مَا وَرَدَ لِبِنَاءِ (فَعَّلَ) لَمْ يُغْنِ عَنِ بِنَاءِ (فَعَّلَنَ) الَّذِي بَدَأَ يَشِيعُ لِدَّلَالَةِ جَدِيدَةٍ، بَعْدَ أَنْ أَشْتَقَّ مِنْ اسْمِ الذَّاتِ (الشَّخْصُ) وَلا بَسَّهَ فِي مَعْنَاهُ.

### ٣- الضَّرُورَةُ الْعِلْمِيَّةُ الْإِصْطِلَاحِيَّةُ:

لَا نَعْنِي بِالضَّرُورَةِ هُنَا الْخُرُوجَ عَلَى الْقَاعِدَةِ اضْطِرَاراً<sup>(٥٩)</sup>، ذَلِكَ أَنَّهُ لَا خُرُوجَ عَلَى الْقَوَاعِدِ وَالْأَصُولِ هُنَا، وَلَكِنْ نَعْنِي الْحَاجَةَ الْعِلْمِيَّةَ الْمُصْطَلِحِيَّةَ، أَيَّ حَاجَةَ الْبَاحِثِينَ فِي الْعُلُومِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ لِهَذَا الْبِنَاءِ لِدَّلَالَاتٍ لَمْ تَوْفِّهَا الْأَبْنِيَّةُ الصَّرْفِيَّةُ الْآخَرَى الْمُنَاطِرَةَ. وَمِثَالُ ذَلِكَ:

(٥٧) الزبيدي - تاج العروس: شخص.

(٥٨) مجمع اللغة العربية بالقاهرة - المعجم الوسيط: شخص.

(٥٩) الضرورة: الحاجة والشدة لا مدفع لها.. والاحتياج. وقد جمعها القدماء على (ضرائر) في قولهم (الضرائر الشعرية). وجمعها المحدثون على (ضُرُورات)، ولا يكادون يستعملون غيرها. ينظر:

الجرجاني - التعريفات: ١: ١٨٠، والكفوي - الكليات: ١: ٩٦٠...

\* عَضَوْنَ: يُسْتَعْمَلُ هَذَا الْفِعْلُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى جَعْلِ الشَّيْءِ عُضْوًا، أَوْ جَعْلِ الْمَادَّةِ عُضْوِيَّةً، أَيْ مَلَابَسَةَ الْعَضْوِ أَوْ الْعَضْوِيَّةِ. وَلَوْ عَدْنَا إِلَى بِنَاءِ (فَعَّلَ) الَّذِي وُضِعَ لَهُذِهِ الدَّلَالَةُ لَوَجَدْنَا أَنَّهُ يُوْدِي إِلَى فِعْلِ (عَضَّى) الَّذِي مَعْنَاهُ فِي الْمَعْجَمِ «قَطَعَ الشَّيْءَ وَفَرَّقَهُ»<sup>(٦٠)</sup>. وَهُوَ ضِدُّ الْمَعْنَى الَّذِي يَرْمِي إِلَيْهِ الْمِصْطَلَحُ الطَّبِّيُّ، وَهُوَ جَعْلُ الشَّيْءِ عُضْوًا أَوْ تَحْوِيلَهُ إِلَى مَادَّةٍ عُضْوِيَّةٍ، لَا فَضْلُهُ وَتَقْطِيعُهُ.

\* قَلَوْنَ السَّائِلَ: وَيُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى جَعْلِ السَّائِلِ قَلْوِيًّا، لِيُقَابَلَ الْمِصْطَلَحُ الْكِيمِيَاءِيِّ (alcaliser)<sup>(٦١)</sup>، نِسْبَةً إِلَى (الْقَلِي)، وَهُوَ فِي اللُّغَةِ «رَمَادُ الرُّمْتِ وَالْأَشْنَانِ»<sup>(٦٢)</sup>، وَفِي الْإِصْطِلَاحِ الْعِلْمِيِّ: الْمَادَّةُ ذَاتُ الْخِصَائِصِ الْكِيمِيَاءِيَّةِ الْمُقَابِلَةِ لِلْحَمِضِ. فَلَوْ بَنَوْا مِنْ (الْقَلِي) عَلَى مِثَالِ (فَعَّلَ) لَقَالُوا: (قَلَّى)، وَمَعْنَاهُ فِي الْمَعْجَمِ: بَالِغٌ فِي الْقَلْيِ وَهُوَ الْإِنْضَاجُ، وَيُقَالُ: «قَلَيْتُ اللَّحْمَ إِذَا شَوَيْتَهُ حَتَّى تَنْضِجَهُ»، أَوْ بَالِغٌ فِي (الْقَلْيِ) وَهُوَ الْمَهْجَرُ وَالْكَرَاهَةُ، يُقَالُ: «قَلَيْتُهُ قَلَّى وَقَلَاءً: أَبْغَضْتَهُ وَكَرِهْتَهُ غَايَةَ الْكَرَاهَةِ». وَلَوْ قِيلَ (قَلَّى) مِنْ (الْقَلْيِ) أَيْ مَلَابَسَةَ هَذِهِ الْمَادَّةِ لِصَحِّحٍ، وَلَكِنْ سَيَكُونُ مُشْتَرَكًا لَفْظِيًّا مَعَ الدَّلَالَتَيْنِ الْأُخْرَيْنِ لِفِعْلِ (قَلَّى)، وَاللُّغَةُ الْعِلْمِيَّةُ أَحْرَصَ عَلَى عَدَمِ الْإِشْتِرَاقِ اللَّفْظِيِّ مَا أَمَكَّنَ. فَإِذَا كَانَ فِعْلُ (قَلَّى) يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ فَإِنَّ فِعْلَ (قَلَوْنَ) لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا هَذَا الْمَعْنَى الْعِلْمِيَّ الْإِصْطِلَاحِيَّ.

\* حَمَّضَنَ الدَّمَ أَوْ السَّائِلَ: وَيَعْنِي جَعْلَ الشَّيْءِ حَامِضِيًّا، بِحَسَبِ مَفْهُومِ الْحَمِضِ وَالْحَامِضِيِّ فِي الْعِلْمِ، لِمُقَابَلَةِ الْمِصْطَلَحِ الْكِيمِيَاءِيِّ (acidifier)<sup>(٦٣)</sup>، وَلَوْ اسْتَعْمَلُوا بِنَاءَ

(٦٠) ابن منظور - لسان العرب: عضا.

(٦١) منظمة الصحة العالمية - المعجم الطبي الموحد: ٣٩.

(٦٢) ابن منظور - لسان العرب: قلا.

(٦٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة - في أصول اللغة: ٤: ٣٥٠.

(فَعَّلَ)، لقالوا: (حَمَّضَ السائل أو الدم)<sup>(٦٤)</sup> وكان معناه (صَيَّرَهُ حَامِضاً)، وهو ما كان مالحاً أو حامضاً من النبات، وكل ذلك بعيد عن الدلالة العلمية المقصودة.

ومن المصطلحات الطبيَّة العلمية على هذا البناء: تَصَفَّرَنَ الدَّمُ والبَوْلُ، وَتَحَلَّوْنَ، وهي مطاوعة لفعلِي صَفَّرَنَ وَحَلَّوْنَ. ولعلَّ العَلَمِيَّينَ هنا أفادوا من كلام العامة في قولهم (صَفَّرَنَ وَجْهَهُ) إذا صار أصفر، وَحَلَّوْنَ إذا صار ذا طَعْمٍ حُلُوٍّ، فالبناء عربيٌّ، ولو جاء في كلام العامَّة. وقد استشعر العلميون العرب المعاصرون الحاجة إلى أبنية فعلية واسمية جديدة،

فكانوا يرون أن «إضافة حروف لتكوين صيغ جديدة أمرٌ مهمٌّ في صميم اللغة العربية عامٌّ فيها»<sup>(٦٥)</sup>. ونقل بعضهم هذه الرؤية إلى حيز التطبيق في وضع المصطلحات العلمية معتمداً على ظاهرة الإلحاق، فقال: «فَعَلَّلَ: (صَهَّرَ) قياس مستحدث على الرباعي المجرد، ويمكن ابتكار معنى للحدث، لهذا الوزن [وهو] التَّغَلُّعُ أو الاحتواء أو الانتشار، مثلاً: (صَهَّرَ الصانِعُ المعدن)، أي صَهَّرَهُ ونَشَّرَهُ، أو صَهَّرَهُ وكسا به شيئاً آخر»<sup>(٦٦)</sup>.

نخلص مما سبق إلى أن القدماء جوزوا الإلحاق ما كان مُطَرِّداً منه نحو (صَرَبَب) وغير مطرَّد نحو (حَلَّقَنَ وَعَرَجَنَ) لغايات شعرية أو أدبية، فلأن نجيزها لضرورات التَّخْصِيصِ أو الاصطلاح العلمي بالأحرى والأولى.

## ٦ - ضبط البناء: فَعَلَّنَ أم فَعَلَّلَ.

قدَّمنا أن ثمة خلافاً في وزن بناء مثل هذه الأفعال (حَلَّقَنَ، فَرَّصَنَ، عَرَّتَنَ...). ذلك

(٦٤) استعمل المعجم الطبي الموحد (حَمَّضَ) لملابسة الحمض، في حين استعمل الفعل (قَلَّوْنَ) لملابسة القَلِي. ينظر المصدر: ١٤ و ٣٩.

(٦٥) د. محمود الجليلي - صيغٌ للمصطلحات الطبيَّة - مجلة المجمع العراقي مج ٣٤ ع ٣٧٧-٧٨.

(٦٦) م. حسين حسين فهمي - المرجع في تعريب المصطلحات الفنية والهندسية: ٣٤٤.

أن معظم اللغويين جعلوها على وزن (فَعَلَّلَ)، أي عدُّوها رباعية مثل (دَحْرَجَ وزلزل).

ونحن نرى أن الأرجح وزنها على (فَعَلَّنَ)، بدليلين:

الأول: طَرُدُ قاعدة الميزان الصرفي: وهي أن الفعل يوزن بمقابلة حرفه الأول بالفاء، والثاني بالعين، والثالث باللام، محرَّكة بحركة الفعل، فإذا زيد عليه حرفٌ من حروف الزيادة المعروفة (سألتمونيها) زيدت هذه الحروف بلفظها في الميزان، وإذا ضَعَّفَ حرف فيه ضَعَّفَ مقابله في الميزان، وإذا كانت الزيادة من غير حروف الزيادة المعروفة على آخر الفعل زيد مقابلها (لامٌ). أما الفعل الرباعي فيوزن على (فَعَلَّلَ)، وتُطَبَّقُ على الزيادة عليه أو الإلحاق به قواعدُ الزيادة على الثلاثي، فيقال: كَتَبَ (فَعَلَ)، وَكَتَّبَ (فَعَّلَ)، واستكتب (اسْتَفْعَلَ)، ودَحْرَجَ (فَعَلَّلَ)، وتَدَحْرَجَ (تَفَعَّلَلَ)، وَسَيَطِرَ (فَيَعَلُ) (٦٧).

إن طرد هذه القاعدة على بناء مثل (حَلَقَنَ، عَرَجَنَ، شَيْطَنَ..) يقتضي أن يقال: إنها على وزن (فَعَلَّنَ)، لأن النون في آخرها هي من حروف الزيادة (سألتمونيها)، فأصل (حَلَقَنَ) هو (حَلَقَ)، والدليل على ذلك قولهم: حَلَقَنَ البُسْرَ وهو مُحَلَّقِنٌ إذا بلغ الإِرطابُ ثلثيه، وقيل نونه زائدة (٦٨). وقولهم: «مُحَلَّقِنَةٌ والجمع مُحَلَّقِنٌ، وقال أبو حنيفة حَلَقَ البُسْرَ» (٦٩). وقد طرد الصرفيون هذه القاعدة في وزنهم (تَعَفَّرَتَ) على (تَفَعَّلَتَ)، فكما أثبتوا التاء الأولى فيه من حروف الزيادة، كذلك أثبتوا التاء الأخيرة للسبب نفسه فتركوها على حالها بلفظها؛ جاء في

(٦٧) هذا ما عليه كتب الصرف عامة. على أن ثمة من خالفها قليلاً من القدماء. ينظر المستقصى في علم التصريف: ١: ٥٦-٥٧ (عن الممتع ١/ ٣١١ والمبدع: ١٤١).

(٦٨) ابن منظور- لسان العرب: حلقن.

(٦٩) المصدر السابق: حلق.

لسان العرب: «العِفْرِيْت.. وقد تَعَفَّرَتْ)، وهذا ممَّا تَحَمَّلُوا فيه تبقية الزوائد مع الأصل في حال الاشتقاق توفيةً للمعنى ودلالةً عليه»<sup>(٧٠)</sup>. فإذا كانوا قد تَحَمَّلُوا تبقية الزوائد في هذا الفعل، فلم إذا لم يتَحَمَّلوه في مقاربة معنًى، فيزنوا (شَيْطَن) على (فَعَلَن) لا على (فَعَلَل) لتوفية المعنى والدلالة عليه؟ إذ وزنوا (شيطان) على (فَعَلان)<sup>(٧١)</sup> فإذا وصلوا إلى الفعل المشتق منه وهو (شَيْطَن) وزنوه على (فَعَلَل)<sup>(٧٢)</sup>. ثم أليس غريباً أن يوزن الاسم (بُرْهان) على (فَعَلان)<sup>(٧٣)</sup> على اعتبار أن النون زائدة فيه، فإذا جاؤوا إلى فعل (بُرْهَن) المشتق منه وزنوه على فَعَلَل، بحجّة أنه ليس في الأفعال بناء (فَعَلَن)، وإنما هو في الأسماء فقط بحسب قولهم. ويبدو أن الخلاف قديم حول هذا البناء؛ جاء في لسان العرب: «وأما قولهم بَرَّهَن فلان إذا جاء بالبُرْهان، فهو مُؤلَّد، والصواب أن يقال (أَبْرَه) إذا جاء بالبُرْهان». فما أبعد الصلة بين (أبره وبرهان)!

الثاني: أن يحمل هذا البناء على أنه اشتقاق من المشتق، وهو يُلزم أن تكون النون فيه زائدة ومتعمّدة لتوفية المعنى وربطه بالأصل الاشتقاقي، أي أن يكون مثل (عَقَلَن) مشتقاً من (عَقْلانِيّ)، وهي نسبة بزيادة الألف والنون والياء، وهي نسبة شائعة في العربية، وإن لم تكن قياسية، فقولنا (عَقَلَن) يعني حاكم الأمور محاکمة صاحب العقل الكبير، لأن هذه النسبة تفيد معنى المبالغة؛ فالرَقْبَانِيّ هو عظيم الرقبة، والجَمَّانِيّ عظيم الجُمَّة<sup>(٧٤)</sup>، وأن يكون (عَصْرَن) مشتقاً من عَصْرانِيّ، و(عَلَمَن) مشتقاً من عَلْمانِيّ بالدلالة المعاصرة.

(٧٠) ابن منظور - لسان العرب: عفر. و د. عبد اللطيف الخطيب - المستقصى في علم التصريف: ١: ٣٢.

(٧١) الفارابي - ديوان الأدب: ٧٢٢.

(٧٢) ابن منظور - لسان العرب: دحخ.

(٧٣) المصدر السابق: بره.

(٧٤) ابن سيده - المخصص: ١٣: ٢٤٢.

وكان المجمعى الدكتور محمد حسن عبد العزيز قد وَجَّه بناء (فَعْلَنَ) في (عَقْلَنَ وَعَلَمَنَ)، على أنها مشتقان من الصفة المشبهة (عَقْلَان وَعَلْمَان). «وقد هداه إلى هذا التوجيه ما قاله الزمخشري في الكشف عند شرحه قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧] إذ قال: الرهبانية، ومعناها الفعلة المنسوبة إلى (الرَّهْبَانِ)، وهو الخائف (فَعْلَان) من رَهَبٍ، كخَشِيَانٍ من خَشِيَ»<sup>(٧٥)</sup>.

ولكن، وللتسديد والمقاربة فيما نذهب إليه في هذا البناء، وهل هو فَعْلَنَ أم فَعَلَّلَ، نقول: إذا كانت النون في هذا البناء زائدة أي من حروف (سألتمونيها) قُوبِلت بلفظها، وكان البناء (فَعْلَنَ) نحو (حَلَقَنَ وَعَقْلَنَ وَشَخَّصَنَ)، وإذا كانت النون أصلية في الفعل أو مما اشتق منه الفعل كان البناء (فَعَلَّلَ) نحو: سَلَعَنَ إذا أسرع في عَدُوهِ، وَعَرَّتَنَ إذا صَبَغَ بنباتِ العَرَّتَنَ.

وعلى أي حال فالخلاف في هذه المسألة صناعيٌّ مؤداه أن هذه الصيغة على (فَعَلَّلَ) عند من قال بالأصلية [للنون]، و (فَعْلَنَ) عند من قال بالزيادة<sup>(٧٦)</sup>.

وكان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد اتخذ قراراً نصَّه: «قبول ما يشيع على ألسنة المثقفين من نحو (عَلَمَنَ وَعَصَّرَنَ وَعَقْلَنَ) ومصادرهما وما يُشتق منها، على أن تُعَدَّ النون زائدة، ويُحْمَل ذلك على ما وَرَدَ من أشباهه في القديم وما ذكره النحاة من زيادة في ذلك»<sup>(٧٧)</sup>. ولمجمع القاهرة قرار وثيق الصلة بما نحن فيه عندما أقرَّ كلمة (السَّخَّصَنَة) بمعنى تحويل الأمور من شأن عام إلى شأن شخصيٍّ خاص<sup>(٧٨)</sup>. كما أجاز المجمع بناء (فَعَلَّنَة) مثل الرَّهْبَنَة

(٧٥) د. محمد حسن عبد العزيز - زيادة النون في (فَعْلَنَ) وما يشتق منها - في أصول اللغة: ٤: ٣٤٧.

(٧٦) د. محمد حسن عبد العزيز - زيادة النون في (فَعْلَنَ) وما يشتق منها - في أصول اللغة: ٤: ٣٤٦.

(٧٧) مجمع اللغة العربية بالقاهرة - في أصول اللغة: ٤: ٣٢٧.

(٧٨) مجمع اللغة العربية بالقاهرة - كتاب الألفاظ والأساليب: ٤: ٥٧٨.

بمعنى الرهبانية<sup>(٧٩)</sup>، وأجاز كلمة الرَّقْمَنَة بمعنى «تحويل النصوص والصور إلى لغة الحاسوب ونحوه...»<sup>(٨٠)</sup>. أي إن المجمع أقرَّ المصدر (فَعْلَنَة)، فبالأحرى إقرار صيغة الفعل (فَعْلَن). ولا بد من التنبيه على أنه ليس يتحتم علينا دائماً بناء (فَعْلَن) من الفعل أو الاسم لإعطاء دلالة جديدة للفعل، إن ما يتحتم علينا هو مناقشة الإمكانيات الصرفية التي تقدمها اللغة لتنوع تلك الدلالة، فهل نقول لجعل الشيء عصرياً: (عَصَرَ) وهو البناء الشائع لهذه الدلالة؟ أم نقول: (عَصَرَر) بحسب الإلحاق المطرّد عند القدماء كما قدّمنا؟ أم نقول: (عَصَرَن) بحسب الإلحاق غير المطرّد عند المحدثين؟ ويقال مثله في سائر الأفعال مدار البحث.

#### ٧- الرأي والاقتراح:

نخلص مما سبق إلى المقترحات الآتية:

- ١- جواز بناء (فَعْلَن) ومشتقاته أخذاً من الأسماء لملاستها والدلالة على معانٍ مخصّصة محدّثة، وعدّ هذا البناء مولّداً.
- ٢- قَبُول ما يشيع من أفعال هذا البناء من مثل (عَقَلَن، عَصَرَن، شَخَصَن، عَضُون، قَلُون..)، ولا سيما في المصطلحات العلمية، على أن تدرس كل كلمة على حدة.
- ٣- ألا يُقبَل في هذا البناء المولّد ما يمكن أن يدلّ على معناه بناء قياسي في العربية ولا سيما بناء (فَعَلَّ وفَعَّلَل).

(٧٩) المصدر السابق: ٤: ٥٧٨.

(٨٠) المصدر السابق: ٤: ٣١٧.



## مِصْرَ أَوْ رُوْمِ رَجَمْعُ الْبَحْتِ

- ١- إحصاء الأفعال في المعجم الحاسوبي- أ. مروان بواب و د. يحيى مير علم و د. محمد مراياتي و د. محمد حسان الطيبان- مكتبة لبنان- ناشرون- ١٩٩٦ م.
- ٢- ارتشاف الضرب من كلام العرب- أبو حيان الأندلسي..
- ٣- الأشباه والنظائر- السيوطي- تح. د. عبد الإله نبهان و د. غازي كليجات و د. عبد الله شريف- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق- ١٩٨٥.
- ٤- تاج العروس- الزبيدي
- ٥- التعريفات- علي بن محمد الجرجاني- مكتبة لبنان- بيروت- ١٩٧٨ م.
- ٦- ديوان الأدب- الفارابي- تح. د. أحمد مختار عمر- مراجعة د. إبراهيم أنيس- مكتبة لبنان- ناشرون- الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان- ٢٠٠٤ م.
- ٧- رسالة الاشتقاق- ابن السراج- تح. محمد علي الدرويش ومصطفى الحدري- دار مجلة الثقافة- دمشق- ١٩٧٣ م.
- ٨- شرح الشافية- الأسترابادي- تح. محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٧٥ م.
- ٩- الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها- أحمد بن فارس- المكتبة السلفية- القاهرة- ١٩١٠ م.
- ١٠- الصيغ الثلاثية مجردة ومزيدة اشتقاقاً ودلالة- د. ناصر حسين علي- المطبعة التعاونية- دمشق- ١٩٨٩ م.
- ١١- الصيغ الرباعية والخماسية اشتقاقاً ودلالة- د. مزيد نعيم- مطبعة الحجاز- دمشق.
- ١٢- القياس في النحو- د. منى الياس- دار الفكر- دمشق- ط١- ١٩٨٥ م.

- ١٣- في أصول اللغة- مجمع اللغة العربية بالقاهرة- تقديم: د. أحمد مختار عمر- القاهرة- ط١-٢٠٠٣م.
- ١٤- الكتاب- سبويه- تح. عبد السلام هارون- عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.
- ١٥- كتاب الاقتراح- السيوطي- تح. د. أحمد محمد قاسم- ط١- القاهرة- ١٩٧٦م.
- ١٦- كتاب الألفاظ والأساليب- مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- ١٧- الكليات معجم في الاصطلاحات والفروق- تح. عدنان درويش ومحمد المصري- منشورات وزارة الثقافة- دمشق- ط١- ١٩٨٢م.
- ١٨- لسان العرب- ابن منظور- طبعة دار المعارف- مصر.
- ١٩- المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية- حسين حسن فهمي- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ١٩٦١م.
- ٢٠- المخصّص- ابن سيده- لجنة إحياء التراث العربي- دار الآفاق الجديدة- بيروت- المطبعة الكبرى الأميرية- مصر- ١٣٢٠هـ.
- ٢١- المستقصى في علم التصريف- د. عبد اللطيف محمد الخطيب- مكتبة دار العروبة- الكويت- ٢٠٠٣م.
- ٢٢- المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية بالقاهرة- ط٤.
- ٢٣- المعجم الطبي الموحد- منظمة الصحة العالمية واتحاد الأطباء العرب- مكتبة لبنان- ناشرون- ط٤.
- ٢٤- المعجم العربي نشأته وتطوره- د. حسين نصار- مكتبة لبنان- مصر.
- ٢٥- المنصف شرح كتاب التصريف للمازني- ابن جنبي- تح. إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين- مكتبة مصطفى الباي الحلبي- مصر- ١٩٥٤م.

## الدوريات:

- ١- مجلة المجمع العلمي العراقي مج ٣٤، ٣٤ع.
- ٢- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٨٥ / ٤.

## أُنبات نباتية عربية (\*)

(أُنبوتاني *Ethnobotany*) (\*\*)

الدكتور أنور الخطيب (\*\*\*)

### مقدمة

بعد نيف وستين سنة، من اهتمام بنبات الوطن العربي، وفي طليعته النبات السوري اللباني ونبات الإمارات العربية المتحدة، جمعًا وتجنيفًا وتسميةً وتصنيفًا علميًا محليًا وعالميًا، شرفني مجمع اللغة العربية بدمشق بعضويته، وهنا وجدت لزامًا عليّ أن أحدد التوجه الأساسي لطبيعة العمل المجمع لمختص (مثلي) في العلوم البيولوجية النباتية التصنيفية.

---

(\*) الغرض من نشر هذا المقال ذي الطابع التخصصي، في هذه المجلة التي تُعنى باللغة العربية، هو بيان طواعية هذه اللغة وقدرتها على أداء المعاني العلمية الدقيقة. وفي نهاية المقال ملحق يشرح معاني بعض المصطلحات والتسميات، التي قد لا تكون مألوفة للقارئ. [المجلة].  
ملاحظة: دُيِّل هذا المقال بشرح المقابلات الأجنبية للتسميات العربية الواردة فيه.  
(\*\*) أُنْبوتاني: تركيب مزجي عربي إغريقي مستمد من الثلاثي أُنْ: أُنْ به يَأْتُنْ أُنْتًا وأُتُونًا: أقام وثبت، ومنه: الأُنْ بالمكان الإقامة. والمقصود هنا في هذا المقال دراسة النباتات المرتبطة بعلاقة الإنسان القديم ببيئته النباتية.  
(\*\*\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

من أولويات مهام المجمع ووظائفه، أن يساهم في تقدم ركب الأمة بطريق العلم التجريبي مستعملاً العربية في توصيله. ولا بد من التمييز بين طبيعة عمل المجمع، وطبيعة العمل في المؤسسات التعليمية الجامعية مثلاً: فما يريد المجتمع من المجمع هو: ربط العلم بالحياة. وجعل المعارف العلمية الجديدة قابلة للتداول وتجديد الفكر الجماعي للأمة. والخروج من الحياة البحثية الفردية المغلقة إلى الحياة الإنسانية الجماعية المفتوحة على العالم، والرقي باللغة العربية من مستوى صراع الكلم في التخصصات اللغوية، إلى سعة آفاق الفكر في العمل المجمع.

تعرض هذه المقدمة النقاط التالية:

١: تحديد الهدف من دراسة الأتنيات النباتية العربية. ٢: مصادر دراسات الأتنيات النباتية العربية. ٣: مخطط دراسة المفردات الأتنية النباتية. ٤: تطرح ثلاثة نماذج من الدراسة: الآء والأبق والأبنوس.  
أولاً: الهدف من دراسة الأتنيات النباتية العربية:

تهدف الدراسات الأتنية النباتية عامة والعربية خاصة إلى ربط الفصاحة الكلامية التراثية بالوضوح المعرفي العلمي التجريبي المعاصر، وجعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم النباتية المعاصرة، وذلك بمعالجة النقاط التالية:

١. تعريف الناطقين بالعربية بالتسميات النباتية التراثية غير الواضحة الدلالات والمعتبرة فصيحة، ومقارنتها بالتسميات الدقيقة الدلالات المعتبرة دخيلة.
٢. ربط التسمية التراثية المهلهلة بالتسمية العلمية الموثقة، ورفع اللبس من بعض الأسماء كخَلَطِ الطلح (أكاسيا) بالموز (موزا) في بعض التفاسير القرآنية.
٣. كشف النقص البين في المعاجم اللغوية ودواوين الشعر العربي ومعلقاته

المرددة لمسميات فصيحة مجردة لا تتمكن من ربطها بالمسميات العلمية المعاصرة المؤيدة بنماذج محسوسة معروفة اسم الجامع ، ومكان الجمع وتاريخه، ومحددة اسم الدارس ومكان الحفظ...

٤. إصلاح التسميات النباتية المبهمة أو غير الصريحة التأدية أو المصحفة أو المهجورة أو التي تغيرت دلالاتها باختلاف مناطق وجودها.

٥. الخروج من مسميات نبات معروف إلى تحديد رنق (*rank*) التسمية: رتبة كانت أو فصيلة وجنسًا ونوعًا وغير ذلك...

٦. ربط الحاضر بالماضي عن طريق التعرف بطرائق الاستعمال القديم للنباتات المدروسة.

٧. توضيح صورة النبتة أو الشجرة التي استقر اسمها في الفكر العربي: شعرًا وخطبًا وأمثالا...

٨. بيان عراقة دور النبات مصدرًا للغذاء والكساء والدواء، وهو رمز الجنّات في الحياة الدنيا والآخرة، وهو الذي يمد الكرة الأرضية بمقومات الحياة...

هذه الأتنيات النباتية، التي افتتحت عرضها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، هي بداية لصورة لن تكتمل إلا بعد أن تُحصى كل نبتة في أرض العرب لغة وأدبًا وعلمًا وتاريخًا وتطورًا، فيصح ما جانب الصواب، ويُستكمل نقصها ويُوسع موزجها...

يقدر عدد أسماء النبات المذكورة في معجم أحمد عيسى بأربعة وستين ألف اسم (٦٤٠٠٠) تنظم في قرابة خمسة عشر ألف نوع (١٥٠٠٠)، وخمسمئة وألف جنس (١٥٠٠)، ومئتي فصيلة (٢٠٠) جميعها تقريبًا موجودة في المعاشب (هرباريا مفردها هرباريوم) العربية، وتفتقر إلى معلوماتها اللغة العربية.

## ثانياً: مصادر دراسات الأتنيات النباتية العربية:

اعتمدت هذه الدراسة على مرجعين أساسيين هما:

١. عالم النبات في الأدب العربي: تأليف حسن محمود موسى النميري، الذي يشرح طريقة عمله على النحو التالي: «بدأ جمع مادة هذا الكتاب، ولم أعناصره المكونة له منذ أكثر من ربع قرن، حيث كنت أفعل فعل النملة التي تحرص على امتلاك كل مفيد لها في حياتها، مهما صغر حجمه، وقلت قيمته.... فكنت أجمع كل معلومة أو شاهد لها صلة بنبات أرض العرب في ملف خاص، في مكان خاص آملاً أن تجمع هذه المواد فتشكل كتاباً يتفجع به الناس في حياتهم ومعاشهم يوماً ما» ولما كان هذا العمل محاكياً لعمل جامعا للنبات الطبيعي العربي، وجدت في هذا الكتاب صدّي علي إحيائه في حقول الأتنيات النباتية. لقد ضم هذا المؤلف أربعة وخمسة ٥٠٤ اسم لنباتات وردت في الشعر العربي تحكي حكايات النبت والنشأة والتاريخ.

٢. معجم النبات والزراعة: تأليف الشيخ محمد آل ياسين رجع صاحبه في جمع مفرداته إلى أربعة عشر مصدراً، هي العمدة باتفاق المعنيين، وإليها المنتهى في رواية اللغة ومعرفة المفردات وضبط الألفاظ وهي:

- ١- كتاب العين للفراهيدي، ٢- كتاب الجيم للشيباني، ٣- كتاب النبات للأصمعي، ٤- كتاب النخل والكرم المنسوب للأصمعي، ٥- ما طبع من كتاب النبات للدينوري، ٦- الجمهرة لابن دريد، ٧- تهذيب اللغة للأزهري، ٨- مقاييس اللغة لأحمد بن قاسم الرازي، ٩- تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ١٠- المخصص لابن سيده، ١١- العباب الزاخر واللباب الفاخر للصاغاني، ١٢- لسان العرب لابن منظور، ١٣- القاموس المحيط للفيروزبادي، ١٤- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي.

ويقول آل ياسين في خاتمة تقديم مؤلفه «وقد وُفقت - بحمد الله تعالى وفضله ومَنَّهُ - إلى جمع معظم مواد الموضوع ، بعد جهد جهيد أفرغته - وما زال بحاجة إلى المزيد - في القراءة المستوعبة والفحص الدقيق والمسح التام لتلك الكتب والمعجمات... ويسعدني أن أنشر جزءاً صغيراً من ذلك العمل الكبير ، هو الجزء المعني بالنبات والزراعة وما يتعلق بهما من مسائل وشؤون. ويمثل هذا الجزء بحق - جانباً مهماً من جوانب المعرفة ، إن لم يكن فيه جديد لم يعرف حتى اليوم من الناحية العلمية، ففيه الجديد الذي لم يُعرف كما ينبغي من الناحية التاريخية المرتبطة بعراقة هذه الأمة في أمجادها الفكرية واللغوية والحضارية المشرقة».

أما بقية المراجع فتذكر في النصوص المعالجة.

ثالثاً: مخطط دراسة المفردات الأتنية النباتية:

تشمل دراسة المفردات النباتية الفقرات التالية:

- ١- اسم النبات المعالج باللغة العربية.
- ٢- تمهيد يحدد أبعاد الموضوع المدروس.
- ٣- النبات في الشعر العربي.
- ٤- النبات في المعاجم العربية.
- ٥- التسمية العلمية لجنس النبات المدروس.
- ٦- التسمية العلمية للأنواع الموجودة في الوطن العربي.
- ٧- عرض أشكالها التوضيحية كلما أمكن.
- ٨- النتائج.



## النموذج الأول: الآء الملتبس بالسرْح والقَضْب: دراسة أثنية نباتية

تمهيد: الآء (كماء وعاع) والسرْح والقَضْب أثنيتان نباتية عربية أصيلة مستمدة من عالم النبات، متناقلة في اللغة والشعر العربي، وفي الدراسات النباتية المعاصرة والتاريخية، دالة على صفاء الذهن، وسعة الأفق، وشدة التعلق بالبيئه والمحيط الحيوي والحياتي. كثيراً ما تخلط المعاجم اللغوية، وكتب التفسير، بين التسميات التراثية، والمتناقلة محلياً، وبين التسميات العلمية اللاتينية العالمية. إن كل تسمية متناقلة لا توثق بتسمية لاتينية عالمية تعدُّ مرفوضة عند أصحاب الاختصاص.

تعالج هذه النبذة الأتولوجية النباتية دلالات كل من التسميات الثلاث (الفصيحة) في المفاهيم اللغوية، لتجعلها (فصيحة) من الناحية المعرفية العلمية المعاصرة.

## أولاً: الآء في الأدب العربي:

قال زهير بن أبي سُلمى: يذكر سرعة سير ناقته، مقارنة بسرعة سير قطعان ذكور النعام، الدقيقة العنق، الصغيرة الرأس، الواسعة هواء الصدر، المقطوعة الأذنين، المضطربة مشي الركبتين في موقع السي الغني بالتثنؤم والآء: [السي:

موضع في جزيرة العرب]

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ      مِنْ الظِّلْمَانِ جُوجُؤُهُ هَوَاءٌ  
أَصَكُّ مُصَلَّمُ الأُذُنَيْنِ أَجْنَى      لَهُ بِالسِّي تَكْنُؤْمٌ وَآءٌ

وقال الحسين بن الصَّحَّاك :

بُدِّلَتْ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالآءِ      وَمِنْ صَبُوحِكَ دَرَّ الْإِبِلُ وَالشَّاءُ



وقال ذو الرِّمَّة: يذكر ظليماً يتلهى بأكل الآء والتنوم والمرو ويعقب ذلك برعي العشب أيضاً:

أَهَاهُ آءٌ وَتَنُومٌ وَعُقْبَتُهُ      مِنْ لَائِحِ الْمَرُورِ وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبَبٌ  
يُسْتَنْتَجُ مِنْ دَرَاةِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ أَنَّ الْآءَ وَالتَّنُومَ وَالْمَرُورَ نَبَاتَاتٌ تَرْعَاهَا الظُّلْمَانُ  
ذُكُورَ النِّعَامِ.

ثانياً: الآء في المعاجم العربية:

الآء في القاموس المحيط للفيروزبادي ص ٤١ أء كعاع: ثمر شجر لا شجر،  
وَوَهَمَ الْجَوْهَرِيُّ، وَاحْدَتُهُ بَهَاءٌ.

في المعجم العربي الحديث (لاروس) لخليل الجر ١٩٧٣ ص ١: الآء: جنس  
نباتات برية وزراعية من فصيلة الجناحيات أنواعه عديدة، أوراقه وثماره تصلح  
للدباغة. واحدته آءة.

الآء في معجم النبات والزراعة ص ٣٤:

يعرض أربعة تعريفات للآء:

١ - الآء شجر له ثمر تأكله النعام، الواحدة: آءة. ٢- وقيل هو: الدفلى. ٣-  
وقيل هو: ثمر شجر السرح. ٤- وقيل هو: عنب أبيض يأكله الناس ويتخذون منه  
رُبًّا. (وهذا يتطلب منا تعريف نباتي: الدفلى والسرح).

الآء في المعجم الكبير الجزء الأول مجمع القاهرة (١٩٧٠ ص ٥٩٢): [(الآء  
(واحدته آءة، وتصغيرها أُوَيْئَةٌ) (*Cadaba farinosa*)] من الفصيلة الكبرية  
*Capparidaceae*: نبات شجيري ينمو دائماً متسلقاً نباتات أخرى، ويحمل أطرافاً  
خضراء غزيرة ضاربة إلى الزرقة، أزهاره خضر مبيضة، أنبوبية الشكل، ولها كيس

رحيقي، والثمار لحمية أسطوانية ضيقة، وينمو في البلاد الحارة بالعالم القديم، وهو نادر الوجود في مصر، ويوجد في جبل عُلبَة وفي القسم الجنوبي من الصحراء الشرقية [خلط المعجم الكبير المفاهيم القديمة بالحديثة]:

١. الآء ثمر شجر لا شجر ٢. لم يفرّق بين الشجر والثمر واسم الثمر واسم الجنس واسم النوع. ٣- لم يستعمل الحروف العربية في التسمية العلمية المقترضة ويكتبها بحروف لاتينية. ٤- لم يلفت النظر إلى الأصل اللغوي العربي لتسمية الجنس المستمدة من: قَضْبُ العربية. ٥- لم يترجم تسمية النوع (كادابا فارينوزا *Cadaba farinosa*) بقضب دقيق. ٦- نماذج قوام النبات ثلاثة في المفهوم الحديث: أشجار وجَنَبَات وأعشاب، وليست أشجارًا وشجيراتٍ وأعشابًا.

الآء في معجم أحمد عيسى (١٩٢٦): ١- للشرح عنب يسمى الآء واحده آء وهو يشبه الزيتون. (وهذا يتطلب منا تعرّف نبات السرح)،

الآء في معجم الشهابي: هو:

١- (دِفْلَى). ٢- حَبْن. ٣- حَبِين. آء. آلاء، و٤- سماه بالفرنسية (لورية روز) ٥- وباللاتينية (نيريوم اولياندر). وقال: كلها صحيحة والأولى من دفنة اليونانية. جنبة حمراء الزهر للتزيين من الفصيلة الدَّفْنِيَّة. وهي مبذولة في الشام ولاسيما حول الأنهار). والواقع أن الآء لا علاقة له بالدفل ولا الحبن أو الحبين وربطها بتسميات فرنسية ولاتينية مرفوض قطعًا لشدة سمية نبات الدفل ولعدم وجود جنس القضب في بلاد الشام إطلاقًا.

الخلاصة الأتنية النباتية للآء: حارت المعاجم في شرح الآء بين الثمر والشجر ونبات السرح والدفل والحبن والحبين والقضب الدقيقي، وعين الصواب ما ذكره الفيروزبادي: ثمر شجر لا شجر.

ثالثاً: الآء في مفاهيم علم النبات الحديث:

ثمره لحمية ماوية عديدة البذور خاصة بجنس القضب(كادابا) من فصيلة الكبر (كباريداسية).

رابعاً: السرح في الأدب العربي:

قال امرؤ القيس يصف فرساً:

عَظِيمٌ طَوِيلٌ مَطْمَئِنٌّ كَأَنَّهُ      بِأَسْفَلِ ذِي مَآوَانٍ سَرْحَةٌ مَرْقَبٍ

وكنى حميد بن ثور الهلالي عن محبوبته بالسرحة حين قال:

أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ سَرْحَةَ مَالِكٍ      عَلَى كُلِّ أَفْئَانِ الْعِضَاهِ تَرَوْقُ

وَهَلْ أَنَا إِنْ عَلَلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ      مِنْ السَّرْحِ مَسْدُودٌ عَلَيَّ طَرِيقُ

و قال الشاعر:

فِيَا سَرْحَةَ الرِّكْبَانِ ظَلُّكَ بَارِدٌ      وَمَاؤُكَ عَذْبٌ لَا يَحِلُّ لَوَارِدِ

يستنتج من دراسة السرح أنه: شجرٌ عظام طوال وحادثة سرحة. السرحة هنا واحدة السرح التي ترسل أغصانها سُموًّا وطولاً.

خامساً: السرح في المعاجم العربية:

السرح عند أبي حنيفة الدينوري: تتعدد دلالات السرح عند أبي حنيفة وهي

المعروضة في الفقرات التالية:

« أ- السرحة دوحة محلال (كثيرة الرواد) واسعة، يَحُلُّ تحتها الناس في

الصيف، ويتنون تحتها البيوت،

ب- والسرح لا يُرعى، وإنما يستظل فيه. وينبت بنجد في السهل والغلظ، ولا

ينبت في رمل ولا جبل. وهو من نبات القف (ما ارتفع من الأرض، وصلبت

حجارتة)، ولا تأكله المواشي إلا قليلاً، له ثمر أصفر، وحادته سرحة.

ت- ويقال: هو الآء، على وزن العاع، يشبه الزيتون.

ث- والآء ثمر السرح.

ج- وأخبرني أعرابي، قال: في السرحة عُبرة، وهي دون الأثل في الطول. ورقها صغار. وهي سبطة الأفنان. قال: وهي مائلة النبتة أبداً وميلها من بين جميع الشجر في شق اليُمن. قال: ولم أبلُ على هذا الأعرابي كذباً. له عنب يسمى الآء، أبيض، يأكله الناس ويعملون منه الرُّب. ليس له شوك. يشبه الزيتون.

ح- والسرح، واحدته سرحة، وبها سميت المرأة.

خ- وقيل: كل شجرة لا شوك فيها فهي سرحة، ذهب إلى معنى السرح، وهو

السهل من كل شيء.٥»

السرح في معجم محمد شرف: وردت التسميات العربية التالية: سرح، عسل

البياض، قُرّة، طُريح، تنيم، قطب، قضب.

سادساً: دلالات السرح:

نخلص مما تقدم إلى أن للسرح في المعاجم دالتين: دلالة قوام شجري:

واحدته سرحة، وبها سميت المرأة، وهي دوحة محلال (كثيرة الرواد) واسعة، يحلّ

تحتها الناس في الصيف، ويبتنون تحتها البيوت، وظلها صالح. وهي شجر كبار

عظام طوال، لا يرعى، وإنما يستظل به. وينبت بنجد في السهل والغلظ، ولا ينبت

في رمل ولا جبل. وهو من نبات القف (ما ارتفع من الأرض، وصلبت حجارتها).

ولا تأكله المواشي إلا قليلاً. له ثمر أصفر. واحدته سرحة. ودلالة قوام جنّبي:

عُبرة، وهي دون الأثل في الطول. ورقها صغار. وهي سبطة الأفنان. لها عنب

يسمى الآء، أبيض، يأكله الناس ويعملون منه الرُّب. ليس له شوك. يشبه الزيتون.

وهذا ينطبق على نبات القَصْب الذي أصبح تسميةً علميةً عربيةً عالميةً لجنس نباتي كادابا (*Cadaba*) وضعها تلميذ لينوس فورسكال (١٧٣٢-١٧٦٣) المتوفى في الجزيرة العربية في المناطق الجبلية من تهامة السعودية.

سابعًا: القضب في الشعر العربي:

قالت أخت مقصص الباهلية:

فَأفَاتَ أدمًا كالهضابِ وجاملاً      قد عُدْنَ مثَلِ علائقِ المقضابِ  
المقضاب: أرض تبت القضب.

قال لييد:

إِذَا أَرَوُوا بهَا زرعًا وقضبًا      أمالوها على خورِ طِوالِ  
وقال أبو داود:

رَذايَا كالبلايَا أو      كعيَدانٍ من القَضْبِ  
قال ذو الرِّمَّة:

مِعْدُ زُرُقٍ هَدتِ قَضبًا مُصَدَّرَةً      مُلَسَ البَطونِ حَداها الرِيشُ والقَضْبُ  
وفي الكامل للمبرِّد:

رَأيتُ غرابًا ساقطًا فوقَ قَضْبِيَّةٍ      من القضب لم يَنْبِتْ لها ورقٌ نَضِرُ  
فقلت: غرابٌ لا غُرابٍ، وقَضْبِيَّةٌ      لِقَضْبِ النوى هذي العِيافَةُ والزَّجْرُ

وقال الحارث بن طفيل الغنوي:

شُكُّوا بِحَقْوِيهِ القِداحِ كما      نَاطَ المَعْرُضُ أَقدَحَ القَضْبِ

وقال بشار بن برد:

أصابنا حين عافَ السرحُ مَشْرَبَنَا وإذ ذَوَى القُضْبُ والرِيحَانُ  
وقال حميد بن مالك في أرجوزته:  
زرعاً وقضباً مُؤزَرَ النَّبَاتِ

القُضْبُ هنا يَحتَمِلُ خَمْسَةَ وَجُوهِ ١- مصدر قَضَبَ. ٢- كل شجرة طالت  
وامتدت أغصانها. ٣- شجر تتخذ منه القسي. ٤- الأغصان المقطوعة. ٥- ما  
أكل من النبات المقطوع غُضًا.  
ثامناً: القُضْبُ عند أبي حنيفة:

أ- شجر سهلي ينبت في مجامع الشجر، له ورق مثل ورق الكمثرى إلا أنه أرق  
وأنعَم، وشجره كشجرة الكمثرى، ويرعى البعير ورقه وأطرافه، فإذا شبع منه،  
هجره حيناً، لأنه يُضرسُه ويخشن صدره، ويورثه السعال ولم يعرف له ثمرًا.  
القُضْبُ في اللسان: القُضْبَةُ والقُضْبُ: أ- الرُّطْبَةُ (الفراء) في قوله تعالى:

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨)﴾ [عبس]. اسم خاص بالقُضْبِ ما دام  
أخضر طرياً رطباً (ميديكاغو ساتيفا أي الفصفصة). ب- وقيل وأهل مكة  
يسمون القُضْبَ (ميديكاغو ساتيفا) القُضْبَةُ. ت- وقيل هو الفصافص (ميديكاغو  
ساتيفا). وهي الإسفست بالفارسية (ميديكاغو ساتيفا). وقيل القُضْبُ شجر  
سهلي إذا شبع منه البعير هجره حيناً.... وقيل شجر تتخذ منه القسي. ويقال إن  
القُضْبُ (كادابا روتانديفوليا = قُضْبُ مستدير الورق) جنس من النبع (نبات)  
واسمه العلمي (مروة كراسيفوليا = مرو بدين الورق = *Maerua crassifolia*)  
وهو من فصيلة الكبر (كاباريداسية). وقيل: إن القُضْبَةُ شجرة يُسَوَّى منها السهم.  
يقال: سهمٌ قُضْبٍ (كادابا) وسهمٌ نبعٍ (ميروا كراسيفوليا = مرو بدين الورق من

فصيلة الكبر) وسهْمُ شوْحَطٍ (غريويا شفينفورتيي *Grewia schweinfourtii*) من فصيلة التيلو [تيلياسية].

تاسعًا: القضب في التصانيف الحديثة:

اغتربت التسمية الفصيحة، القضب، بوساطة عالم نبات من القرن الثامن عشر اسمه (فورسكال) وأصبحت اسمًا علميًا عالميًا تسميته العلمية كادابا من فصيلة الكبر (كابارياداسية *Capparidaceae*).

التعريف بفورسكال: هو الجامع والدارس العلمي لنبات القضب: بطرس فورسكال ١٧٣٢ - ١٧٦٣ تلميذ عالم النبات السويدي الشهير لينوس *Linnaeus*. قام بجمع نباتات شمال مصر وضواحي القاهرة والإسكندرية، عامي ١٧٦١-١٧٦٢. ثم انتقل إلى الجنوب الغربي من الجزيرة العربية، منطلقًا من جدة وشواطئ تهامة على طول الجبال الغربية للجزيرة العربية حيث وافته المنية. حفظت مجموعته النباتية في كوبنهاغن حيث نشر مضمونها نيبوهر *C.Niebuhr* (١٧٣٣-١٨١٥) عام ١٧٧٥ في مؤلف عنوانه «الأفلورة العربية المصرية *Flora aegyptiaco arabica*». تميزت التسميات النباتية التي وضعها فورسكال بِلْتَنَّةِ الأسماء العربية (أي جعلها لاتينية) التي كان يطررها عليه الدليل الوطني المشارك له في جولاته النباتية: فالقضب لُتْنِنَ *Cadaba* كادابا، والمر *Maerua* ميروا، والسيال *seale* (سيالي) والعرط *urfuta* اورفوتا. وهكذا يمكننا اعتبار التسميات التي وضعها فورسكال تسميات كانت سائدة قبل ٢٥٠ سنة تقريبًا.

الوصف التصنيفي لجنس القضب: كادابا *Cadaba* فورسكال. من فصيلة الكبر (كابارياداسية) أشجار أو جَنَبَات. الأوراق بسيطة، متعاقبة أو مجتمعة.

الأزهار جانبية التناظر مجتمعة في عذوق (كورمب) (العذوق كَنَوْرَة الإِجاص والتفاح حيث رُجِيَّلات الأزهار غير متساوية، وهذا الأمر يجعل أزهار النورة على مستوى واحد) نهائية أو في عناقيد، وقد تكون أحياناً منفردة. السُّبَلَات (الورقات الكأسية) أربع حرة. البتلات أربع مَحْلِبِيَّة أو منعدمة. الزوائد الحقيقية أنبوبية، جزؤها العلوي بتلي أحياناً. الأَسْدِيَّة أربع إلى خمس. تُحْمَل أعضاء المَذَكَّرَة على محور اسمه حامل المَذَكَّرَة (أندروفور) [يُنظر الشرح في نهاية المقال]. المبيض أحادي أو ثنائي الحجرات. تُحْمَل أعضاء المَأْنَثَة على محور اسمه حامل المَأْنَثَة (جينوفور). البويضات عديدة. الثمرة لحمية أسطوانية عادة متفتحة. الأنواع ثلاثون. منتشرة في العالم القديم وخاصة في إفريقية.

### دليل الأنواع العربية

١. الأوراق غدية الوبر. الثمار غدية..... قضب غدي  
(كادابا غلاندولوزا)
  ٢. الأوراق جرداء أو مُعْبَرَّة. الثمار غير غدية..... ٣  
٣. البتلات موجودة. الأوراق مُعْبَرَّة، قضب دقيق  
إهليلجية متطاولة إلى بيضية، عرضها ١ إلى ٢ سم (كادابا فارينوزا)
  ٤. البتلات غير موجودة. الأوراق جرداء قائمة خضر، قضب مستدير الورق  
بيضية إلى مستديرة بعرض ٥ سم (كادابا روتانديفوليا)
- وصف نوع القضب المستدير الورق (كادابا روتانديفوليا) فورسكال

. *Cadaba rotandifolia* Forssk. , *Fl. Aegypt. Arab.* 68 (1775)



جَنْبَةٌ تَسْمُو إِلَى ٢.٥ م. السُّوقُ مَدْلَاةٌ. الْوَرَقُ (٥-٢) × (٤.٥-١.٥) سَم، وَسِيعٌ الْبَيْضِيَّةُ إِلَى دَائِرِيٍّ، أَجْرَدٌ مَقُورٌ الْقِمَّةُ إِلَى مَسْتَدِيرِهَا. الْأَزْهَارُ مَجْتَمِعَةٌ فِي عِدْقٍ نِهَائِيٍّ. السَّبَلَاتُ (٦-٨) × (٣-٤) مَم. الْبَتَلَاتُ مَنَعْدَمَةٌ. الْأَسْدِيَّةُ (٤-٥) مَلْتَحِمَةٌ بِقَاعِدَةٍ حَامِلِ الْمَأْنَثَةِ (جِينُوفُور). الزَّوَائِدُ الرَّحِيقِيَّةُ صُفْرٌ بِطُولِ ٢ مَم أَنْبُوبِيَّةٌ بَتَلِيَّةٌ الْقِسْمِ الْعُلُويِّ. الثَّمَرَةُ (٥-١.٥) × (٠.٨-٠.٢) سَم غَيْرُ عُدِّيَّةٍ. يَنْبِتُ عَلَى الْمُنْحَدَرَاتِ الصَّخْرِيَّةِ وَفِي السُّهُولِ السَّاحِلِيَّةِ فِي الصُّومَالِ وَجِيْبُوتِي وَإِثْيُوبِيَا وَكِينِيَا وَالسُّودَانَ وَجَنُوبَ شَرْقِ مِصْرٍ وَالسُّعُودِيَّةِ وَسُومَطْرَةَ.

وصف نوع القضب الغدي (كادابا غلاندولوزا) فورسكال.

*Cadaba glandulosa* Forssk. . , *Fl. Aegypt. Arab.* 68 (1775)

(سماه أحمد عيسى: سرح، قرعة، و عسل، وزيتون. وسماه شرف: عسل البياض. وسماه مجاهد: قرمط وكرمت وجميعها تسميات باطلة).

هُوَ جَنْبَةٌ تَسْمُو إِلَى ٢.٥ م. السُّوقُ الْفَتِيَّةُ كَثِيْفَةٌ الْوَبْرُ الْغَدِيُّ. الْوَرَقُ (٥-٢) × (٥-٢) سَم. غُرُوبِيَّةٌ اللَّوْنُ إِلَى خُضْرٍ، عَرِيضَةٌ الْإِهْلِيلِجِيَّةُ إِلَى دَائِرِيَّةٍ، مَغْطَاةٌ بِوَبْرِ غَدِيٍّ سُويْقِيٍّ. الزَّهْرُ قَلِيلٌ مَجْتَمِعٌ فِي عِدْقٍ. السَّبَلَاتُ (٨×٥) مَم. الْبَتَلَاتُ مَنَعْدَمَةٌ. الْأَسْدِيَّةُ خَمْسُ مَرْتَبَطَةٌ فِي قَاعِدَةٍ حَامِلِ الْمَأْنَثَةِ (جِينُوفُور). الزَّوَائِدُ رَحِيقِيَّةٌ ١.٥ مَم، أَنْبُوبِيَّةٌ، صُفْرٌ، بَتَلِيَّةٌ الْقِسْمِ الْعُلُويِّ. الثَّمَرَةُ (١-١.٢) × (٠.٥) سَم، كَثِيْفَةٌ الْغَطَاءِ الْوَبْرِيِّ السُّويْقِيٍّ. يَنْبِتُ فِي السُّهُولِ الرَّمْلِيَّةِ وَعَلَى الْمُنْحَدَرَاتِ الصَّخْرِيَّةِ فِي جَنُوبِ شَرْقِ مِصْرٍ وَالسُّودَانَ وَإِثْيُوبِيَا وَالصُّومَالِ وَمَالِي وَتَانْزَانِيَا وَغِينِيَا وَأُوغَنْدَا.

وصف نوع القضب الدقيقي (كادابا فارينوزا) فورسكال

*Cadaba farinosa* Forssk. *Fl. Aegypt. Arab.* 68 (1775)

جنبه أو شجرة صغيرة، متسلقة أحياناً على غيرها من الشجر. الأوراق (٠.٥ - ٢.٥) × (٠.٣ - ١.٢) سم، دقيقة الملمس، إهليلجية أو مقلوبة الطول بيضية، مستديرة القمة. الأزهار بيض خضر إلى رمادية صفر، منفردة أو مجتمعة في عنقود قليل الزهر. السبلات ١ × (٠.٣ - ٠.٤) سم. البتلات (١ - ١.٥) سم، خطية إهليلجية مخلبية. الأسدية ٤-٥. طول حامل المأثثة - المذكرة (أندروجينوفور) ٥-٨ مم. طول الزوائد الحقيقية ١.٥ مم أنبوية، قصيرة الأسنان القمية. الثمرة (٢.٥ - ٥) × (٠.٣ - ٠.٥) سم غبراء. ينبت في السهول الرملية والمنحدرات الصخرية في إفريقيا المدارية ومصر والباكستان والهند.

عاشرا: النتائج المستمدة من الدراسات اللغوية والمعجمية والتصنيفية: للآء والسرحة والقضب.

١ - الآء: اسم جمع لثمار مفردتها: آءة وهي ثمرة شجر السرحه والقضب وهي ماوية عنبية أسطوانية.

٢ - السرحه: تسمية عربية متناقلة لأنواع شجرية أو جنبية منتسبة إلى جنس القضب (كادابا) كما تطلق على كل شجر عظام طوال واحدة سرحة لا شوك فيها.

٣ - القضب تسمية عديدة الدلالات أبرزها:

١ - جنس نبات من فصيلة الكبر (كاباريداسية *Capparidaceae*). أشجار أو جنبات تامة الأوراق، عذقية النورات، جانبية تناظر الأزهار، رباعية السبلات والبتلات، أسديتها مزودة بحوامل مذكرة (أندروجينوفور) وكرابلها<sup>(١)</sup> مزودة بحوامل مأثثة (جينوفور). الثمار لحمية أسطوانية. عدد الأنواع ثلاثون منتشرة في المناطق المدارية من الوطن العربي.

(١) الكَرْبَلَة (carpel): وحدة أعضاء المأثثة.

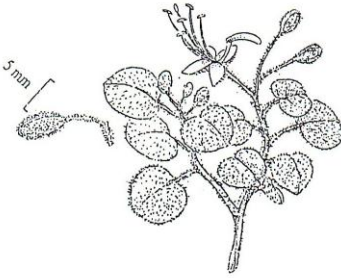
٢- القُضْب: مصدرٌ يُطلق على كل ما يُقطع.

٣- كل شجرة طالت وامتدت أغصانها.

٤- شجر تتخذ منه القسي.

٥- الأغصان المقطوعة.

٦- ما أكل من النبات المقطوع غُضًّا.

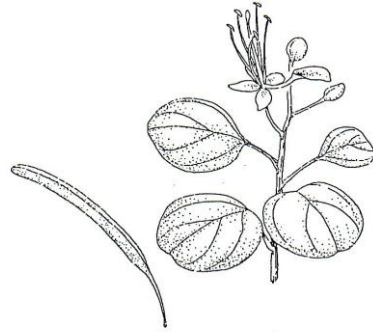


الشكل (٢)

القضب الغدي

كادابا غلاندولوزا

غصن مزهر وثمره



الشكل (١)

القضب مستدير الورق

كادابا روتانديفويا

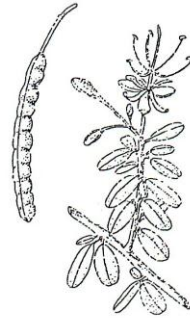
غصن مزهر وثمره

الشكل (٣)

القضب الدقيقي

كادابا فارينوزا

غصن مزهر وثمره



## النموذج الثاني: الأبق، دراسة أثنية نباتية

تمهيد: تتميز العربية باستمرار حيويتها. فاللغات بوجه عام تتغير بسرعة وبطريقة يصعب الإمساك بتغيرها كما يصعب الإمساك بأثر باخرة تمخر عباب البحر... أو الإمساك بأثر فارس يقود حصانه. فاللغة نتاج بيولوجي مرن حركي ينتقل من جيل إلى جيل كما تنتقل العقائد الخارقة من غير أن يفطن الناس إلى ذلك... وقد دلت الدراسات الحديثة على اختلاف الأصوات باختلاف الأشخاص، ولا يوجد على سطح هذا الكوكب صوت إنسان يماثل صوت أخيه الإنسان، كما لا توجد بصمة إبهام تماثل بصمة إبهام آخر.

يعد الأبق من أبرز النباتات الاقتصادية العالمية، عرفه العرب في بداوتهم نباتاً رعوياً آسيوياً من نباتات الغابات الماطرة. كما عرفوه نباتاً رئيساً في التجارة وصناعة المرس والحبال وشد المضارب والخيام.

نسلط، في هذه النبذة، الضوء على الأبق في الشعر العربي، وفي المعاجم العربية والأجنبية، وفي الدراسات العلمية الحديثة.

### أولاً: الأبق في الشعر العربي:

الأبق نبات معرّب التسمية آسيوي، مستعمل في صناعة الأمراس المتينة، غفلت المعاجم العربية عن تعريفه وإدراك أهميته مع وروده في الأدب العربي في الأبيات التالية:

قال رؤبة يصف الأتن أي حمر الوحش:

قُوْدُ ثَمَانٍ مِثْلَ أَمْرَاسِ الْأَبْقِ فِيهَا خَطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقُ

(قود: جمع قوداء، وهي الطويلة العنق. أمراس: حبال. بلق: بياض).

وورد ذكر الأبق في شعر زهير بن أبي سلمى في مناداة الفارس العربي القائد الخيل التي أكتافها على استقامة دوابرها من شدة سرعتها، والتي تأخذ شكل الحبل المشدود من الجلد والأبق.

بقوله:

القائد الخيل منكوباً دوابرها      قد أحكمت حكام القد والأبقا  
وقال بشار بن برد يصف حمار وحش يرعى الأبق، شبه به جملة الذي يرعى  
العشب اليابس في صحراء شديدة الجفاف والحرارة، وفي هذا دليل على تنقل العربي  
في المواقع الخيرة العطاء الرعوي والمائي:

رعى ورعين الرطب تسعين ليلة      على أبق والروض تجري مذابئه

(الرطب: الغض. المذائب: مجاري مياهه).

ثانياً: الأبق في المعاجم العربية والأجنبية:

الأبق في المعجم الكبير الجزء الأول ص ٤٦ - ٤٧.

- الأبق: معرب من السريانية أفقتا، التي تعني: القطن المحلوج. وفي رواية  
ثانية يذكر أن الأبق: القنب أو قشره. وفي ثالثة يرى أن الأبق في العبرية: التراب  
الدقيق المتطاير. وفي رابعة يتصور الأبق مستمد من أبقا في الآرامية اليهودية  
والسريانية. (أربع تناقضات في شرح تسمية الأبق).

الأبق في معجم وبستر:

أ- تسمية إسبانية مستمدة من اللغة التاغالوجية الماليزية. ب- ألياف مستمدة  
من معاليق أوراق نبات تسميته العلمية موز النسيج (موزا تيكستيليس *Musa*  
*textiles*). ت- اسمه التجاري: قنب مانيليا (مانيليا هامب *Manila hemp*).

**ثالثاً: الأبق والتجارة:**

يدعى تجارياً: قنب مانيليا (مانيليا هامب)، وليس له علاقة بالقنب الذي تسميته العلمية (كنايبس ساتيفا *Cannabis sativa*) وترجمته: قنب الزرع من فصيلة القنب (*Cannabinaceae*).

**رابعاً: الأبق والصناعة:**

يستخلص الأبق من أعماق الأوراق التي تقطع من أصولها وتقشر يدويا أو آليا، للحصول على حزم الألياف التي تجفف ويقع طولها بين ١٦٠-٣٦٠ سم. وينتظم لونها بين الأبيض والأصفر، وهي خفيفة صلبة متينة، مقاومة لتأثير المياه العذبة والمالحة لذلك فهي تستعمل في صناعة الكبال البحرية ومواد التجليد والتكيس وعجينة الورق مخلوطة بالغراء أو القلفونة. تستورد اليابان كميات كبيرة من ألياف الأبق لاستعمالها في صناعة الحواجز والجدران المتحركة في المنازل. وتدخل أليافها في صناعة قماش لامع يسمى: سينامي *sinamay*.

**خامساً: جغرافية الأبق:**

يقع المهد الطبيعي للأبق فيما بين الهند والفلبين. ويدخل في الدورة الاقتصادية لسكان سومطرة وبورنيو منذ العصور القديمة. ينبت في المناقع وفي الأراضي الدبالية الرطبة الجيدة الصرف، ويزرع في مساحات صغيرة أو كبيرة وتستثمر أوراقه بعد ١٨-٣٦ شهرا من بدء زراعته.

**سادساً: الأبق والزراعة:**

أدخلت زراعة الأبق عام ١٩٢٥ في أمريكا، وقد عززت هذه الزراعة عام ١٩٤٠ نظرا لحاجة أمريكا إلى الألياف في مجهودها الحربي، فمولت زراعته في دول

أمريكا الوسطى وصنعت آلات تنظيف الأوراق وزرعت ٢٦ ألف فدان أنتجت ٣ ملايين طن من الألياف. وبعد الحرب العالمية الثانية دعمت زراعة الأبق في كوستريكا.

سابعًا: الأبق وأمريكا:

تعرفت أوروبا بواسطة العرب وتجارتهم عن طريق الحرير على الأبق في القرن السادس عشر ووصلت أول شحنة من الأبق إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ثمان عشرة وثمانمئة وألف للميلاد (١٨١٨ م) حيث كان الأبق الصادر الرئيسي للفلبين بعد السكر وجوز الهند.

ثامنًا: النتائج المستمدة من الدراسات اللغوية والمعجمية:

نخلص من هذا العرض إلى النتائج التالية:

١- عرف العرب الأبق قبل الاحتلال الإسباني للفلبين وماليزيا بقرون عدة، ولهم الأسبقية في تعريف الكلمة ونشرها في جميع لغات العالم، فتناولوه شعرًا ونثرًا.

٢- تهادى المعجم الكبير في وصف الأبق، وجمع معلومات متضاربة عنه: فربطه تارة بالعبرية، وأخرى بالآرامية اليهودية والسريانية وثالثة وفي رابعة تُعرض الأصول التاريخية للكلمة وفي هذا ضروب من الخيال!...

٣- لم يوفق المعجم الكبير بقوله: الأبق القطن المحلوج في السريانية، كما لم يوفق في إرجاع الأبق إلى القنب أو قشره أو حبل القنب ومرد ذلك إلى اعتماده على المعاجم القديمة.

٤- قدم معجم وبستر شرحًا مقبولاً مفيداً ومختصراً من الناحية الاشتقاقية

والعلمية والاقتصادية لكلمة الأبق، ولو أنه نسب التسمية إلى الإسبانية مغفلاً دور العربية التي كانت قبل الإسبانية في استعمال اللفظة، على عكس المعجم الكبير الذي يضع القارئ في متاهة لغوية مهملاً القيمة التطبيقية العلمية.



### النموذج الثالث: الأبنوس، دراسة أتنية نباتية

تمهيد: الأبنوس من أبرز النباتات الاقتصادية العالمية، مهده المناطق الاستوائية الآسيوية والإفريقية. خشبه أسود صلب، يصنع منه بعض الأدوات والأواني والأثاث.

نسلط، في هذه النبذة، الضوء على الأبنوس في الشعر العربي، وفي المعاجم العربية والأجنبية، وفي الدراسات العلمية الحديثة، ونلفت النظر إلى دلالات التسمية المتناقلة للأبنوس. ونختمها ببعض النتائج المستمدة من هذه الدراسة.

أولاً: الأبنوس في الشعر العربي:

قال ابن المعتز يذكر صاحبه:

ضحكتُ شراً إذ رأيتني قد شبُّتُ وقالت: قد فُضِّضَ الأبنوسُ

وقال أسامة بن منقذ يستهدي ابنه مُرهفاً عصا:

أريد عصاً من أبنوسٍ تُقلُّني فإن الثمانين استعادت قُوى رجلي

وقال علي بن الجهم يذكره:

عُصِنُ من الأبنوسِ أبدى من مسك دارين لي ثمارا



وقال الصاحب بن عباد:

وَإِذَا مَا مَشَطْتَ عَاجًا بِعَاجٍ فَامْشُطِ الْإِبْنُوسَ بِالْأَبْنُوسِ

ثَانِيًا: الْأَبْنُوسُ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ:

ملاحظات على على ما ورد في الصفحة الخامسة والسادسة.

اعتمد المعجم الكبير التسميات التالية:

١- أبْنُوسٌ بِهَمْزَةٍ مَمْدُودَةٍ،

٢- إِبْنُوسٌ الْمُسْتَمَدَّةُ الْيُونَانِيَّةُ وَاللَّاتِينِيَّةُ،

٣- هَبُّونٌ الْمِصْرِيَّةُ الْقَدِيمَةُ = هُبْنِيمٌ عِبْرِيَّةُ التَّوْرَةِ،

٤- بَفْتَحُ الْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ وَسُكُونِهَا وَضَمُّ النُّونِ،

٥- وَرُؤْيٍ بِضَمِّ الْمَوْحِدَةِ وَكُسْرِهَا،

٦- وَيُقَالُ فِيهِ: أَبْنُوسٌ،

٧- أَبْنُوسٌ،

٨- أَبْنَسٌ.

نخلص مما تقدم إلى وجود ثمانية نماذج لإعجام كلمة أبْنُوسٌ، وفي هذا مجال واسع لجدل اللغويين إلى يوم يعثون. وللتخلص من هذا الجدل العقيم اعتمد كاتب المقال التسمية: أَبْنُوسٌ تعريباً للتسمية العلمية العالمية *Ebenus*.

أغفل المعجم الكبير تعددية دلالات تسمية (أبنوس). فالأبنوس في التصنيف النباتي الطقسوني (أي الخاضع لطقوس وقواعد التسمية التصنيفية العلمية العالمية) تسمية مستمدة من اسم نوع تسميته الثنائية ديوسبيروس ايبيوم *Diospyros ebenum* وترجمته: حب الرب الأبنوسي. وبذلك تصبح كلمة (أبنوس) المعاصرة تسمية متناقلة

لاتينية لجنس نباتي تسميته العلمية (ديوسبيروس *Diospyros*) ترجمته (حب الرب) إشارة إلى رفعة مكانة ثمر بعض أنواعه.

في الصفحة ٦ العمود ١ السطر ٤ ذكر الخطأ التالي: (أوراقه مركبة ريشية)!... والصواب: أوراقه بسيطة تامة لا أذنية وهي صفة مميزة لفصيلة الأبنوس التي تضم قرابة ٦ أجناس و ٣٠٠ نوع يشغل منها جنس (ديوسبيروس) قرابة ٢٥٠ نوعاً. في الصفحة ٦ العمود ١ السطر ٢٠ وردت كلمة: (الآبنوسية)!... وهذا خطأ والصواب: ايونيت.

ثم ذكر: (لم يعرفه الفرس والعرب حتى القرن الثالث الهجري إلا دواء)، وما الدليل على جهل العرب والفرس إلى هذه الحدود!؟...

ثم يقول (وهو وإن كان معروفا منذ القدم عند الساميين الذين كانوا يجلبونه من الهند والحبشة، لم يُنتفع به إلا قليلاً في صدر الإسلام وذلك لندرته). أقول: هل العرب لا صلة لهم بالساميين أم أنهم فرع من فروع الساميين؟  
ثالثاً: الأبنوس في معجم وبستر:

تسمية مستمدة من إنكليزية العصور الوسطى، المستمدة بدورها من اللاتينية: هيبيروس. واليونانية: ايبيروس. والفرنسية: ايبنوس. ١- خشب صلب ثقيل متين مستمد من أشجار مختلفة منسوبة إلى جنس (ديوسبيروس) الاستوائي الآسيوي الإفريقي. ٢- كل شجرة منتجة للأبنوس. ٣- أي شجرة خشبها يشبه خشب الأبنوس. ٤- لون متدرج بين الزيتوني الأخضر القاتم الأسود. وبذلك يبين معجم وبستر وجود أربع دلالات لكلمة أبنوس. ولو اعتمد المعجم الكبير ترجمة ما ورد في معجم وبستر لكفى الباحث العربي الكثير من الجهد.

## رابعاً: الدلالات العربية للأبنوس:

تستعمل اللغة العربية العلمية تسمية أبنوس في دلالات خمس موضحة على النحو التالي:

## الدلالة الأولى للأبنوس:

الأبنوس تسمية متناقلة لعدد من الأشجار الاستوائية المنتمية غالباً إلى جنس تسميته العلمية (ديوسبيروس *Diospyros*) (وهي تركيب مزجي من كلمتي حب الرب إشارة إلى القيمة الكبرى لثمار بعض أنواعه)، من فصيلة الأبنوس (إيبيناسية *Ebenaceae*)، يضم أجود الأشجار الكبيرة ذات الخشب القاتم الجميل الأدكن اللون إلى السواد لتراكم الصمغ والراتنج عليه، وهو ثقيل لا يطفو على الماء، فائق الصلابة، سهل الصقل، مستعمل في صنع المكاتب وأدوات الزينة وآلة البيانو والآلات الوترية كالعود والكمان، وفي صناعة الأزرار والأمشاط والمرصعات بالعاج والأبنوس وغير ذلك. ذكره هيرودوتس وتيوفراستس وفرجيل. كما ورد ذكره في الكتاب «المقدس». الأوراق متعاقبة بسيطة تامة. الأزهار وحيدة الجنس وحيدة المسكن ونادراً خثوية، شعاعية التناظر. أبرز أنواعه الاقتصادية:

أ- حب الرب الأبنوسي (ديوسبيروس إيبينوم *D. ebenum*).

ب- حب الرب المكاسار (ديوسبيروس مكاسار *D. macassar*) منسوب إلى مدينة أندونيسية بالقرب من بورنيو.

ت- حب الرب الشجري (ديوسبيروس داندر *D. dendro*).

ث- حب الرب المحلي الشكل (ديوسبيروس ميسيليفورميس *D. mespulfiformis*)

مهدهما إفريقية الاستوائية.

ج- حب الرب الكاكي (ديوسبيروس كاكي *Diospyros kaki*) مهده اليابان، مزروع في كثير من المناطق، وفي سورية خاصة، معروفٌ بأسماء مختلفة: كاكي، بلح طرابزون، درابزين خرمسي، الخرما، ومشمش اليابان. ثماره ذهبية اللون، برتقالية الحجم، قابضة الطعم وهي فجّة، لا تؤكل إلا مرتخية من شدة النضج. وحب الرب الفرجيني (ديوسبيروس فيرجينيانا *D. virginiana*). مهده المناطق الحارة الأمريكية، تؤكل ثماره متراخية.

#### الدلالة الثانية للأبنوس:

تطلق تسمية أبنوس على عدد من أنواع الساسم (واحدته: ساسمة والساسب والسيب). وفي اللسان: الساسم شجر أسود تتخذ منه القسي.

قال النمر بن تولب:

إذا شاء طالع مسجورةً، ترى حولها النبع والساسما

وفي المخصص: الشز والشزى: خشب أسود صلب تصنع منه الأمشاط والقصاع وغيرها يقال هو الأبنوس.

قال الشاعر:

ناهبتُها القومَ على صنُّعٍ أجربَ كالقِدحِ من السَّاسِمِ

وعيدان الساسم لدنة مرنة وقوية....

قال حميد بن ثور الهلالي يذكر ذئباً يعسل:

ترى طرْفِيهِ يَعْسِلانِ كلاهما كما اختبَّ عودُ السَّاسِمِ المتتابعِ

(يعسلان: يهتان. المتتابع: المستوي الذي لا عقد فيه وهو صفة (عود))

وقال عامر بن الطفيل يذكر خيلاً ضميراً كالقسي:

ونحن الألى قدنا الجياد على الوجى كما لَوَّحَ القواسُ نبغاً وساسماً

(الوجى: حفا يصيب سنابك الخيل. القواس: صانع القسي)

والتسمية العلمية للساسم:

أ- دلبرجية الخشب الأسود (دلبرجيا ميلانو كسلون *Dalbergia melnoxylon*) المعروف بأبنوس السنغال والسودان.

ب- دلبرجية عريضة الورق (دلبرجيا لاتيفوليا *Dalbergia latifolia*).

ت- ودلبرجية سيسو (دلبرجيا سيسو *Dalbergia sisso*)، خشبها صلب اسود فيه عروق بيض يستعمل كخشب الأبنوس، وقد ذُكر الساسم في المعاجم العربية في الجمهرة لابن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١ هـ وتاج العروس للزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ حيث تتخذ من خشبها الرحال والقسي، جميعها من فصيلة الفول (فاباسية *Fabaceae*).

الدلالة الثالثة للأبنوس:

تطلق تسمية أبنوس زائف على نوع من أشجار الزينة تسميته العلمية (لابورنوم أناجير وئيدس *Laburnum anagyroides*). نوع أوربي المهد، مزروع بكثرة في الولايات المتحدة. أوراقه خضر قائمة جميلة. وأزهارها صفر فاقعة كثيرة تزهر في الربيع.

الدلالة الرابعة للأبنوس:

تطلق تسمية أبنوس أمريكي على نوع تسميته العلمية (بيرا ابنوس *Byra ebenus*) من فصيلة الفول.

## الدلالة الخامسة للأبنوس:

تطلق تسمية أبنوس على جنس نباتي وصفه لينوس سنة ١٧٥٣ للدلالة على جنبات صغيرة أو أعشاب معمرة. يضم ١٨ نوعاً أغلبها تركية وبعضها منتشر في المنطقة المتوسطة إلى بلوجستانان. وواحد منها منتشر في مصر وليبيا في الأراضي المحجرة واسمه العلمي (أبنوس أرميتاجي *Ebenus armitagei*).

## خامساً: فصيلة الأبنوس:

تسميتها العلمية (إيبيناسية *Ebenaceae*) تسمية محفوظة على الصعيد العالمي (كونسيرفاتوم *conservatum*) مكونة من تركيب مزجي: بادته منسوبة إلى (أبنوس)، أبرز أنواع الفصيلة، ولاحقته (اسية) كاسعة تصنيفية للدلالة على وحدة الفصيلة. وهي فصيلة أشجار أو جنبات ثنائية الفلقة. مهودها المناطق الحارة، خشبها ملون بالأسود أو الأحمر أو الأخضر، تضم ستة أجناس موزعة على خمسين وثلاثمائة نوع. عرفت مستحاثاتها في الحقبة السينومانية (*Cenomanian*) من العصر الحواري (الكريتاسي). الأوراق جلدية متعاقبة بسيطة تامة عديمة الأذنان (جمع أذنة، وهي زائدة في قاعدة مِعلاق الورقة). الأزهار عادة وحيدة الجنس وحيدة المسكن شعاعية التناظر، ثلاثية إلى سباعية الأجزاء، منفردة أو مجتمعة في نورات تغلب عليها الأزهار الذكرية. الثمرة عنبية. تضم قرابة ستة أجناس موزعة على قرابة ٣٠٠ نوع، يشغل منها جنس (ديوسبيروس) قرابة ٢٥٠ نوعاً. أبرز أنواعها: الأبنوس المكاسار الأسود واسمه (ديوسبيروس/إيبينوم *Diospyros ebenum*) من الهند الشرقية. (ديوسبيروس كاكبي) وغيرهما.

## الخلاصة المستمدة من هذه الدراسة:

نخلص من هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- مغالاة المعجم الكبير في البحث في أصول كلمة أبنوس التاريخية وطريقة إعجامها وإهماله الدلالات المتنوعة لهذه التسمية. ووقوعه في أخطاء علمية في شكل الأوراق.

- وجود خمس دلالات علمية لتسمية أبنوس، واحدة منها تسمية عالمية لجنس نباتي والبقية تسميات لأنواع من فصيلة الأبنوس وفصيلة الفول.

- الأبنوس: تسمية متناقلة في كثير من اللغات لعدد من الأشجار الاستوائية المتممة غالباً إلى جنس تسميته العلمية (ديوسبيروس *Diospyros*). وهي تركيب مزجي لكلمتي حب الرب إشارة إلى القيمة الغذائية الكبرى لثمار بعض أنواعه).

- الساسم أو أبنوس السنغال: تسميته العلمية، دلبيرجية الخشب الأسود (دلبيرجيا ميلانوكسلون *Dalbergia melnoxylon*) من فصيلة الفول.

- الأبنوس الزائف: تسميته العلمية (لابورنوم أناجيروئيدس *Laburnum anagyroides*) نوع أوربي المهدد، مزروع بكثرة في الولايات المتحدة من فصيلة الفول.

- الأبنوس الأمريكي: تسميته العلمية (بيرا ابنوس *Byra ebenus*) من فصيلة الفول.

- أبنوس: تسمية علمية لجنس جنبات صغيرة أو أعشاب معمرة. يضم ١٨ نوعاً واحد منها في مصر وليبيا وهو (أبنوس ارميتاجي *Ebenus armitagei*).



## شرح بعض المصطلحات النباتية:

١- مَذَكَّرَةٌ (على وزن مَفْعَلَةٌ): *androecium* تركيب مزجي منحوت من كلمتي *andros*: بمعنى ذكر و *oekos*: بمعنى مَسْكَنٌ. وهو اسم مكان يطلق على جملة الأوراق الخصبية المذكورة في الزهرة المثلثة بما يعرف بالأسدية المتوضعة على كرسي الزهرة سوارياً أو حلزونياً. من المَذَكَّرَةِ ما هي منفصلة الأسدية (دياليسسيمون) كما في فصيلة الورد (روزاسية) أو ملتحمة الأسدية (غاموستيمون) كما في فصيلة الفول (فاباسية). وقد تلتحم المآبر وتبقى الخيوط حرة (سينانثير) كما في فصيلة البابونج (استيراسية).

٢- حامل المَذَكَّرَةِ (على وزن مَفْعَلَةٌ): *androphore*: محور في بعض أزهار مغلفات البذور مستمد من استطالة الرجليات الزهرية الحاملة للأسدية.

٣- مَأْنَثَةٌ (على وزن مفعلة): *gynoecium*: تركيب مزجي منحوت من كلمتي *gyn*: بمعنى أنثى و *oekos*: بمعنى مَسْكَنٌ. يطلق على جملة الأوراق الخصبية المؤنثة في الزهرة المثلثة بما يعرف بالكرابل المتوضعة على كرسي الزهرة سوارياً أو حلزونياً. من المأنثة ما هي منفصلة الكرابل (دياليكاريك) كما في فصيلة الورد (روزاسية) أو ملتحمة الكرابل (غاموكاريك) كما في فصيلة الفول (فاباسية).

٤- حامل المَأْنَثَةِ (على وزن مَفْعَلَةٌ): *gynophore*: محور في بعض أزهار مغلفات البذور مستمد من استطالة الرجليات الزهرية حاملة الكرابل.

٥- حامل المَذَكَّرَةِ والمَأْنَثَةِ *androgynophore*: محور في بعض أزهار مغلفات البذور مستمد من استطالة الرجليات الزهرية الحاملة للأسدية والكرابل أو الكربلات.



٦- كَرْبَلَة *carpel* : تسمية مستمدة من اليونانية *karpos* بمعنى ثمرة . تمثل وحدة المأنثة. وتتألف من مبيض وقلم وميسم وهي في رأي كاتب المقال مستمدة من العربية: قَرَبَة: وعاء من جلد يجعل فيه الماء أو اللبن أو نحوها، مكونة من بطن وقلم وسمة. جمع قرب وقربات.

٧- جَنْبَة: *scrub* : كل نبات خشبي لا يتجاوز طوله سبعة أمتار، ويمتاز بكل مواصفات الشجرة فهو شجرة صغيرة مثل جنبه الرمان (بونيكاً).

٨- عِدْقُ *corymb* في اليونانية *korumbos* بمعنى البارز: في اللغة: جمع أعذاق وعذوق. تطلق على: ١- عنقود النخل، ٢- كل غصن له شعب. ٣- في علم النبات: أحد أنماط النورات غير المحدودة. تحمل الأزهار على رجيلات غير متساوية الطول متفرعة عن المحور الرئيس بشكل طالت معه رجيلات الأزهار السفلى، وقصرت رُجَيْلاتها العليا مما يجعل جملة النورة في مستوى واحد مع تباينها في أماكن خروجها على المحور الرئيس. من أمثلتها الدارجة عذق الإجاص (بيروس) والتفاح (مالوس).



## مَصَاتِيرُ وَرُؤُوسُ الْجَمْعِ الْبَحْثِ

1. Loutfi Boulos, *Flora of Egypt, vol. I 1999, vol. II 2000, vol. III 2002. Vol. IV 2003. Hadara Publising .Cairo, Egypt .*
2. Le-Flok, E. *Contribution a une étude ethnobotanique de la flore tunisienne, Imprimerie Officielle de la Republique Tunisienne.*
3. Lowrence G., *Taxonomy of Vascular Plants, Macmillan, 1951.*
4. Mouterde P., *Nouvelle Flore du Liban et de la Syrie. Vol. I, 1966, Vol. II, 1970, Vol. III, 1983, DAR EL MASHREQ EDITEURS .Beyrouth, Liban.*
5. *Webster's Third New International Edition, 1971 U.S.A.*
٦. أحمد عيسى بك: معجم أسماء النبات ١٩٢٦.
٧. آل ياسين محمد: معجم النبات والزراعة، الجزء الأول، ١٩٨٦، الجزء الثاني، ١٩٨٩، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
٨. بابا محمد زهير: الاتنولوجيا النباتية - الموسوعة العربية، الجزء الأول، ص ٢٩٠-٢٩٤، ١٩٩٨.
٩. بوست ج.: نبات سورية وفلسطين والقطر المصري وبواديها، المجلد الأول، بيروت، ١٨٨٤.
١٠. شرف محمد: معجم العلوم الطبية والطبيعية، مكتبة النهضة، بيروت، بغداد، ١٩٢٩.
١١. الشهابي مصطفى: معجم الألفاظ الزراعية، طبعة ثانية، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية ١٩٥٧ م.
١٢. النميري حسن موسى: عالم النبات في الأدب العربي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، مديرية إحياء التراث العربي رقم (١٢٣) لعام ٢٠٠٦.

رسالة ابن كمال باشا في بيان أن صاحب علم المعاني يشارك اللغوي  
في البحث عن مفردات الألفاظ  
(عرض وتحقيق)

د. محمد الأمين بو علي (\*)

مؤلف الرسالة: (١)

هو أحمد بن سليمان بن كمال باشا زاده، الملقَّب بـ(شمس الدين)، ويُعرف بـ  
(ابن الوزير) نسبة إلى جدّه كمال باشا الذي كان من أمراء الدولة العثمانية في عهد  
السلطان (بايزيد الثاني) سنة ٨٨٦هـ.

اشتغل منذ مطلع حياته بالعلم، وولي القضاء في أدرنة، ثم في الآستانة.  
برع في علوم كثيرة، من فقه، وتفسير، وحديث، وتاريخ، ولغة، وكان متقناً  
للعربية، والفارسية، والتركية. وله في كل هذه العلوم تصانيف قيّمة ورسائل مهمة.  
وتوفي سنة ٩٤٠هـ.

---

(\*) باحث في اللغة والتراث من الجزائر.

(١) يُنظر في ترجمته: الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده ص ٢٢٦، وشذرات الذهب لابن العماد ٨:

٢٣٨، ومجلة المقتبس مج ٧، ج ١٠، والأعلام للزركلي ١: ١٣٣.

## لمحة إلى الرسالة:

تقع النسخة المخطوطة للرسالة ضمن مجموع يضم عددًا من رسائل ابن كمال باشا، محفوظ في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، تحت الرقم ٤٨٦١، وتشغل الرسالة من المجموع المذكور ثلاث ورقات، وفي كل ورقة عمودان، يضم كل عمود نحو واحد وثلاثين سطرًا.

وقد ذكر الدكتور محمد حسين أبو الفتوح أنه اعتمد على هذه المخطوطة إضافة إلى مخطوطتين غيرها في تحقيق هذه الرسالة ورسالتين آخرين هما: رسالة في تحقيق وضع «كاد» وتوضيح طريق استعماله، والفرق بين «من» التبعية وال«من» التبيينية. ونشر النص المحقق تحت عنوان: ثلاث رسائل في اللغة لابن كمال باشا. (٢)

ولست في مقام النقد لعمل المحقق، فقد بذل جهدًا طيبًا، أفدت منه في إعادة تحقيق الرسالة المذكورة، متخذًا من مخطوطة جامعة الملك سعود أصلًا للتحقيق، محاولاً أن أستدرك ما اعتقدت أنه فات المحقق، مع اعترافي بجهدته وفضله. ونظرًا إلى أن الرسالة تسودها الصبغة المنطقية الصارمة، ونزعة التقسيم والتفريع التي تغلب على أسلوب المشتغلين في الفقه وأصوله، فقد بذلت جهدي في استخلاص مضمون الرسالة وعرضه بأسلوب معاصر تتحقق فيه الفائدة بإذن الله، دون الإشارة إلى الخلاف مع المطبوع، لأن ذلك متاح للقارئ، إذ يستطيع العودة إلى المطبوع والوقوف بنفسه على أوجه الخلاف.

(٢) صدر الكتاب في بيروت عام ١٩٩٣ عن مكتبة لبنان ناشرون.

## مضمون الرسالة:

في هذه الرسالة يضع ابن كمال باشا حدوداً واضحة لاختصاصات عالم اللغة، وعالم النحو، وصاحب علم المعاني، عندما ينظر كلٌّ منهم في التراكيب. فيرى أن عالم اللغة يختص بالنظر في المادة اللغوية للكلمة، وبنائها الصرفي، وموقعها من الاشتقاق.

أما عالم النحو فينظر في العلاقات التركيبية بين الألفاظ، ويُصنّف تلك العلاقات في سياق الصحة والفساد، والدلالة الحقيقية والمجازية.

وأما صاحب علم المعاني فينظر في المفردات والعلاقات التركيبية من جهة الفصاحة، والحسن والقبح، ويندرج تحت الحسن والقبح مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ففي قولنا مثلاً: بكتِ السماءُ فابتسمت لبكائها قلوبُ البشر، ينظر عالم اللغة في المادة اللغوية للألفاظ المستعملة وهي: «بكت والسماء وابتسمت ولبكاء وقلوب والبشر» فيربط هذه المفردات بأصولها المعجمية.

ثم يحدّد الأبنية الصرفية للألفاظ السابقة، ودلالة تلك الأبنية، وما حصل فيها من إعلال وإبدال وحذف وما يتصل بذلك.

وينتهي بتحديد نوع البناء الذي تنتمي إليه، وأصولها المصدرية أو الاشتقاقية،

على النحو:

- بكت: فعل ماضٍ ثلاثي مجرد، معتل ناقص، أصله: بكى، قُلبت يَأُوهُ أَلْفَا، لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حُذفت لالتقاء سكونها بسكون تاء التأنيث، فهو على وزن: فَعَت.

- والسماء: وزنها: الفَعَال، وأصلها: سَمَاو، من سما يسمو إذا ارتفع، أُبدلت واؤها همزة لتطرفها بعد ألف، وسمّيت بذلك لسموِّها وارتفاعها.

- وابتسمت: فعل ماض على وزن: افْتَعَلْتُ، فهو ثلاثي مزيد بالألف والتاء، والزيادة فيه لمعنى المبالغة.
- والبُكاء: مصدر للفعل: بكى يبكي، وزنه: الفُعال، أصله: بُكاي، أُبدلت ياءه همزة لتطرفها بعد ألف.
- والقلوب: جمع كثرة مفردة: قَلْب. والقلبُ: لطيفة ربّانية تُدرِكُ بها حقائق الأشياء. فهو في الأصل مصدر قلب يَقلبُ، عبّر به هنا عن اسم الذات، لدلالته على اللطيفة الربّانية المُدرِكة.
- والبَشَر: اسم جمع يقع على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث، سُمّوا بذلك لظهورهم، من البَشَر وهو الظهور.<sup>(٣)</sup>
- وينظر النحوي في العبارة السابقة إلى ما تحويه من حروف وأفعال وأسماء، وإلى العلاقة بينها، وإلى نوع الجمل المُستعملة وعددها وعناصرها.
- فالعبارة في نظره مؤلفة من جملتين فعليتين، الأولى: بكت السماء. والثانية: ابتسمت لبكائها قلوب البشر. والرابط بين الجملتين فاء الاستئناف التي تُفيد السببية، أي إن بكاء السماء سبب لابتسام قلوب البشر لاستبشارهم بالخير.
- والجملة الأولى فعلية مؤلفة من فعل ماض «بكت» مبني على الفتح المقدّر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، وفاعل مجازي هو «السماء»، مرفوع بالضمّة.
- والجملة الثانية فعلية مؤلفة من فعل ماض «ابتسمت» مبني على الفتح والتاء للتأنيث، وفاعل مجازي هو «قُلُوبُ» مرفوع بالضمّة، وهذا الفاعل مضاف إلى البشر إضافة حقيقية لتحديد ماهيته، وجارٌّ ومجرور «لبكائها» أدّيا وظيفه المفعول لأجله، إذ أفادت اللام السببية والتعليل لدخولها على البكاء وهو معنى.

(٣) يُنظر مقاييس اللغة لابن فارس (بشر).

وينظر صاحب علم المعاني في فصاحة الألفاظ المستعملة، أي في خُلُوقها من تنافر الحروف، وبُعدها عن الغريب غير المألوف، ومناسبة موسيقاها ومعناها للدلالة العامة للتركيب، ويحكم عليها بالفصاحة أو عدمها. والألفاظ في العبارة السابقة فصيحة مانوسة، ومناسبة للدلالة للعامة.

ثم ينظر في العلاقة التركيبية بين مكونات العبارة السابقة من جهة الحُسن والقُبْح، عن طريق المقارنة بين طريقة التعبير المستعملة وبين طرائق التعبير المتاحة. ففي «بَكَت السماء» أُسند فعل البكاء إلى السماء، وهو إسناد صحيح مبني على مجاز علاقته المشابهة،<sup>(٤)</sup> وهذا الإسناد حَسَنٌ لأنه يُفضي إلى تحيُّل صورة لا نجد لها في التعبير المباشر بقولنا: هطل المطرُ.

وكذلك الحال في الجملة الثانية حيث أُسند الابتسام إلى القلوب، وهو إسناد مجازيٌّ صحيح علاقته المشابهة، أفضى أيضًا إلى صورة مُتخيَّلة. ثم في إضافة القلوب إلى البشر جمالٌ مستوحى يتمثل في إضافة صفة الابتسام إليهم، وهذا يُتيح تخيُّلهم وفق صورة محببة إلى النفس، لأننا نتخيَّل قلوبًا تبسم وأصحابها كذلك.

واستعمال الجار والمجرور «لِبُكائِها» أكسب الجملة حُسنًا من جهة المفاجأة، إذ من غير المتصوَّر أن يكون البكاء سببًا للابتسام، وهو حاصلٌ كما تدلُّ الجملة، مع أن الجار والمجرور لم يُفيدا معنًى جديدًا، بل أفادا توكيد السببية المستفادة من اقتران الجملتين اللتين تتألف منهما العبارة السابقة.

وأخيرًا يرى صاحب علم المعاني أن المتكلم اختار التعبير بالجملة الفعلية،

(٤) يُعبَّر عن هذا المجاز في علم البيان بالاستعارة المكنية. ويُشار إلى أن وظيفة صاحب علم المعاني تنتهي عند إدراك العلاقات المجازية وأجزاء الإسناد، أما الخوض في تفاصيل الصور ودلالاتها ومزاياها الجمالية فمجال عالم البيان.

لأنه قصد الدلالة على الحدوث والتجدد،<sup>(٥)</sup> وكأن الصور التي تدلّ عليها العبارة تحدث أمام القارئ وعلى مرأى عيونه.

مما سبق يتضح بصورة عملية مجالات النظر لكل من عالم اللغة، وعالم النحو، وصاحب علم المعاني. وهذا ما أراده ابن كمال باشا بما قرّره نظرياً في رسالته.

وبعد أن حدّد ابن كمال باشا اختصاصات اللغوي والنحوي وصاحب علم

المعاني استطرده في بيان الفرق بين نظراتهم إلى الألفاظ وعلاقتها التركيبية على النحو:

١ - عالم اللغة يهيمه أن تكون الألفاظ مستعملة بحسب معنى وُضعت للدلالة عليه حقيقةً أو مجازاً، لذلك لا يلتفت إلى الألفاظ التي تُستعمل لمجرد الإتيان، كما في قولهم: فلانٌ جائعٌ نائع،<sup>(٦)</sup> ولا يلتفت أيضاً إلى الألفاظ التي شاعت على الألسنة واشتقاقها غير صحيح كـ «انعدم» وما يجري عليه من مصادر ومشتقات، وقصة هذا الفعل أنه صيغ ليكون مُطاوِغاً للفعل «عَدِم»، كما في: كسرته فانكسر، ولكن يُشترط في صحة هذا الاشتقاق أن يكون الثلاثي علاجياً ذا أثر محسوس، على حين أن «عَدِم» ليس كذلك، فلم يصح عند اللغويين «انعدم» مع شيوعه في الاستعمال.

وصاحب علم المعاني يقبل كل ما هو مستعمل، بقطع النظر عن صحّة ووضعه، أو دلالته على معنى محدّد، كما في النوعين السابقين، وينطلق من أن: الخطأ المستعمل أولى من الصواب النادر.<sup>(٧)</sup>

(٥) في علم المعاني: الجملة الفعلية موضوعة للدلالة على الحدوث والتجدد، والجملة الاسمية موضوعة للدلالة على الاستمرار والثبوت.

(٦) يُنظر أدب الكاتب لابن قتيبة ١: ٣٩. وكلمة «نائع» ليس لها معنى في ذاتها، وإنما ذُكرت إتياناً لكلمة «جائع» للتأكيد والمبالغة في تصوير شدة الجوع.

(٧) هذا رأي ابن كمال باشا في رسالته، علماً أن هذا الرأي لا يوافق عليه عامة المشتغلين في علم المعاني.



٢- عالم النحو ينظر في العلاقة بين الألفاظ من جهة الصحة والفساد، أي من جهة مناسبتها للمعنى المراد أو عدم مناسبتها، ولا يهيمه الحُسن والقُبْح، على حين أن صاحب علم المعاني يهتم بأن تُفضي العلاقات داخل التركيب إلى الحُسن. ولهذا قيل: علمُ المعاني تمامُ علم النحو، أي إن نظر النحوي وصاحب علم المعاني يُكْمَلُ أحدهما الآخرَ، فلا حُسنَ في المعاني من دون علاقات صحية بين عناصر التركيب، ولا قيمة بلاغية في صحة العلاقات من دون أداء معنَى حسن.

٣- تطرق بعد استطراده السابق لعلم المحاضرة وعلاقته بعلم المعاني. فعرّف هذا العلم، وذكر مجالته، وتحدّث عن اتصاله بعلم المعاني وافتراقه عنه. وعلم المحاضرة عرّفه ابن كمال باشا في هذه الرسالة بقوله: «عبارة عن ملكة استحضار للمواد المناسبة لكل واحد من مقام الجدّ والهزل، والمدح والذم، والشكر والشكاية، والترغيب والترهيب، والتهنئة والتعزية، ونحو ذلك».

وعرفه طاش كبرى زادة بقوله: «هو استعمال كلام البلغاء في أثناء الكلام في محل مناسب له على طريق الحكاية، وإن ذلك العلم يراد به تكوين ملكة يراد بها الاحتراز من الوقوع في الخطأ عند نقل الكلام عن الآخرين، على ما يقتضيه مقام التخاطب، من جهة معانيه الأصلية، ومن جهة خصوص ذلك التركيب نفسه».<sup>(٨)</sup> ونقل السيوطي تعريف المحاضرة عن بعض المؤلّفين بأنها: «ما تُحاضر به صاحبك من نظم أو نثر، أو حديث أو نادرة أو مثل سائر».<sup>(٩)</sup>

يتضح من التعريفات السابقة أنه علم يعتمد على الحفظ والدراية وحسن المجالسة والإلقاء، والخبرة في صوغ الكلام وإيراد الشواهد والمحفوظات بحسب

(٨) مفتاح السعادة ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٩) المحاضرات والمحاورات للسيوطي ص ٢.

المقام والمناسبة. وهو العلم الذي تتجلى فيه ثمرات الثقافة الواسعة والتمكّن من العلوم، واللباقة في جذب القلوب وإيصال المعلومات.

ولأهمية هذا العلم جعله الزمخشري النوع الثاني عشر من علوم العربية وهي: علم متن اللغة، وعلم الأبنية، وعلم الاشتقاق، وعلم الإعراب، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم العروض، وعلم القوافي، وإنشاء النثر، وقرض الشعر، وعلم الكتابة، وعلم المحاضرات.<sup>(١٠)</sup>

كان هذا أهمّ ما في الرسالة من معلومات وفكر، أردت عرضها قبل النص المحقق، لتكون عوناً للقارئ على فهم الرسالة التي تسودها الصبغة المنطقية، كما ذكرت. والله الموفق وبه أستعين.

هذه رسالة في بيان أن صاحب علم المعاني يشارك اللغوي

في البحث عن مفردات الألفاظ

لابن كمال باشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم أن صاحب علم المعاني يُشارك اللغوي في البحث عن مفردات الألفاظ المستعملة في كلام العرب، إلا أن اللغوي يبحث عنها من جهة مادتها في علم متن اللغة، ومن جهة هيئتها في علم الصرف، ومن جهة نسبة بعضها إلى بعض في علم الاشتقاق.

(١٠) القسطاس في علم العروض ص ١٥-١٦.

وصاحب المعاني يبحث عنها من جهة فصاحتها وعدم فصاحتها، وحُسنها وقُبْحها.

والفصاحة لا تستلزم الحُسن، فإن اللفظ الفصيح يختلف حاله حُسنًا وقُبْحًا باختلاف المقام، أعني موضعه من الكلام، فكم من لفظٍ فصيحٍ حَسَنٍ<sup>(١١)</sup> في مقام وهو بعينه قبيحٌ في مقام آخر، ذكره الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز، وقال: «ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضع آخر». ثم أورد أمثلة يطول بذكرها الكلام.<sup>(١٢)</sup>

ثم إن الاعتبار عند صاحب علم المعاني الاستعمال دون الوضع، والاشتهار دون الصحة، وإنما قلنا الاستعمال دون الوضع، لأن الأول قد ينفك عن الثاني، فإن الألفاظ المستعملة في كلام العرب قد لا يكون لها وضعٌ لمعنى من المعاني، كالذي يُذكر إتباعًا، وذلك كثير.

(١١) في المطبوع: حَسَن.

(١٢) دلائل الإعجاز ص ٤٦ - ٤٧. ومن الأمثلة التي أوردها عبد القاهر الجرجاني في هذا الموضع كلمة «شيء» قال: «ومن أعجب ذلك لفظة الشيء-ء فإنك تراها مقبولة حسنة في موضع، وضعيفة مستكرهة في موضع. وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

وَمِنْ مَالِيٍّ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدَّمَى

وإلى قول أبي حية، من الطويل:

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

فإنك تعرف حسنهما ومكانهما من القبول. ثم انظر إليها في بيت المتنبي، من الطويل:

لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَارُ أَبْغَضَتْ سَعِيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَارِ

فإنك تراها ثقل وتضؤل بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم. وهذا باب واسع».

منها لفظ «الدَّاج» في قولهم: «هؤلاء الدَّاجّ وليسوا بالحاجّ». ذكره صاحب الكشاف في تفسير سورة البقرة. (١٣) وقال الشراح: إنه إتياع. وعند الجوهري هو بمعنى: الأعوان والمكازون، وما هو من قبيل الإتياع. وأمّا الحديث: «ما تركتُ من حاجةٍ ولا داجةٍ إلا أتيتُ» فهو مخفَّفٌ إتياعٌ للحاجة. (١٤)

وإنما قلنا الاشتهار دون الصحة، لأن الأول قد يتحقق دون الثانية، كما في الغلط المشتهر بين القوم، الدائر على ألسنتهم، قال صاحب الكشاف: «والانعدام وإن كان من الألفاظ المحدثّة فإن أهل اللغة لم يُجوّزوا عَدِمَتُهُ فاعَدَمَ؛ لأن عَدِمَتُهُ بمعنى لم أجده، وحقيقته تعود إلى قولك: فاتت، وليس له مطاوع، فكذا لَعِدِمْتُ، إذ ليس فيه إحداث فعل. وذكر في المفصل: ولا يقع، يعني انفعال، إلا حيث يكون علاج وتأثير، ولهذا كان قولهم انعدم خطأ، (١٥) إلا أنه لما شاع استعماله في الكتب صار استعماله أولى من غيره؛ لأنه أقرب إلى الفهم. ولهذا قيل الخطأ المستعمل أولى من الصواب النادر» إلى هنا كلامه. (١٦)

وبما قرّرنا أنّصح فرق آخر بين بحث صاحب المعاني وبحث اللغوي، مما (١٧) يتعلق بمتن اللغة، من حيث إن اللفظ الذي لا وُضع له، وإن كان مستعملاً

(١٣) الكشاف للزمخشري ١: ٣٤٧.

(١٤) الصحاح (دجج) وفي الأصل اضطراب في هذا الموضع، والتصحيح من صحاح الجوهري. وورد في المطبوع بعد لفظ «الإتياع»: هو الداجة مخفّفاً، يُقال: ما تركتُه من حاجةٍ ولا داجةٍ إلا أتيت. ولم يُذكر في المطبوع الحديث المثبت هنا.

(١٥) المفصل للزمخشري ص ٣٧٣.

(١٦) هذا الاقتباس لم أقف عليه في الكشاف، وهو موجود في كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي ١: ٣٠٨-٣٠٩.

(١٧) في المطبوع: عمّا.

ك«الدَّاج»، والذي لا صحَّةَ له وإن كان مشتهراً ك«انعدم»، ساقطٌ من اعتبار اللغوي، غير مُلتفتٍ إليه عنده، بخلاف صاحب المعاني. ويُشارك<sup>(١٨)</sup> النَّحْوِيَّ في البحث عن المُركَّبات، إلا أن النَّحْوِيَّ يبحث عنها من جهة هيئاتها التركيبية صحَّةً وفساداً، ودلالة<sup>(١٩)</sup> تلك الهيئات على معانيها الوضعية على وجه السَّداد.

وصاحب المعاني يبحث عنها من جهة الحُسن والقُبْح<sup>(٢٠)</sup>. وهذا معنى كون علم المعاني تمامَ علم النحو. ومَنْ وَهَمَ أَنه مجرد دعوى فقد وَهَمَ. ومن جهة المزيَّة، على ما صرح به الشيخ في دلائل الإعجاز: إنه خصوصية في كيفية النظم، وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض. ومرادهم من النظم في أمثال هذا المقام توخي معاني النحو فيما بين الكلام<sup>(٢١)</sup> حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام.<sup>(٢٢)</sup> والنظم بهذا المعنى أسُّ البلاغة، وأم الإعجاز، صرح به صاحب الكشاف.<sup>(٢٣)</sup>

(١٨) أي صاحب علم المعاني.

(١٩) في المطبوع ودلالة بالرفع.

(٢٠) يوجد في المطبوع في هذا الموضع إضافة مطولة ليست في الأصل وهي: من جهة حُسن النظم، المعبر عنه بالفصاحة في التركيب وقبحه، ومرجع تلك الفصاحة إلى الخلوّ عن التعقيد، فيما يُبحث عنه في علم النحو من جهة الصحة والفساد، ويُبحث عنه في علم المعاني من جهة الحُسن والقبح. والسياق يدل على أن هذه الزيادة لا حاجة إليها، والغالب أنها من تعليقات الشَّراح والكتّاب.

(٢١) في المطبوع: الكلم.

(٢٢) يُنظر دلائل الإعجاز ص ٨١.

(٢٣) لم أعر على هذه الفكرة في الكشاف.

ومن جهة الإفادة للخواص الخطابية، وهي ما يسبق من التركيب إلى فهم العارف عند سماعه، جاريًا مجرى اللازم له، لا لذاته بل لصدوره عن البليغ. وإنما قيّدنا الخواص بالخطابية، احترازًا عن الخواص الاستدلالية، فإنها بمعزل عن نظر صاحب علم المعاني.

وما سبق إلى وهم السكاكي من أن باب الاستدلال من أجزاء علم المعاني، حيث [قال] في حقه «علم تراه أيادي سبأ، فجزء حوته الدّبور، وجزء حوته الصّبا. انظر باب التحديد فإنه جزء منه في أيدي من هو؟ انظر باب الاستدلال فإنه جزء منه في أيدي من هو»؟<sup>(٢٤)</sup> فمن خطرات وساوسه.<sup>(٢٥)</sup>

وإذا تحقّق ما قرّرناه فقد ظهر عندك أن التراكيب الخالية عن الفصاحة ساقطة عن نظر صاحب المعاني دون النحوي، وكذا التراكيب الفصيحة التي لا مزية في نظمها ساقطة عن نظر الأول دون الثاني، وكذا التراكيب التي لا حظّ لها من الخواص الخطابية. ومن هنا تبين أن موضوع علم النحو أوسع دائرة من موضوع علم المعاني، فمَن وَهَمَ أن البحث فيهما عن المركبات على الإطلاق - إلا أن النحوي ينظر إلى هيئاتها التركيبية وتأديتها المعاني الأصلية، وصاحب المعاني ينظر إلى إفادتها المعاني المغايرة لأصل المعنى<sup>(٢٦)</sup> - فقد وهم، لأن مبنى ما ذكر على أن يتحدّ العلمان المذكوران في ذات الموضوع، بأن تكون المركبات كلها موضوعًا لهما، وقد عرفت عدم صحة ذلك المبنى.

(٢٤) يُنظر مفتاح العلوم للسكاكي ص ٥٣٢.

(٢٥) في المطبوع تأتي بعد هذه الكلمة مباشرة الفقرة التي تبدأ بقول المؤلف: وأغرب منه قوله بعده: تصفح معظم أبواب... والترتيب المثبت هو الصحيح ويوافق الأصل.

(٢٦) في المطبوع: المعاني.

وأغرب منه قوله بعده: تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي ومن يتولاها؟<sup>(٢٧)</sup> أراد أن مباحث الحقيقة والمجاز والصريح والكناية ونحوها من هذا العلم، وقد تولاها صاحب علم الأصول.

ومنشأ ذلك القول العُقول عن استمداد بعض العلوم من بعض. فإن تلك المباحث قد أوردت في علم الأصول على سبيل الابتدئية. يتأدى على ذلك تسميتهم إياها بالمبادئ اللغوية، فليس فيه بشيء من الضيم لعلم البلاغة، كما توهم ذلك المصنف، قال: لا ترى علمًا لقي من الضيم ما لقي.<sup>(٢٨)</sup> ثم ذكر ما نقلناه عنه آنفًا.

بقي ههنا شيء آخر لا بدّ من التنبيه عليه وهو أنه قد يُبحث في علم المعاني عن المدلولات الوضعية والمعاني اللغوية للألفاظ المفردة والهيئات التركيبية، كالتأكيد فإنه يُبحث عنه من جهة أنه مدلول «إن» واللام والجملة الاسمية. وهذا النوع من البحث لا بدّ منه لصاحب علم المعاني لمعرفة وجه تطبيق الكلام على مقتضى المقام، فإنه ما لم يعلم ما الذي يدل على التأكيد لا يحصل له<sup>(٢٩)</sup> وجه تطبيق الكلام على مقتضى مقام التأكيد، فيتراءى من البحث فيه عن المعاني الوضعية للألفاظ المفردة، والهيئات المركبة، المشاركة<sup>(٣٠)</sup> بينه وبين علمي اللغة والنحو من جهة أخرى.

وإنما قلنا من جهة أخرى، لأن المشاركة المذكورة فيما سبق في ذات الموضوع، وهذه في نفس المسألة. وليس الأمر على ما ظهر في بادئ النظر، فإن المنظور فيه في

(٢٧) يُنظر مفتاح العلوم للسكاكي ص ٥٣٢.

(٢٨) الصفحة ذاتها من المصدر نفسه.

(٢٩) في المطبوع زيدت كلمة: معرفة في هذا الموضع.

(٣٠) في المطبوع: المشاركة بكسر الراء.

علم المعاني الوضعية التي هي مقتضيات المقام كالتأكيد المذكور، والإشارة إلى القريب والبعيد والمتوسط، المقصود بهذا وذلك وذلك.

وأما كون تلك المعاني مدلولات الألفاظ والهيئات فخارج عن وظيفته، وإنما يُذكر فيه على وجه المبتدئية، لما مرّ أنه لا بدّ من معرفته في حصول الغرض منه، وهو الاحتراز من الخطأ في تطبيق الكلام على مقتضى المقام. وهذا جهة استمداد علم المعاني من العلمين المذكورين، ولم يتنبه لما قرّناه. (٣١)

قال في شرحه (٣٢) صاحب المفتاح: وإن يقصد بذلك - يعني بإيراد المسند إليه اسم إشارة -، بيان حاله في القرب والبعد والتوسط، كقولك هذا وذلك وذلك، فإن جعل القرب والبعد والتوسط داخله في معاني أسماء الإشارة كان هذا بحثاً نحوياً (٣٣)، ذكر توطئة لما يتفرّع عليه من مباحث الخواص [الخطابية]، وإن جعلت خارجة عنها يقصدها البلغاء بحسب مناسبة الألفاظ في القلة والكثرة والتوسط كان من علم المعاني. (٣٤)

ثم إنه غفل عما ذكره في الحاشية المنقولة عنه في ترجيح قوله لمعانٍ مغايرة الأصل المعني، على قولهم: لمعانٍ زائدة على أصل المعني بهذه العبارة، لم يقل بمعانٍ زائدة على أصل المعني كما هو المشهور، يشمل المعاني التضمينية، إذ موجب عدم الفرق بين جعل القرب والبعد والتوسط داخله في معاني أسماء الإشارة، وجعلها خارجة عنه في كونها من علم المعاني على رأيه لتتحقق المغايرة لأصل المعنى على كلا التقديرين.

(٣١) أي السكاكي.

(٣٢) أي في شرح ما تقدم من التأكيد والإشارة.

(٣٣) في المطبوع: لغوياً.

(٣٤) مفتاح العلوم للسكاكي ص ٢٧٦.



فإن قلت أليس علم المعاني يُشارك علم المحاضرة أيضًا، حيث لا بدّ في كلّ منهما من تتبّع مقتضيات المقامات؟

قلت: هذا هو الظاهر في بادئ النظر، والحق وراء ذلك، وتحقيقه يستدعي نوع بسط في الكلام بتفصيل حقيقة دينك العلمين. فنقول وبالله التوفيق: علم المحاضرة: عبارة عن ملكة استحضر للمواد المناسبة لكل واحد من مقام الجذّ والهزل، والمدح والذم، والشكر والشكاية، والترغيب والترهيب، والتهنئة والتعزية، ونحو ذلك، سواء كانت تلك المواد مرتبة على نهج البلاغة، مصبوبة في قالب إفادة الخواص الخطابية، أو لم تكن كذلك.

فصاحب علم المحاضرة، من حيث إنه صاحبه، لا يلزم أن يكون بليغًا، لتحصل له الملكة المذكورة. وإذا تقرّر هذا فرأس مال المحاضرين الاستحضار المذكور.<sup>(٣٥)</sup> وأما معرفة المقامات المذكورة وما بينها من الفروق، ومعرفة مقتضياتها وتمايز بعضها عن بعض، فحاصلة لكل لبيب، من شأنها أن تُعدّ من أجزاء علم من العلوم المدوّنة، بخلاف معرفة المقامات المذكورة في علم المعاني، ومعرفة ما بينها من الفروق الدقيقة، ومعرفة مقتضياتها المبنية على الاعتبارات اللطيفة، ممتازًا بعضها عن بعض، فإنها نظرية لا تحصل بطريق الكسب إلا للأفهام المجبولة بطبعها على السلامة والسداد. وإنما قلت بطريق الكسب لأن حصولها بطريق عام للبلغاء [هو] السليقة من عامة الأعراب. وهذا لا يُنافي نظريتها نظرًا إلى من لا يقدر على تحصيلها إلا بالكتب، فلذلك أي كون المعرفة المذكورة نظرية<sup>(٣٦)</sup> كانت داخلية في حقيقة علم المعاني.

(٣٥) في الأصل: فيكون صاحب علم المحاضرة رأس المحاضرين، إذا تقرّر هذا الاستحضار المذكور. والتصحيح من المطبوع.

(٣٦) في الأصل: نظن. والمثبت موافق للمطبوع.

وبهذا التفصيل تبين أن علم المعاني لا يُشارك علمَ المحاضرة، لما عرفت أن ما فيه الاشتراك بين صاحب علم المعاني، وصاحب علم المحاضرة، هو المعرفة الخارجة عن حدِّ ذنك العلمين.

وأما وجه الاشتراك بين علم المعاني وعلم البيان، وجهُ الامتياز بينهما، فمذكورتان في الكتب المتداولة بين الناس، وقد فرغنا من تحقيق تينك الجهتين بتفصيل مُشبع في بعض تعليقاتنا.

واعلم أن نسبة هذين العلمين إلى البلاغة - وهي ملكة الاقتدار على إيراد كل كلامٍ يُعتنى به على وفق القوانين المذكورة في العلمين المذكورين - نسبة القوافي والعروض إلى قرض الشعر. وكما أن العالم بهما لا يلزم أن يكون شاعراً، فكذلك العالم بذنك العلمين لا يلزم أن يكون بليغاً. وهذا هو السر في أن كثيراً من مَهْرَتِها لا يقدر على تأليف كلام بليغ.

وقرّض الشعر في اللغة: بمعنى قول الشعر خاصةً، ذكره الجوهري. ومن ذهب إلى هذا المعنى ذهبَ إلى القرض المضاف إلى الشعر بمعنى القطع، حيث قال: «القرض: القَطْع. والقريض: الشعر، لأنه قُطِع قطعاً». فصرف إطلاق المذكور عن وجهه، فإنه كان بحكم الوضع الخاص، وعلى ما ذكره يكون بحكم الوضع العام. وفيه شيء آخر وهو أن القرض المذكور لو كان بمعنى القَطْع لكان علم العروض أحقَّ بذلك الاسم.

ثم إن إطلاق القريض على الشعر بطريق الاستعارة صرح به الإمام الميداني في مجمع الأمثال، حيث قال في شرح المثل القائل: «حَالُ الجَرِيضِ دُونَ القَرِيضِ»: الجَرِيضُ: من الغصّة، من الجرّض وهو الرّيق يغصّ به. والقَرِيضُ: الشّعر. وأصله جِرَّة البعير. وحال: منع. (٣٧)

ومن هنا تبين خلل آخر في القول المذكور، لأن مبناه على أن يكون القريض المطلق على الشعر من القرض بمعنى القطع. وإذا عرفت أن قرض الشعر - كقرينة - وهو إنشاء الشعر: من قبيل العمل، فقد تحققت أن إضافة العلم إليه كإضافته إلى إنشاء النثر في قولهم: «ما يختص فيه البحث بالمشور علم إنشاء النثر». ومن فرق بينهما حيث قال في الأول: أو يختص بالمنظوم، فالعلم المسمى بقرض الشعر لم يصب فيه. فإن قلت هل فرق بين قولهم: علم قرض الشعر، وقولهم: علم الشعر؟<sup>(٣٨)</sup> قلت: نعم، فإن الثاني يتناول علمي العروض والقافية، بخلاف الأول. وكذا ذكروا عند تعداد العلوم الأدبية: علم قرض الشعر، دون علم الشعر. قال العلامة الزمخشري في رسالته الموسومة بالزاجرة للصغار عن معارضة الكبار: العلوم الأدبية ترقى إلى اثني عشر صنفاً، [وعدّ كل واحد من العلوم الثلاثة المذكورة صنفاً]<sup>(٣٩)</sup> مستقلاً. ولو كان أحد المعدودين علم الشعر لما صحّ. ونظير الفرق المذكور الفرق بين علم متن اللغة وعلم اللغة، فإن الثاني في تناوله علمي الصرف والاشتقاق أعم من الأول.

تمت الرسالة بحمد الله



(٣٨) في الأصل: قولهم على قرض الشعر. والمثبت موافق للمطبوع.

(٣٩) زيادة من المطبوع.

## مِصْرُ أَوْ رُومِ الْجَمْعِ الْبَحْثُ

- أدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط٤، المكتبة التجارية بمصر ١٩٦٣م.
- الأعلام لخير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.
- شذرات الذهب لابن العماد، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٠هـ.
- الشقائق النعمانية لطاش كبرى زادة، بيروت، دون تاريخ.
- القسطاس في علم العروض، للزخشي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٨٩.
- الكشف، للزخشي (٤٦٧-٥٣٨هـ)، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٦هـ.
- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري (المتوفى: ٧٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
- مجلة المقتبس مج٧، ج١٠.
- المحاضرات والمحاورات، للسيوطي، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٢٤هـ.
- مفتاح العلوم للسكاكي، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.
- المفصل في صنعة الإعراب، للزخشي جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: د. علي بو ملحم، ط١، مكتبة الهلال، بيروت ١٩٩٣م.



## دراما الحركة والثبات في نونية تميم بن أبي بن مقبل

د. سمر الديوب (\*)

### ملخص

ينطلق هذا البحث من فكرة أن النص الشعري عامل فاعل في الكشف عن ذات المبدع؛ لقدرة الخطاب الشعري على التكثيف اللغوي؛ إذ تغدو اللغة شبكة معقدة الدلالات. ولما كانت لغة الشعر غنائية<sup>(١)</sup> بالدرجة الأولى اقتضى ذلك حجب المعنى، وتغييبه؛ لذا يهدف هذا البحث إلى الكشف عن هذا المغيب عن طريق دراسة العلاقات المتشابكة بين الزمان والمكان والشخصيات، تلك العلاقات التي يحكمها التضاد، والصراع اللذان يولّدان حركة درامية يمكن أن نسميها بـ: دراما الحركة والثبات.

---

(\*) أستاذ مساعد - جامعة البعث - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية - حمص.

(١) من المعروف أن مقولة الغنائي قد انتسبت إلى الثلاثية اليونانية: «ملحمي، تراجمي، غنائي» وقد عُرف الشعر الغنائي أنه ترجمة للمشاعر والعواطف، وأنه شخصية الشاعر، وأناه الفردية، والأثر الأدبي الذي يتكلم فيه الشاعر بمفرده. وقد جرى فيما بعد مماثلة الغنائي بمقولات الوجداني، والذاتي، والعاطفي، ونقلت جهود جيرار جينيت، وتزفيتان تودوروف، وغيرهما تقسيم «ملحمي، درامي، غنائي» إلى ثنائية «محاكاة، وتخييل» على أساس السرد، ويتعين على ذلك أن الغنائي يعود إلى مقولة النوع غير التخيلي.

ويبدو لمن يُمعِنُ في النظر في نونية تميم بن أُبيِّ بن مقبل أن لغته تتجاوز الذات الفردية، وتتجه إلى مَنْ يحيط بها من ذوات، وإلى ما تحيل عليه كل ذات من مشاعر تتشابك؛ لتشكل موقفاً درامياً يكسر حاجز الغنائية؛ إذ تتعالى في هذه القصيدة ظواهر التصادم الدرامي، والموقف الدرامي، والحدث الدرامي، فتبدو حركة الشاعر مقابل حركة الآخر حركة درامية تمتد خيوطها في اتجاهات متقابلة، أو متوازية، وتبدو اللغة كائناً قادراً على استحضر خطاب الصمت أكثر من خطاب البوح.

#### ١ - التعريف بالشاعر

هو تميم بن أُبيِّ بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان، وهو عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. يكنى أبا كعب، أو أبا الحرّة<sup>(٢)</sup>. وهو شاعر مخضرم جاهلي إسلامي<sup>(٣)</sup> أوردت له كتب الأدب<sup>(٤)</sup> خبر تفريق الإسلام بينه وبين الدهماء -زوج أبيه سابقاً- وقد كانت من عادة العرب تزويج

(٢) أبو جعفر، محمد بن حبيب ت: ٢٤٥هـ: كُنَى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه، المجموعة السادسة من نواذر المخطوطات، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٢٨٩.

- أبو عبد الله، محمد بن سلام الجمحي ت: ٢٣١هـ: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢، ص ١١٩، ١٢٥.

- عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: ١٠٩٣هـ: خزانة الأدب ولب لباب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، طبع بولاق، ١٢٩٩هـ، ج ١/١١٣.

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت: ٢٧٦هـ: الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٤-١٩٥٠، ص ٤٢٥.

(٤) أبو جعفر محمد بن حبيب: المحرر، تحقيق: إيلزة ليختن، طبع المكتب التجاري، بيروت، ١٩٤٢، ص ٣٢٥-٣٢٦.

الأبناء من نساء الآباء بعد وفاتهم. وقد حرم الإسلام هذه العادة، وفرّق بين رجال كثيرين ونساء آبائهم. لكن نفس الشاعر ظلت تحن إلى الماضي الذي كان يعيش فيه مع الدهماء.

وكان الشاعر عثمانى الهوى، يميل ميل الأمويين. فقد تدخل في النزاع المرير الذي قام بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان «رضي الله عنه» بين علي بن أبي طالب «كرم الله وجهه» رأس بني هاشم، ومعاوية بن أبي سفيان رأس بني أمية. فقد رثى الخليفة عثمان «رضي الله عنه» ونادى بالأخذ بثأره، وهدد بالقيام للمطالبة بدمه بالسلاح، ثم أرسل الشعر في موقعة صفين غضباً منه لانتهاه السياسي، وانتصاراً لقومه الذين هجأهم النجاشي الحارثي فيمن هجا من القبائل التي كان ميلها مع معاوية في هذه الحرب<sup>(٥)</sup>.

ويعدّ ابن مقبل شاعراً فحلاً، فقد صنّفه ابن سلام في طبقات فحوله<sup>(٦)</sup>، وجعله في الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية. ويرى محقق الديوان أنه شاعر فحل، لكنه ليس من كبار فحول الشعراء<sup>(٧)</sup>.

## ٢- مناسبة القصيدة

لتميم بن أبي بن مقبل شعر في وقعة صفين، وقد ردّ على الشاعر النجاشي الحارثي؛ إذ نظم قصيدة ذكر فيها معاوية بن أبي سفيان، وفراره من الحرب في

(٥) انظر - على سبيل المثال - شهاب الدين أبو الفضل - ابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ: الإصابة في تمييز الصحابة، طبع القاهرة، ١٣٢٨هـ، ١ / ١٩٥.

(٦) طبقات فحول الشعراء، ص ١١٩.

(٧) ابن مقبل: الديوان، تحقيق: د. عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٢، مقدمة المحقق، ص ٨.

صفيين، وهجا قيس عيلان، وعامراً قوم ابن مقبل وسائر القبائل التي كان ضلعها مع معاوية على علي، وفخر بقومه، وباليمانية عامة. وكان بنو الحارث بن كعب قوم النجاشي مع علي، فأجابه ابن مقبل بقصيدة على الوزن نفسه، والروي نفسه، ينقض فيها قوله. وكان ابن مقبل عثمانياً يميل ميل الأمويين مع قومه بني عامر<sup>(٨)</sup>.

### ٣- القصيدة النونية<sup>(٩)</sup>

أَمْ لَّ عَلَيْهِا بِأَلْبِي الْمَلَّوَانِ <sup>(١٠)</sup>	أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ
عَلَى كُلِّ حَالِ الدَّهْرِ يَخْتَلِفَانِ	نَهَارٌ وَلَيْلٌ دَائِمٌ مَلَّوَاهُمَا
وَلَكِنَّ رُوعَاتٍ مِنَ الْحَدَثَانِ <sup>(١١)</sup>	أَيِّنِي دِيَارَ الْحَيِّ، لَا هَجَرَ بَيْنَنَا،
وَإِذْ خُلُقَانَا بِالصَّبَا يَسْرَانِ <sup>(١٢)</sup>	لِدَهْمَاءِ إِذْ لِلنَّاسِ وَالْعَيْشِ غِرَّةٌ
حِيَاءٌ، وَمَا فَاهَتْ بِهِ الشَّفْتَانِ	تَشَكَّتْ بِبَعْضِ الطَّرْفِ حَتَّى فَهَمَّتْهُ
هَجَفَانٍ مَرْتَاعَا الضَّحَى وَحَدَانِ <sup>(١٣)</sup>	كَبِيضَةَ أَدْحِيٍّ يُوْحُوْحُ فَوْقَهَا
فَلَا وَخَدَ إِلا دُونَ مَا يَجِدَانِ <sup>(١٤)</sup>	أَحْسًا حَسِيْسًا مِنْ سِبَاعٍ وَطَائِفِ
وَذَاتِ الْقِتَادِ السُّمْرِ يَنْسَلْخَانِ <sup>(١٥)</sup>	يَكَادَانِ بَيْنَ الدُّوْنَكَيْنِ وَالْأَوَةِ

(٨) انظر: مقدمة محقق الديوان، ص ٨.

(٩) الديوان: ٣٣٥-٣٤٦.

(١٠) الحي: القبيلة، السبعان: موضع في ديار قيس، الملوان: الليل والنهار، وهو من المثني لا يفرد أحدهما.

(١١) روعات: من الروع، الفرع، الحدثان: ما يحدث من المصائب.

(١٢) الغرة: الغفلة، خلُقانا يسران: سهلان طيعان.

(١٣) الأُدْحِي: مبيض النعام في الرمل، يوْحُوْحُ: يصوت فوق البيضة إذا رثمها وأظهر ولوعه، المهجف من

النعام: الجافي الثقيل الكثير الريش.

(١٤) طائف: شخص طائف، الوخد: ضرب من السير السريع في سرعة خطو.

(١٥) الدونكان، أوة، ذات القتاد: مواضع.



عشية قالت لي، وقالت لصاحبي  
فلما ولجنا أمككت من عنانها  
تأمل خليلي هل ترى من ظعائن  
فقال: أراها بين تبرك موهنا  
وقد أفضلت عيني على عينه  
تحمّلن من جنان بعد إقامة  
على كل وخاد اليدين مشمر  
كسون السديل كل أدماء حرّة  
وكل رباع أو سدس مسدّم  
سلكن لكيّزاً باليمين ولوزة  
ببرقة ملحوب: ألا تلجان؟  
وأمسكت عن بعض الخلاط عناني  
تحمّلن بالعلياء فوق إطان<sup>(١٦)</sup>  
وطلحام إذ علم البلاد هداني<sup>(١٧)</sup>  
وقطّع إلحاق الحداة قراني<sup>(١٨)</sup>  
وبعد عناء من فؤادك عاني<sup>(١٩)</sup>  
كأن ملاطيه ثقيف إران<sup>(٢٠)</sup>  
وحمراء لا يحذي بها جلمان<sup>(٢١)</sup>  
يمد بذفري حرّة وجران<sup>(٢٢)</sup>  
شمالاً ومفضى السيل ذي الغديان<sup>(٢٣)</sup>

(١٦) العلياء وإطان: موضعان.

(١٧) تبرك: موضع في ديار بني فقفس، طلحام: موضع، موهنا: بعد هزيع من الليل.

(١٨) أفضلت عيني: رأيت الظعائن الراحلة أحسن مما رأى صديقي، إلحاق الحداة: إسراعهم بالحداء والسوق.

(١٩) تحمّلن: ارتحلن، جنان: اسم موضع، عناء عان: شديد.

(٢٠) وخاد اليدين: بعير يسرع في مشيه مع سعة خطو، المشمر: البعير السريع الكميش في السير، ملاطا البعير: كتفاه، الثقيف: المثقف، الإران: تابوت الموتى.

(٢١) الأدماء: الناقة البيضاء، الحرّة: العتيقة الكريمة، حمراء: ناقة حمراء، لا يحذي: لا يؤثر، جلمان: مقصان يجز بها الشعر والصوف.

(٢٢) بعير رباع: وصل إلى سن السابعة وهي السن التي تشتد فيها قوته، السدس: بعير طعن في الثامنة من سنه، المسدّم: من فحول الإبل، الذفري: أصل العنق من البعير، الجران: مقدم العنق من البعير.

(٢٣) لكيّز ولوزة: موضعان في ديار بني عقيل، الغديان: السيلان.

وأوقدن ناراً للرِّعَاءِ بأذرعٍ      سيالاً وشيحاً غيرَ ذاتِ دُخانِ  
فصبَّحنَ من ماءِ الوحيدَيْنِ نُقْرَةً      بميزانِ رَعْمٍ إذ بدا صَدَوَانِ<sup>(٢٤)</sup>  
وأصبَّحنَ لم يترُكْنَ من ليلةِ السرى      لذي الشوقِ إلا عُقْبَةَ الدَّبْرَانِ<sup>(٢٥)</sup>  
وعرَّسْنَ والشُّعْرَى تغورُ كأنها      شهابٌ غضاً يُرمى به الرَّجَوَانِ<sup>(٢٦)</sup>  
أتاهنَّ لبَّانٌ ببيضِ نعامةٍ      حواها بذِي اللَّصْبَيْنِ فوقَ جَنَانِ<sup>(٢٧)</sup>  
فهل يُبلِّغُنِي أهلَ دهماءِ حُرَّةٍ      وأعيسُ نضاحِ القفا مَرَجَانِ<sup>(٢٨)</sup>  
لقد طالَ عن دهماءِ لَدِي وَعِذْرَتِي      وكتائمها أكني بأمِّ فُلانِ  
جَعَلْتُ جُهَّالِ الرَّجَالِ مَخَاضَةً      ولو شئتُ قد بيَّنتُها بلساني  
فقلِّ للحماسِ يتركُ الفخرَ إنما      بنى اللؤمُ بيتاً فوقَ كلِّ يمانِ  
أقرَّتْ به نجرانٌ ثمَّ حَبُونٌ      فتثليثُ فالأرسانُ فالقرظانِ<sup>(٢٩)</sup>  
تمنَّيتَ أن تلقى فوارسَ عامرٍ      بصحراءَ بين السُّودِ والحدثانِ<sup>(٣٠)</sup>  
أيألهفتي ألا تكونَ شهدتهم

(٢٤) الوحيدان: ماءان في بلاد قيس، النقرة: موضع في الصخر يجتمع فيه الماء، رعم: جبل في ديار بجيلة، ضدوان: جبلان تلقاء الوحيدين، بميزان: بما يوازن.

(٢٥) عقبة: من تعاقب النجوم، الدبران: نجم من منازل القمر بين الثريا والجوزاء، سمي كذلك؛ لأنه يتبع الثريا.

(٢٦) الشعري: نجم، تغور: تغيب، الغضا من شجر الرمل له هذب، الرجوان: واحدهما رجاء، وهو ناحية كل شيء.

(٢٧) لبان: اسم رجل، ذو اللصبين: موضع، جنان: موضع بنجد، جبل أو واد.

(٢٨) حرة: ناقة حرة، وهي النجبية الكريمة، الأعيس: البعير الأبيض يخالطه شقرة بسيرة، الذفري: من القفا خلف الأذن، مرجان: صفة حر وأعيس، يضطرب في السير من سرعته.

(٢٩) نجران: مدينة معروفة بالحجاز، حبونن: موضع باليمن، الأرسان وتثليث والقرظان: مواضع.

(٣٠) السود والحدثان: قريتان بالشام.

ولو كنت جِرمَ الخنفساءِ شهدتهم      جُعِلتَ قنَاءً غيرَ ذاتِ سِنانِ  
ولو شهدتُ أمَّ النجاشي ضربنا      بصفّينَ فَدَتنا بكلِّ يَماني  
وجاءتْ به حياكةٌ عَرَكيّةٌ      تنازعها في طهرها رِجلانِ<sup>(٣١)</sup>  
ونحنُ منعنا البحرَ أن يشربوا به      وقد كان منكم ماؤه بمكانِ<sup>(٣٢)</sup>

#### ٤ - مفهوم الدراما

تولد الدراما من الصراع والتضاد. فهي تقابل بين موقفين، يتولد منه موقف جديد. إنها «الحركة، ولا تتفق مع السكون»<sup>(٣٣)</sup> ويعني البعد الدرامي الحركة؛ أي إن كل فكرة يقابلها فكرة، وكل عاطفة تقابلها عاطفة. ويتعين على ذلك أن الصراع يولّد الدراما، وهو عامل أساسي للشكل الدرامي<sup>(٣٤)</sup>، ويمكن أن نرى أن الدراما تعني فيما تعنيه التكثيف<sup>(٣٥)</sup>، وجوهر الشعر قائمٌ على التكثيف. كما تعني التضاد في المواقف، والانفعالات. وتتوفر الملامح الدرامية في الأجناس الأدبية المختلفة مع أن الشائع وفرتها في النص المسرحي، فيمكن أن نجد قصائد في أدبنا العربي القديم قد تسربت إليها جوانب درامية، تجلت في صور مختلفة كالحوار، والنجوى...

(٣١) الحياكة: المرأة التي تمشي مشياً مضطرباً، العركية: المرأة الفاجرة.

(٣٢) البحر: بمعنى الماء العذب هنا، وهو يريد نهر الفرات على الأغلب.

(٣٣) د. محمد إبراهيم حمدي: نظرية الدراما الإغريقية، الشركة المصرية العالمية للنشر، مكتبة لبنان ناشرون،

١٩٩٤، ص ٤.

(٣٤) د. عبد العزيز حمودة: البناء الدرامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص ١٠٧ لكن الدكتور

حمودة يرى الصراع صراعاً في البناء فقط، وفي الحقيقة الصراع أساس التركيب الشعري؛ لأنه يميل على

علاقة بين النسقين: الظاهر والمضمّر، وما يتولد عن ذلك من صراع بين المتقابلات.

(٣٥) - انظر - على سبيل المثال - د. محمد إبراهيم حمدي، نظرية الدراما الإغريقية، ص ٤ وما بعدها.

والدراما مصطلح مرتبط بالفن المسرحي أساساً، لكن هذا الكلام لا يعني قصرها عليه؛ إذ نجد أن الدراما تنتقل إلى الأجناس الأدبية المختلفة؛ مما يعني إمكان الحديث عن تجاوز الأجناس الأدبية، وتداخلها.

وإذا نظر النقاد إلى الدراما على أنها حركة<sup>(٣٦)</sup> فإننا ننظر إليها على أنها حركة فكرية أولاً؛ إذ يعمد الشاعر إلى تحويل القضية الفكرية، أو المشكلة الاجتماعية والإنسانية إلى حركة متجسدة في نصه الشعري ذي الطابع الرؤيوي، فيسعى من وراء هذه الحركة إلى أن يستبدل برؤيته رؤية تتضاد معها؛ ليوجد واقعاً بديلاً يطمح إليه. وقد ركز الشاعر في هذه القصيدة على شبكة علاقات بالدهماء، والزمان، والمكان، والشاعر النجاشي. فكيف تجلت دراما الحركة، والثبات على صعيد هذه العلاقات؟

#### ٥- الجانب الدرامي وثنائية الأنا / الآخر .

##### ٥-١- الحديث الطليل ومتعلقاته .

يرتبط النص كله بخيط درامي واحد؛ فقد تحدث تميم عن الدهماء التي تيمم حُبُّها، ولم يستطع أن يطلق قلبه من قيودها؛ لذا يتسّس لحال المكان، وتحوله إلى مكان موحش. إنه يسعى في إثرها لعله يجد أثراً لها. وحين يكشف أن السعي وراءها وهم لا طائل فيه يقرر أن يوجه همه نحو المستقبل؛ ليتنصر لنفسه في الحاضر، والمستقبل بعد أن هُزم فيما يتعلق بعلاقته بالدهماء.

وينتقل من صراع نفسي من أجل الدهماء، إلى صراع خارجي من أجل الدفاع عن قبيلته وموقفه السياسي، ويسعى جاهداً لإحراز النصر على خصمه النجاشي بعد أن مني بالهزيمة في بداية القصيدة.

(٣٦) نبيل راغب: فنون الأدب العالمي، ط ١، الشركة المصرية للنشر، مكتبة لبنان، ١٩٩٦، ص ٨٨.

ويمكن أن نقسم النص إلى مشهدين:

- الشاعر والدهماء وضوابط الدين الجديد.
- الشاعر والآخر المختلف قبلياً وسياسياً.

وتبدأ النزعة الدرامية من أول بيت بإظهاره سبب حزنه، إنها المرأة التي عفت الديار برحيلها، ويتصاعد الجانب الدرامي مع السير وراء الطعائن، ومحاولة اللحاق بهن. ويرفع هذا التسلسل درجتي التوتر والحزن، ويصعد الجانب الدرامي. لقد فقد أسباب السعادة كلها، وتحول المكان والزمان، ورحلت المرأة، وسيطر عليه الحزن، والقلق النفسي. لكنه وجد مخرجاً من قمة حزنه حين انتقل إلى الصراع الخارجي مع النجاشي؛ لذا يغدو افتقاده الدهماء افتقاداً ذا طبيعة درامية؛ إذ تمثل الدهماء في جاهليته الزمن بأبهى صورته؛ لذا بدأ بالذروة الدرامية، لحظة وقوفه على الطلل، وتذكره الدهماء «ألا يا ديار الحبي بالسبعان» ثم عاد إلى الخلف، فصعد الحدث درامياً حين تذكر سيره الحثيث وراء الطعائن، وطلبه مساعدة خليله، فحوّل الهم إلى همّ جماعي، ورفع من درجة الصراع النفسي بالزمن الفني<sup>(٣٧)</sup>

يمثل الطلل لدى تميم شبكة علاقات: «الشاعر/ الدهماء، الزمن الماضي/ الحاضر، المكان العامر/ المكان البالي» وهي علاقات يحكمها التضاد، نتبين منها موقف الذات الشاعرة ورؤيتها؛ إذ يحضر المكان بوصفه عتبة زمنية تجمع بين الماضي والحاضر، البقاء والفناء، فيتعدد المكان بتسميات مختلفة تمثل حال التضاد

---

(٣٧) نقصد بالزمن الفني أن الشاعر يقدم في قصيدته وهم الواقع، لا الواقع. وزمن وقوفه على الطلل لاحق لزمن سعيه وراء الطعائن لكنه اعتمد على تقنية ما يعرف حالياً بأسلوب الخطف خلفاً، فبدأ باللحظة الحاضرة، ثم انتقل إلى الماضي.

في مختلف درجاتها: «لعلياء / جنّان، يميناً، شمالاً»<sup>(٣٨)</sup>، فثمة حضور طاغ للزمن في الطلل «حدثان، ملوان، ليل، نهار» ويحاول الشاعر أن يوجد زمناً بديلاً، ويبدو خاضعاً لسطوة الزمن الذي يلاشي، أو بمعنى آخر يبدو الشاعر طلالاً ثانياً. إنه يحاول النهوض كلما كبا بمساءلة الطلل، وبتذكر الطعائن، ثم يحاول أن يخرج نفسه من أزمتة الخاصة بالمواجهة مع النجاشي حين يكتشف عبث أن يبقى أسير ماضٍ ولى، ولن يعود. وتزداد درجة الألم كلما حاول أن يخرج نفسه منه، فموقفه ثابت أمام السلب الزماني للمكان، وثمة صراع بين المكان وعوامل الطبيعة حوّله إلى مكان موحش، وشمول البلى في الطلل أمر يرفع من توتر الشاعر. وبذلك نجد أن حال الجذب المكاني صورة للقطيعة بينه وبين الدهماء.

لقد انتصر الطلل على إرادة الشاعر. فالمكان المضاد في الطلل، والمكان الذي أخفى أثر الدهماء في صورة الطعائن يعارضان رغبة الشاعر المتعلقة بالدهماء. وحين شعر بسطوة المكان بزمانه الحاضر أراد أن يقيم معه علاقة تصالحية، فأكثر من ذكر أسماء الأمكنة، لقد أراد أن يكون لفعله سلطة القدرة على التشكيل. ويمكن أن نمثل لحركة الشاعر والدهماء مقابل حركة المجتمع بالشكل الآتي:

حركة الذات وفعاليتها ← تعديل نظرة المجتمع ← بروز الصوت الفردي مقابل صوت المجتمع



مشهد حركي

(٣٨) العلياء من العلو، والظهور والارتفاع.

لقد أدرك الشاعر أن حركة الصراع بدأت أولاً من جهة الزمان المرتبط بالمكان. فقد تحولت قيم المجتمع بتأثير الدعوة الجديدة، وإبعاده عن الدهماء أصبح واقعاً لا مفر منه، فأدرك أن الصراع مع الزمان والمكان غير متكافئ؛ لذا قرر الدخول في صراع آخر - مع النجاشي - ليتنصر لنفسه بعد خسارته في الصراع السابق. وهو في سعيه هذا لا يعدم وسيلة؛ ليضفي صورة إيجابية على المكان الموحش -الطلل- إذ تبدو بيضة النعام إطاراً رمزياً للدهماء الطاعنة، فهي أنثى من أصل الخلق ورحم الحياة، وهي التي يبني عليها آمالاً في ديمومة الحياة. فالإيجابي في صورة النعام والبيضة، يتصارع مع رمز التوحش في الطلل، مع أن هذا الإيجابي يحمل عنصر التوتر معه الموجود في صفة السرعة التي ألح عليها: «فلا وخذ إلا دون ما يحدان».

ولأن الطلل موحش مخيف يسعى إلى أنسنته بالحوار معه:

ألا ياديار الحبي بالسبعان أملٌ عليها بالبل المليون

وكانه يريد أن يبعث الحياة في هذا المكان الموحش بأية طريقة؛ ليخرجه من وحشيته. واللافت أننا نجد موقفاً للمرأة يتخطى الحياء؛ إذ يعلو الصوت الأنثوي محاولاً اتخاذ موقف:

تشكّت ببعض الطرف حتى فهمته حياءً وما فاهت به الشفتان

فتبدو ورغبتها فيه مماثلة لرغبته. إنها صاحبة موقف مضاد لموقف المجتمع، لكنه موقف المغلوب على أمره، وهو ما يبقي خطي الشاعر/ المجتمع خطين متوازيين. وحين أوهم أنه قبل بضوابط المجتمع الجديد فارقها في الوقت نفسه؛ إذ احتفظ داخلياً برغبته في الدهماء، واتجه في الوقت نفسه إلى المشاركة في أحداث مجتمعه.

لقد أيقن أن المكان الماضي بزمانه لن تعيده وحشة الطلل، فحاول محاولة يائسة أن يلحق بالظعائن لعله يصل إليها.

### ٥-٢- الشاعر وحركة الظعائن

يحكم هذه الحركة أيضًا التضاد. فقد سعى الشاعر جاهداً إلى اللحاق بأثرهن. لكن لكل من الطرفين طريقاً مختلفاً؛ لذا ضاع الأثر. وتظل الدهماء أمنية تعرش في قلبه، وعقله. وقد أخذت هذه الأمنية طبيعة درامية؛ لأن لحضورها في حياته وشعره طبيعة درامية، فهي تكشف عن صراع داخلي بين رؤيته واقعه، والرؤية البديلة التي يريدها.

لقد أخفى المكان للمرة الثانية أثر الدهماء في مشهد الظعن؛ إذ تبدو ظعائن الدهماء نتاج صراع الإنسان/ الزمان. ويمكن أن نرى أن الصراع في مشهد الظعائن تمهيد لصراع في المشهد الآتي: الشاعر/ النجاشي. إنه يسعى جاهداً في إثرها لكي لا يصل إلى مرحلة اليأس، ولكي يحوز النصر، وهذا ما تتضمنه أبيات الصراع مع النجاشي.

ورحلة الظعائن رحلة قسرية، ومحاولة للهروب من الصراع الإنساني. وتبدو علاقته بالظعائن علاقة حميمية؛ إذ يحرص على متابعتها، وذكر أماكن سيرها توقيماً من درجة الشر المحيط بها. واللافت تنكيره مفردة ظعائن، وفي هذا التنكير نفي للصفة الشخصية عنها، وإثبات جوانب اجتماعية، ورمزية لها. فيدفعه تتبع حركة الظعائن إلى تذكر الماضي، والرغبة في عودته؛ لمحو مشهد الحاضر الحزين بفعل الرؤية والمراقبة. وقد ألح على ذكر اللون الأحمر في معرض حديثه عن الظعائن، ويبدو هذا اللون بمحموله الإيحائي ناضحاً برائحة التمرد والحرب؛ فيؤسس



الشاعر للمشهد الآتي؛ أي لحربه الكلامية مع النجاشي. فالحرب أداة حدّ لمتعة الماضي، وانتهاء الغاية الزمنية للهوه. ويتعين على ذلك أن صورة الظعينة تنجم عن صراع إنساني، وتحفز لولادة صراع من نوع مختلف.

وقد افتتح حديثه عن الطعائن والفخر بحوار مع صاحب متخيل. فلا تستعاد الحياة إلا بتغيب الآخر/ الضد؛ ليمهد لحياة جديدة. فالظعينة - وفق ما سبق - نتيجة صراع إنساني مضمّر، أما رحلتها فبسبب في ولادة صراع ظاهر في الأبيات.

يجابه الشاعر الحركة الصادرة عن الزمن الخارجي بحركة داخلية مضادة، فتحصل مواجهة بين زمنين: أحدهما ينشر العفاء في الطلل، والآخر يبدي فعل مقاومة. فيذكر رحلة الطعائن محاولة منه لاستعادة الزمن الماضي. لكن هذه الرحلة ترسخ فعالية الزمن الفيزيائي، فيظل منفعلًا، لا فاعلاً، ويعلوه القلق، والتوتر بسبب مساءلته عن جدوى الفعل الإنساني. وهنا يتضح سبب انتقاله بالخطاب من الخارج إلى الداخل، فقد شعر بعبث العلاقة بالآخر، ولديه مشاعر إيجابية تجاه ماضي المكان والزمان لكن الطرف الآخر سلبي معه؛ لذا ينكفي على نفسه: «فهل يبلغني أهل دهماء حرّة، لقد طال عن دهماء لدي وعذرتي». فلديه رحلتان: رحلة الظعن، ورحلة الشاعر وراءها. وتبدو الرحلة الثانية وسيلة للخروج من دائرة المكان المغلق. لكن الأمكنة التي تجتازها الرحلة الأولى تفتح على أمكنة أخرى؛ ليوثق الشاعر أنه يسير في حركة عشوائية لا طائل فيها، فتتعاظم حيرته، ويتعالى اليقين أن هذه الأماكن ليست أماكن ألفة، ولمّ شمل، فتبدو الرحلة مندفعة في طريق مظلم؛ فقد أكثر من ذكر المفردات الليلية في مشهد الطعائن:

وأصبحنَ لم يترُكنَ من ليلة السرى      لذي الشوق إلا عقبَةَ الدبران  
وعرَّسنَ والشُّعرى تغورُ كأنها      شهابُ غصاً يُرمى به الرَّجوان  
فقال أراها بين تبراك موهناً      وطلحامَ إذ علمُ البلادِ هداني

فقوله: «عرَّسنَ، وليلة السرى» يحيل على فعلين يرتبطان بحركة زمنية ليلية تتوازي وحركة الشاعر الداخلية، فتزيد من الشعور بالمتاهة، وتزداد الحيرة زمانياً ومكانياً، وتغدو الأماكن التي يلح عليها الشاعر أماكن حياة من جهة، وفقدان حياة من جهة أخرى. فالرحلة التي تشق البيد تحفر عميقاً في ذات الشاعر.

لقد حاول الشاعر أن يخرج نفسه من هذه الحال إلى النور بانتقاله إلى صراع من نوع آخر مع الخصم القبلي، والسياسي: النجاشي؛ ليخرج إلى دائرة الفعل أخيراً.

### ٥-٣- حركة الشاعر وحركة النجاشي

يتخلص الشاعر من غلبة العاطفة في مشهد الطعائن بتغليب صوت العقل، فيضفي على نفسه صفات القوة؛ ليؤكد بعد تقديم أوجه الصراع المختلفة تغليب الحركة على الثبات.

ويبدأ الشاعر في المشهد الثاني بالانقلاب في الموقف في الزمن الحاضر:

فقل للحِجاسِ يتركُ الفخرَ إنما      بنى اللؤمُ بيتاً فوق كل يمانِ

فتعلو نبرته، ويختلف خطابه. لقد جعلته التراكمات السابقة يتخذ موقفاً من الزمن. ويبدو أن رحلة الطعائن قد تاهت، وأخذت زمنها معها في تيهها. فقد تناثر المكان في الأبيات السابقة. أما هنا فهو يلح على وحدة المكان. والبهجة التي تحيط بصورة الطعائن الخارجية تتعين مقابلاً ضدياً للمتاهة المظلمة التي حُكم سيرها بها.

إننا أمام تقابل بين موقفين: موقفه من الطلل والظعائن، وموقفه في الفخر. فقد تصدعت الأنا وانشطرت حين ساءل الديار، وخاطب رفيقين متخيلين، فلم يُجد ذلك نفعاً، فكان شفاؤه من التجربة السابقة تجاوز كل ما يتعلق بها، ويشيرها. فوجه همّه نحو النجاشي، وقدم له صورة مفرغة من العناصر الإيجابية<sup>(٣٩)</sup>، وعمل جاهداً على ربطه وقومه بالمواقف الذليلة موازنة به وبقومه. ويصاعد تقديمه شخصية النجاشي درامية الحدث؛ إذ تعني مركزية الأنا إزاحة الآخر، وتشكل علاقته بالنجاشي التضاد في أقصى درجاته. فموقفاه: القبلي، والسياسي يختلفان عن موقف النجاشي، ويدخل معه في صراع يتغلب عليه بعد أن مني بالهزيمة في المشهد الأول. وبذلك نجد أن الحدث الدرامي حدثان: يكتمل الأول مع نهاية المشهد الأول، ويكون تمهيداً للدخول إلى المشهد الثاني، فيتحرك المشهدان في حركة دائرية، وكل مشهد يستكمل الآخر، ويؤكد حقيقة.

وتعد الدهماء مركز الثقل في المشهد الأول، ويعني حديثه عنها أن مستقبله مرهون بها، وقد بدت فاعلة في النص بطريقة غير مباشرة، فقد دخلت في تكوين موقف الشاعر، وهو موقف ذو طبيعة درامية، ويمثل وجودها في حياته المفارقة الحادة بين القبول، والرفض. إن لديها موقفاً من الواقع، ولا تقف على الحياد. وتبدو قدرة الشاعر على إيجاد عالم بديل حين ترك الماضي، وهجا، وافتخر. فقد رفض الآخر المختلف عنه سياسياً وقبلياً، ويعني إلغاء الآخر - فيما يعنيه -

---

(٣٩) يرى باختين أن الأفكار التي يجري إثباتها تدمج في وحدة وعي المؤلف، أما الأفكار التي يرفضها فتتوزع بين الآخرين. انظر: ميخائيل باختين: د.ت، شعرية دوستوفسكي، ط ١، تر: جميل ناصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ص ١١٦.

رفضاً، وصرعاً لكي تكون الأنا هي المركز. فحدد موقفه في ظل الثقافة الإسلامية الجديدة، وحدد العلاقة بين الفعل والالتزام السياسي، وأجرى مصالحة بينهما. فأحقيتهم في الخلافة، والظلم الذي لحق بهم، جعل العالم حوله حافلاً بالمتناقضات، ولا بد من مواجهة ذلك بالفعل. وهو ما يدعو إليه في قمة انفعاله.

وقد حضر النجاشي حضوراً قصيراً نسبياً لكن هذا الحضور المتقلص لا يلغي أهميته في تكثيف الصراع، والكشف عن رؤية الشاعر، ورؤيته. ويبدو الشاعر مختلفاً نفسياً عن المشهد الأول. فثمة مفارقة بين مقولة الحزن في المشهد الأول، ومقولة النصر، وما يتفرع عنها في المشهد الثاني.

ويبدو الشاعر موازنةً بالنجاشي كليّ المعرفة أمام الآخر الناقص المعرفة، وتبدو سلطته أعلى من سلطة الآخر خلاف المشهد الأول. فليست هذه القصيدة خطاباً يرتد إلى الذات. لقد سعى الشاعر إلى الوقوف في المجتمع مع أن له حركة مضادة لحركته، تتمثل في رغبته في الاحتفاظ بالدهماء. وتدفعنا هذه المفارقة في الهدف إلى الحديث عن المفارقة، وقراءة الشاعر نفسه بدلالة الآخر.

#### ٥-٤ - المفارقة وقراءة الذات بدلالة الآخر

تريد الذات الشاعرة إشراك الآخر؛ لأنها تدرك أنها ليست وحيدة في هذه المعركة الجديدة. وقد يكون الآخر ضاعطاً على حرية الذات، وقد يفارق الشاعر الآخر، وقد يفارق ذاته أيضاً<sup>(٤٠)</sup>؛ إذ يعني مصطلح المفارقة التظاهر، والادعاء بغير

(٤٠) انظر: جون ماكوين: المفارقة الدرامية «وسيلة لفظية أو فعلية يعبر بها الكاتب عن معنى آخر مناقض للمعنى الظاهري الذي تفهمه بعض الشخصيات. ومن هنا قد يتشابك المدلول مع مدلول التورية في علم البديع، ولكنها لا يتطابقان. والمفارقة الدرامية Dramatic Irony موقف في مسرحية يشترك فيه

الحقيقة. فهي أسلوب مراوغة، وحيلة كلامية تظهر جدل الصراع بين الذات والآخر، وتؤدي إلى اتصال بالآخر بهدف إحداث تأثير فيه.

لقد أظهر الشاعر قبوله بسنن المجتمع، وقبل بالابتعاد عن الدهماء سعياً وراء مبدئه السياسي، لكنه يفارق هذا الموقف حين تبقى الدهماء أمنية تعرش في قلبه، وحين ينظر إلى الواقع، ويستعد لمواجهة النجاشي الذي يحمل رؤية مفارقة لرؤيته. وتقوم مفارقة رؤية الشاعر على أساس التضاد بين ثقافتين: ثقافة الذات الشاعرة، وثقافة المجتمع. فيصوغ مفارقاته بضمير المفرد؛ لأنه أراد الانتصار لنسقه الخاص أمام النجاشي. فهو يريد مستقبلاً لفريقه السياسي لا يناوئه فيه أحد. وهو يعرف أنه ليس الوحيد في الساحة السياسية التي ازدحمت بمشكلات السياسة. فلا يستطيع أن يحوّل هذه الرؤية إلى رغبة تعم المجتمع، فأبقاها في دائرة صراع الذات، وهو يقصد الفئة السياسية.

أما في المشهد الأول فقد أشرك الصاحب رغبة منه في اعتراف مجتمعه بمشكلته.

تأمل خليلي هل ترى من طعائنٍ      تحمّلن بالعلياء فوق إطان

إن ما قدمه الشاعر في بنية الحوار البلاغية يتعارض مع الأنموذج الثقافي السائد. فبيضة النعام، والهجفان المرتاعان أمور تضمّر مفارقة درامية تتمثل بالرغبة

---

المؤلف مع جمهوره في معرفة ما تجهله شخصية ما من حقيقة، وتتصرف بطريقة لا تتفق تماماً مع الظروف القائمة أو تتوقع من القدر خلاف ما يجتبه في طياته، أو نقول شيئاً نتوقع منه أن تكون فيه النتيجة الحقيقية ولكن يحدث أن تأتي النتيجة عكسية تماماً» انظر: د. إبراهيم حمادة: د. ت، معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٤٨ وأظن أن المعنى الظاهري ليس مناقضاً للمعنى الخفي بل هو مضاد له.

في واقع مختلف. ويستمر التوتر الدرامي<sup>(٤١)</sup> مع صراعه مع النجاشي. فقد علاه توتر شديد بين زمن يعيشه، وزمن مضاد يريد عودته. وقد سبق أن مرّ بلحظة حاسمة وجبّ أن يقرر فيها ما يفعله بعد أن تاهت ظعائنه في متاهات الصحراء، وبعد أن تنازعت مشاعره تشده إلى الماضي، ومشاعره تشده إلى الحاضر، فقرر الاحتفاظ بمكانه في الحاضر مع أن المفارقة تتمثل في أن قلبه احتفظ بالماضي بوصفه ذكرى في قلبه، لكن الرغبة في تحقيقها تظل قائمة.

وقد بدا التوتر الدرامي في الأفعال؛ إذ يشير فعل الأمر إلى حدوث توتر في ذات الشاعر، وهو الأمر الذي يدعو إلى التساؤل عن الجانب الدرامي على مستوى الخطاب الشعري.

#### ٦- دراما الحركة والثبات على مستوى الخطاب

##### ٦-١- الحوار والحوارية

تقوم اللغة في هذا النص على البناء الحوارية مع أن صوت الشاعر هو الطاعني. لكن وجود الـ«أنا» يقتضي بالضرورة وجود الـ«أنت» وإن كان هذا الـ«أنت» غائباً. فثمة حوار بين الـ«أنا» والـ«آخر» في هذا النص مع أنه مغيب بفعل قصديّ من قبل المبدع في بعض المواضع.

لقد تشكلت لغة الشاعر بما يناسب موقفه الانفعالي. ولا يتم التقاء الشخصيات درامياً إلا بالثنائية التقابلية التي حكمت النص كله، ورفعت درجة التوتر الحوارية. فالتقابل بين موقفين جوهر الصراع في القصيدة كلها. وهي تمثل انحيازاً لأحد طرفي

(٤١) يعرف بأنه اللحظة التي تبدأ فيها الحركة ذروتها. انظر: د. إبراهيم حمادة، معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، ص ١٧٩.

التقابل. وقد تغلب التجسيد على التجريد بسبب سيطرة الجمل الفعلية<sup>(٤٢)</sup>، ووظيفتها الدرامية، وتعدد حقولها: حقل الكينونة «أبني ديار الحي» وحقل الإدراك «تشكت ببعض الطرف حتى فهمته» وحقل الغاية «فقل للحماس يترك الفخر» وحقل الضياع «وأصبحن لم يتركن من ليلة السرى إلا عقبة الدبران».

أما التجريد فيتمثل في المصادر، وهو يواجه التجسيد بطريقة ترفع درجة التوتر الدرامي الذي يحفز الصراع، ويزيده.

وتبدو قمة التصادم اللغوي في بنية التقابل والمفارقة داخل الحوار. فثمة تصادم بين الداخل والخارج، والماضي والحاضر، والشاعر والمجتمع الجديد، والشاعر والآخر المختلف قبلياً وسياسياً. وتشدّ هذه التقابلات إلى تقابل مركزي يجمعها؛ لتنتشر في مناطق الخطاب المختلفة.

يسهم الحوار - إذن- في تصاعد الحدث مع أن الشاعر قدم أفكاره بتقنية الصوت الواحد في كثير من المواقف الدرامية. ولولا أن الطرفين يحملان قيمًا مختلفة لما تحاورا. «فأياً كانت توابع الحوار الأسلوبية، والشاعرية، والجمالية عامة فإنه أولاً ضرب من الفعل الذي ينشئ تضارب شتى قوى العالم الدرامي الشخصية، والاجتماعية، والأخلاقية...»<sup>(٤٣)</sup>.

الحوار فعل ملفوظ، لا إرجاع إلى فعل. وما يميز هذا الحوار أنه على المستوى

---

(٤٢) د. محمد عبد المطلب، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ص ١٠٠ وما بعدها.

(٤٣) كير إيلام: سيمياء المسرح والدراما، ط ١، ترجمة رثيف كرم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، سيمياء المسرح والدراما، ١٩٩٢، ص ٢٤٦.

الظاهري تعبير عن مشكلة خاصة، لكنه في النسق المضمّر يعبر عن مشكلة عامة تتجلى في وهم الواقع. فما يبدو سيرة ذاتية للشاعر بُني بناءً درامياً جعل المتلقي منسجماً مع الحدث، ومتعاطفاً مع الشاعر، ومدركاً المسافة بين الحضور والغياب لديه.

لقد بدأت الذروة الدرامية الثانية مع بداية المشهد الثاني حين انتهت الذروة الدرامية الأولى، وكوّنت تمهيداً لها. وقد وجه الشاعر الحوار إلى الديار في الأبيات الثلاثة الأولى، وهو حوار يندرج ضمن الحوار الداخلي؛ ذلك لأن الطرف الآخر لا يعي. لكن لمكانته العالية لدى الشاعر أنسنه، وخاطبه.

ألا يا ديارَ الحيِّ بالسَّبعانِ      أمَلَّ عليها بالبلبلي المليون  
أبينني ديارَ الحيِّ لا هجرَ بيننا      ولكنَّ روعاتٍ من الحدثان

ويبدو للمتلقي أن ثمة حواراً خارجياً لكن هذا الحوار جعل الشاعر ينكفي على ذاته. فالذات الشاعرة هي المرسل، وهي المرسل إليه الحقيقي. وهذا الحوار مع المكان هو الذي حدد لاحق الأحداث. فقد خرج من مناجاة المكان إلى الحديث عن مشكلته في ظل الدعوة الجديدة مع الدهماء، وأخرج نفسه من الصراع النفسي بالاندغام في المجتمع، فظهرت الدراما حين خرج الشاعر من وحدة الذات إلى الحوار مع الواقع.

لقد كشفت هذه المناجاة أزمته النفسية منذ البيت الأول، فحاور الشاعر الفضاء المحيط به بصمت؛ وذلك ليثير أسئلة وجود، ويولدها من الحوار. وهذا ما يجعل المتلقي متلفظاً مشاركاً في الخطاب الشعري. أما الحوار الذي صاغه على لسان الدهماء وصاحبه، فهو مَنْ صنعه، وهو الذي أراد أن يحمل هذه الشخصيات هذه



الأفكار. فقد صور رغبة الدهماء فيه، وهذا ما يصعد النزعة الدرامية. فلكليهما الرغبة نفسها. والصاحب الذي يخاطبه صورة مستنسخة عنه «تبصر خليلي هل ترى من طعائن». ففي هذه المسألة تناقض كبير بين تبصر الشاعر بأماكن سير الطعائن، والتعمية المقصودة من قبله. فهو في حاجة إلى من يساعده على تبصر الطعائن؛ لأنه متوتر، وغير قادر بمفرده على متابعة الأمور.

وإذا ما انطلقنا من فكرة أن التفاعل القولي مهما كان ودياً هو ميدان مواجهة يسعى المتكلم فيها إلى فرض ذاته، وتأكيد الوجه الإيجابي له وجدنا أن الدهماء أرادت مواجهته بقبوله، واستكانته: «ألا تلجان؟» فقدم فكرته عن طريق الدور الذي قامت به الدهماء. أما في حديثه مع النجاشي فنجد أن له سلطة على مخاطبه، فلا يلتزم الطرفان موقفاً واحداً، ويهيمن الاستعلاء على خطاب أحدهما.

ويبلغ الصراع ذروته في الصوت الواحد الموجل في الوحشة في وصف حاله الحزينة، واستحضار تفاصيل حوارية مع صاحب متخيل. لكن هذا الفعل لا يوقف الشعور بالغرابة بل ينكفي الصوت على عذابه، ويكون خروجه من هذا العذاب بفعله هو، وإرادته، فينتقل من صراع الداخل إلى صراع الخارج.

ومما يقوي البعد الدرامي في هذا النص أن الشاعر لم يستغرق في الأوصاف بالقدر الذي عاين فيه تجليات الذات في الحوار بنوعيه. فقد بدا واضحاً أن وصف النعامتين المسرعيتين إن هو إلا تجلُّ واضح لحال القلق الذي اعتراه. أما وصف هيئة الطعائن، والتركيز على اللون الأحمر فهما تمهيد للدخول في جو الحرب في المشهد الثاني. وبذلك ظهرت وظيفة الصور البلاغية في تنشيط التفاعل الدرامي في الخطاب الوصفي المتضمن صوراً متسمة بالتضاد.

وقد جنح النص في كثير من المواضع إلى السردية؛ بسبب تنامي الفعلية تحريكاً للحافز داخل الحوار بنوعيه. كما أن الإنشاء قد بدا جلياً «فقل، أيني، ألا تلجان؟، تأمل، فهل يبلغني...»؛ لأنه أراد أن يثير أسئلة وجود. ولعلنا نلاحظ أن كثرة ورود أحرف العطف تضيف على النص صفة سردية ملحمية.

لقد تنوعت الضمائر، واستترت وراء ضمائر أخرى. فكيف أدت وظيفتها في زيادة التوتر الدرامي؟

### ٦-٢- الضمائر ولعبة الظهور والتخفي

تعدد الضمائر بين الـ«أنا» والـ«هو» والـ«أنت» والـ«نحن»؛ إذ يبدأ المشهد الثاني بفعل أمر شديد اللهجة، يبدو الشاعر فيه منفصلاً عن القديم، مندجاً في الجديد. لكن الحوار لا يقفز بين الشاعر والنجاشي؛ لذا تظهر تقنية الصوت، وتبرز وظيفة الضمائر في بناء النص؛ إذ نكون أمام وظيفة تواصل مع المخاطب، والمتكلم، والغائب. فلا يهدف تميم إلى إخافة النجاشي بشعره، وزعزعتة عن موقفه بمفرده بل يوجه رسالة إلى الطرف السياسي الآخر، يقرر فيها تفوقه وقومه وفريقه السياسي قبل بدء المعركة. فيخفي الـ«أنت» الـ«أنتم جميعاً» أما الـ«نحن» فتظهر من أنا الشاعر.

وتحيل الضمائر على شخصيات تفعل الحدث الدرامي:

تشكّت ببعض الطرف حتى فهمته حياءً وما فاهت به الشفتان

فللضمير المقابل وظيفة تجعل التوتر متصاعداً في نفسيهما معاً.

ويعدّ ضمير «أنت» من أكثر قرائن التخاطب تواتراً، ويخفي هذا الضمير القيم التي نسبت إلى الذات المبدعة، فيبدو الشاعر محاجاً، يسعى إلى زعزعة الآخر

عن موقفه، والتأثير فيه. ولعل وجود الإنشاء، والجمل التي أخذت طابعًا حَكَمِيًّا «بنى اللؤم بيتًا فوق كل يمان» يقومان دليلًا على ذلك.

ويخفي الضمير «أنا» وراءه الضمير «هو»، ويخفي الضمير «أنت» الضميرين الآخرين، ويجعلهما في اتصال دائم<sup>(٤٤)</sup> فالآخر يسكن في ذواتنا بالقدر الذي نسكن فيه في ذوات الآخرين. ويتعين على ذلك ألا وجود لذاتية الشاعر إلا مقابل ذاتية الآخر. فحين نظم الشاعر بضمير الغائب أوهم بالموضوعية، لكنه في الحقيقة هو الفاعل، وهو الذي أوجد الموقف، ونسب الفعل إلى الشخصية:

«عشية قالت لي وقالت لصاحبي، فقال أراها بين تبراك موهنا، تشكت ببعض الطرف حتى فهمته..»

إن ضمير الـ«أنت» وجه من وجوه ضمير الـ«أنا»<sup>(٤٥)</sup>، أو هو تجاوز للـ«أنا» إلى فضاء مستقبلي يحقق ما عجز عن تحقيقه في الحاضر، فحضرت الجماعة بآمالها في الصوت الفردي.

ويبدو الجانب الدرامي مبثوثًا في تضاعيف النص كله؛ لذا يظهر على المستوى الإيقاعي أيضًا؛ لأن الإيقاع يتوازى والحال النفسية للمبدع.

### ٦-٣- الإيقاع ودراما الحركة والثبات

بنى الشاعر قصيدته على روي النون المكسورة، وحرف النون من الأصوات

(٤٤) ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، ط ١، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، سلسلة زدني علمًا، ١٩٨٢، ص ١٠٥.

(٤٥) يرى ميشال بوتور أن كل كلام هو أولاً حوار، أي أنه لا يمكن أن يصدر عن شخصية منفردة. وكل كلام مسموع يفرض وجود شخصية متكلم ومخاطب. انظر: ميشيل بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ص ٨٩.

التي تمتاز بالوضوح السمعي، والميِّع، والجهر، والأنفية<sup>(٤٦)</sup> ويعني التحليل السابق أن حرف النون حرف أراد الشاعر منه أن يجهر بمشكلته، ويشرك الآخرين بها، لا أن يتغنى بها بينه وبين نفسه. كما أن النون صوت رنيني أنفي يهتز لدى نطقه واحد من تجاويف الرنين- التجويف الأنفي<sup>(٤٧)</sup> - أو أكثر. ويتعين على ذلك أن روي النون المكسورة حرف متحرك يأبى الثبات، والسكون. ويتطلب النص الذي يقوم على الصراع، والتقابل بين حالين، أو موقفين صوتاً مجهوراً ذا تردد عال. فيتكرر هذا الرنين في نهاية كل بيت، وكأن الشاعر لم يسمح للسكون الذي ينطوي عليه بعض أجزاء البيت بالاستمرار، فيكسره بتعاقب روي النون بغنتها الصاححة الحزينة.

والروي حرف متحرك، لكنه يمثل حركة، ووقوفاً في الآن نفسه؛ إذ يحتتم البيت به، وينتقل من بيت إلى آخر، فتغدو القافية نقطة ارتكاز نغمية، تترك أثراً، وتوجه الحركة النفسية التالية. وقد بدأت هذه الحركة النفسية مع أول بيت؛ لتوتر مبدعها.

ويتحقق الإيقاع الدرامي من الوقائع المتتالية المتحركة، والمتصادمة. فالقصيدة مجموع مواقف نفسية أدت إلى خروج الشاعر من صوته الغنائي إلى فضاء موضوعي.

وقد اعتمد الشاعر على البحر الطويل، وهو بحر تتماوج فيه الحركة، والسكون. ومن المعهود أن البحر الشعري قيد، لكن للشاعر حرية داخل هذا القيد، فله أن يشكّل تفعيلاته ضمن هذا القيد الوزني تشكيلاً يُظهر نفسيته القلقة، والمتحفزة. وبعملية حسابية نجد أن عدد الحركات في النص كله ٩١٤ حركة، أما عدد السكّنات

(٤٦) بشر كمال: علم اللغة العام والأصوات، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٦٨.

(٤٧) محمد الخولي: الأصوات اللغوية، ط١، عمان، دار الفلاح، ١٩٨٦، ص ٤١-٤٢.

فقد بلغ ٤٧٥ سكوئًا. فكثيرًا ما حول الشاعر فعولن // ٠ / ٠ / ٠ إلى فعول // ٠ / ٠ / ٠ ، ومفاعيلن // ٠ / ٠ / ٠ / ٠ إلى مفاعل // ٠ / ٠ / ٠ / ٠ ، أو مفاعيلن // ٠ / ٠ / ٠ / ٠ إلى مفاعلن // ٠ / ٠ / ٠ / ٠ ، متجاوزًا السكون إلى حركة متوثبة مما يعني أن الحركة قد تفوقت على الثبات. وفي هذا الجانب إظهار لنفسية الشاعر التي تأبى القيد، وتسعى إلى الحركة في المكان، والحركة في الزمان، والحركة النفسية.

تميل القصيدة -إذن- إلى الحركة التي تظهر على مستوى الإيقاع الدرامي الذي يغلب الحركة، وعلى مستوى الروي المكسور. فإيقاعه الموسيقي تشكيل موسيقي حيوي؛ لأن الحركة موجودة داخل قيد الإيقاع، تحركه، وتوجه مساره.

وأخيرًا: تجلّى الجانب الدرامي في هذه القصيدة على مستوى المضمون حين قدم الشاعر الصراع بأوجهه المختلفة من صراع نفسي، إلى صراع مع الزمان، إلى صراع مع التحول في القيم التي تحكم المكان، إلى صراع مع المختلف سياسيا. وقد تجلّت أهمية الموقف الدرامي في توجيه زاوية رؤية المبدع، ورؤيته؛ إذ تجلّت رؤيتان مختلفتان: رؤية تتعلق بالدهماء والحنين إلى الماضي معها، ورؤية تتعلق بالمشكلات السياسية في عصره، وانخراطه إلى جانب أحد الفريقين المتنازعين.

لقد تمكن الشاعر من كسر حاجز الغنائية في قصيدته حين أضفى عليها أوجهًا درامية تمثلت في الصراع، والذروة، والحل، وتقديم الشخصيات، والزمان، والمكان تقديمًا دراميًا.

## ٧- خاتمة

تتسم القصيدة بتغلغل الجانب الدرامي المبعوث داخل الغنائية. وقد بدأ هذا الجانب بالوضوح من البيت الأول حين حاور الشاعر المكان الذي كان أهلاً،

فخرج من وحدة الذات إلى حوار الواقع. فالدرامية ارتقاء من الذاتية إلى التعبير الأعم. ويمكن أن نسجل جملة من النتائج التي خرج بها هذا البحث:

بدا الشاعر منفعلًا في بداية قصيدته، فاعلاً فيما بعد؛ لذا أخذت الرؤية في المشهد الأول طابعًا انكفائيًا إلى الماضي، وطابعًا استشراقيًا في المشهد الثاني.

تعاضت ذات الشاعر في الحاضر في إطار علاقته بالنجاشي، وتصدعت في الماضي في إطار علاقته بالدهماء.

مر الشاعر بمراحل أربع من التوتر والصراع: مرحلة الأسى لفقدان الدهماء، ومرحلة الشعور بفداحة التقلب الزمني والتحول المكاني، ومرحلة السعي وراء الدهماء والفشل الذي مني به، ومرحلة العمل للخروج من الأزمة.

انتصر الشاعر لقبيلته، ولموقفه السياسي لكنه رأى أن الصراع السياسي أوسع، فقد انطلق من الصراع القبلي الضيق إلى الصراع السياسي الأوسع.

بدأ الفعل الدرامي بتحديد الزمان والمكان في البيت الأول. وقد دخل المكان الحاضر بزمانه في علاقة ضدية بالمكان الماضي بزمانه. أما رؤيته فقد دخلت في علاقة ضدية برؤيته. وهذا ما فجر الحدث الدرامي من بداية القصيدة.

تجسد الجانب الدرامي في ذروات بدأ الحدث بها، ثم انتقل إلى ذروة أخرى أعقبها لحظات تأمل؛ ذلك لأن ثمة صراعًا دراميًا بين إرادتين كل منهما تحاول هزيمة الأخرى.

صورة الأنا تجلّ لصورة الآخر؛ إذ يسهم المتخيل في بناء صورة الآخر.

ينمُّ الخطاب الدرامي على قلق معرفي. وقد لجأ الشاعر إلى التخفي، ولعبة الضمائر، فأخفى الضمير وراءه ضميرًا آخر، وجعل الضمائر في اتصال دائم.



- عبد المطلب، د. محمد، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.
- العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل بن حجر: ت: ٨٥٢هـ: الإصابة في تمييز الصحابة، طبع القاهرة، ١٣٢٨هـ.
- كمال، بشر: علم اللغة العام والأصوات، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
- ابن مقبل، تميم بن أبي: الديوان، تحقيق: د. عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٢م.





## الكيواني الدمشقي

أحمد بن الحسين (توفي ١٧٥٩م)

من طلائع نهضة الشعر في العصر الحديث

د. محمد رضوان الداية(\*)

كان في قضايا الأدب والنقد في العصر الحديث: متابعة حركة نهضة الشعر العربي، وعودته إلى مجراه القديم المتجدد، المتطور. وبحث الأدباء والنقاد في أسباب تلك النهضة، وإرهاصاتها، وفي أثر محمود سامي البارودي في الاضطلاع بعبء الوثبة التي فصلت بين عصر نهضة الشعر وما قبله .

وقد سجّل مؤرّخو الأدب بعض الإرهاصات المبشرة بتلك النهضة، وتجمهر الكلام على ذلك في «مصر» التي سبقت الأقطار العربية إلى تعميم الطباعة، وظهور وسائل الإعلام: (الصحافة) آنذاك. وذكر الدكتور شوقي ضيف من هؤلاء محمود صفوة الساعدي الذي أخذت «تنفك عنه قيود الأسلوب العثماني الغليظة، وإن لم يتحرّر منه تمامًا...»<sup>(١)</sup>.

---

(\*) باحث في الأدب والنقد والتراث من سورية.

(١) البارودي رائد الشعر الحديث - شوقي ضيف - الطبعة الخامسة - دار المعارف بمصر: ٤٥.

وكان البارودي رائد الشعر الحديث - كما عبّر د. شوقي ضيف<sup>(٢)</sup> - فهو قد وثب بالشعر وثبة عظيمة، وكان «المهّد الأول» للنهضة. فقد فكّ الشعر من قيوده الضيقة المحصورة المبتذلة، ووصله بروائعته القديمة وصياغتها المحكمة...<sup>(٣)</sup>

على أن من الإتمام لفصول تاريخ الأدب التي توالى بين العصر العثماني والعصر الحديث، ومن الإنصاف لبعض شعراء الشام (سورية خاصة) أن يُذكر شاعران أسهما إسهامًا كبيرًا في الانتقال من الخصائص العامة التي غلبت على حركة الشعر في العصر العثماني إلى مزايا ذات أهمية كانت إرهاصات بالغة، ومقدمات واضحة، وعلامات دالة، تضع أمين الجندي شاعر حمص (توفي ١٨٤١) وأحمد الكيواني شاعر دمشق (توفي ١٧٥٩) في المهّدين الأساسيين لنهضة الشعر العربي الحديث. وقد حظي الشاعران باهتمام حسن من بعض الباحثين، وكان حظ الجندي أكبر من حظ الكيواني. فقد طبع ديوان الجندي ثلاث مرّات، وذكره مؤرّخو الأدب<sup>(٤)</sup> واستفاد في الإنصاف من قرب عصره من العصر الحديث.

وقد طبع ديوان الكيواني مرّة واحدة - كما سيأتي الحديث - وكتب عنه د. عمر موسى باشا في تاريخه<sup>(٥)</sup>.

على أن الكيواني، وكلامي هنا على شعره وخصائصه ومكانته، يستحق أن يُدرج في الكلام على إرهاصات نهضة الشعر العربي، وعلى الطفرات البارزة في مدّة

(٢) المرجع السابق: مقدّمة الكتاب: ص: ٥.

(٣) البارودي رائد الشعر الحديث - شوقي ضيف - المرجع السابق.

(٤) انظر ما كتبه د. عمر موسى باشا في تاريخ الأدب العربي - العصر العثماني: ٥٦٦ ومقدمة كتاب:

من شعر أمين الجندي - أ. عبد الفتاح قلعة جي.

(٥) العصر العثماني: ٥٠٦.

العصر العثماني التي خرجت عن استكانة الشعر لما دُعِيَ: «الانحطاط» وعلى أثرٍ مهمٍّ لهذا الشاعر في طريق النهضة، وعودة التآلق إلى الفن الجميل.

وسياتي الكلام على إقامة الكيواني مدّة - ليست بالقصيرة - في مصر، وعلى شيوخ أشعاره هناك، وتلقي الناس في مصر والشام وغيرهما ذلك الشعر بالقبول، وتلحين بعضه وغنائه (ولذلك آثار باقية إلى اليوم) واستمرار شيء منه ذائعاً وحيوياً. ومن النصوص الغنائية الباقية في التراث الشعبي في مصر والشام وغيرهما من

الأقطار العربية هذه القطعة المشهورة:

بالذي أَسْكَرَ من حَمْرِ اللَّمَى<sup>(٦)</sup>      كَلَّ كَأْسٍ تَحْتَسِيهَا وَحَبَبٌ  
والذي كَحَّلَ عَيْنِيكَ بِمَا      سَجَدَ السَّحْرُ لَدَيْهِ وَأَقْتَرَبَ  
والذي أَجْرَى دُمُوعِي عِنْدَمَا      عِنْدَمَا أَعْرَضْتَ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ  
ضَعَّ عَلَى صَدْرِي يُمْنَاكَ فَمَا      أَجْدَرَ الْمَاءِ بَأَنْ يُطْفِئَ اللَّهَبُ!

وغاب عن الناس اسم صاحب هذه القطعة، فكأنها صارت من التراث الشعبي (الفلكلور). وهي ما تزال حيّة تُغنى في الأفراح والمناسبات، وتدخل في الألحان التقليدية التي ترعاها «أكاديميات» الفنون والتراث الشعبي.

في المرحلة الأخيرة من العصر العباسي (انتهى سياسياً وعسكرياً سنة ٦٥٦ هـ، ١٢٥٨م) وُصِفَ الأدبُ: شعره ونثره في معظم بلدان المشرق بعبارة (الجُمود)<sup>(٧)</sup>. وهذه الصفة كانت مقدمةً لعبارات متشابهة أطلقت على معظم النتاج الأدبي الفني في العصرين المملوكي الذي ينتهي بدخول العثمانيين الشام ومصر،

(٦) اللمى: سُمرة مستحسنة في الشفة، والعندم: مادّة حمراء كان يتخذ منها خضاب.

(٧) انظر مثلاً الفن ومذاهبه في الشعر العربي؛ مواضع متعددة فيه.

وفي العصر العثماني؛ مثل عبارات: الانحدار، والانحطاط، التي تتجاوز كلمة (الجمود) التي تعني ثباتاً على حالٍ، أو أحوال مُعيّنة. وأخرج بعض الأدباء والنقاد من هذه الصّفات أشعار المديح النبوي، وبعض أشعار الزهاد، والمتصوّفة، وبعض الطفرات في قصائد قليلة هنا وهناك؛<sup>(٨)</sup> وكثيراً من الشعر في الأندلس<sup>(٩)</sup>.

## (١)

في أثناء كتابتي دراسةً عن (القط والفأر: بين ثقافتنا وثقافتهم) تذكّرت قصيدة كنت قرأتها قديماً في ديوان شاعر دمشقي من رجال القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) هو أحمد بن الحسين الشهير بالكيواني فأضفتها إلى الدراسة، وأعدت النظر في الديوان كله، وعاد إليّ الهاجس القديم الذي بثّه جمهرة الأدباء والنقاد، وطنّت في أذني صفة (الانحطاط) التي وصّم بها جرجي زيدان أدب العصر العثماني خاصة؛ ومن هنا يجيء هذا البحث: تعريفاً من جهةٍ ومحاولةً إنصاف من جهة ثانية.

والأثر الباقي من تراث الكيواني الدمشقي كتاب في مئتي صفحة ضمّ قصائد للشاعر ومقتطفات، ورسائل نثرية كتبها لمناسبات متعددة؛ فهو ديوان شعر ونثر.

- وفي تراث الكيواني مزدوجة وردت في نسختي الظاهرية وبرلين من الديوان.

ولم ترد في النسخة المطبوعة.

(٨) انظر مثلاً: معالم الأدب العربي د. عمر فروخ (المقدمة).

(٩) انظر كتاب: في الأدب الأندلسي - محمد رضوان الداية.

- وأرجوزة على غرار أرجوزة أبي العتاهية «ذات الأمثال» نشرت في مصر سنة ١٣١٢ هـ بعنوان: «كتاب حانات الطرب في منتزهات الأدب» في ٤٨ صفحة، ولم ترد في الديوان.

- وقد وعد الناشر: أحمد نجيب صاحب جريدة المنظوم (وكان مدرساً لعلوم العربية) بنشر القسم المنشور من الكتاب وهو في اثني عشر منتزهاً. ولم أجده فيما رجعتُ إليه من آثار الكيواني في المخطوط والمطبوع. وفي نسخة في الظاهرية (برقم ٨٤٢٨) عنوان آخر لهذه الأرجوزة هو: «أقل ما يحفظه الأديب».

- و«أرجوزة في الشطرنج» نشرها مع مقدمة عن الشاعر د. عبد الله محمد عيسى الغزالي في مجلة معهد المخطوطات العربية (المجلد الحادي والثلاثون - الجزء الأول شوال ١٤٠٧، حزيران ١٩٨٧) ١٤٧-١٨٧.

- وتراث الكيواني الدمشقي المخطوط والمطبوع في حاجة إلى عناية جديدة شاملة: دراسةً وتحقيقاً إنصافاً لحق الأديب الشاعر الكاتب من جهة، وتبييناً لأثره عند التقويم الفعّال ذي الأثر للشعر في عصر النهضة أسوة بأمين الجندي في الشام، ومحمود سامي البارودي في مصر، مع الانتباه إلى اختلاف الزمان، وتدرّج قوة الإرهاص المؤثرة عند كل واحد منهم، وعند مَنْ جرى معهم في ميدان الشعر خاصّة.

- وقد ترجم الزركلي للكيواني الدمشقي في الأعلام (١: ١١٨)، ولم يوفّه حقه من التعريف، وأعتقد أنه لم يطلع على ديوانه، فلم تأت ترجمته على المؤلف من صنعة الزركلي البارعة.

وذكر جرجي زيدان في تأريخه للأدب العربي الكيواني ذكراً عارضاً وسمى ديوانه ولم يزد على ذلك.

- وترجم له في معجم المؤلفين، وذكر ديوانه فحسب (١: ١٣٠)
- وترجم له ترجمة موسعة الدكتور عمر موسى باشا في: تاريخ الأدب العربي (العصر العثماني) ٥٠٦ واختار من شعره في أغراض مختلفة.
- وهذا الديوان الذي حظي برعاية أحد العلماء والأدباء الدمشقيين<sup>(١٠)</sup> لا يحتوي على نتاج الكيواني كله، بتصريح أولئك العلماء من جهة، وبإشارة بعض كتب التراجم إلى شعرٍ في موضوع معين خلا منه الديوان من جهة أخرى.
- وحيوية الشاعر، وانغماسه في حياة عصره يتيح له أن يترك وراءه قدرًا أكبر من هذا المنظوم، والمتشور. فالباقي من تراثه هو جزء من تراث أكبر وأوسع.
- وفي الأخبار الباقية من ترجمة الكيواني في (سلك الدرر) للمراي<sup>(١١)</sup>، ومن ملاحظات أخرى تُلقت من الديوان في شعره ونثره ومقدمات نصوصه، نقف على ترجمة ورؤية لأديب كان شاعرًا وكاتبًا بموهبة عالية في كليهما، عاش في ظل الدولة العثمانية: فتنقل في البلاد (الأقاليم العربية) وفي الأناضول وصولًا إلى إستانبول حاضرة الدولة العليّة .
- ولقي الكيواني العلماء في الشام ومصر، وأخذ عنهم حتى برز في الشعراء والكتّاب، وحظي بتكريم بعض رجال الدولة، ونال حظًا من ثمرات براعته ومواهبه.
- ولد الكيواني في دمشق في وقت لم يسجله التاريخ، ولعله أوائل القرن الثاني عشر الهجري وتوفي بها سنة ١١٧٣ هـ - ١٧٥٩ م عن عمر لم تسجله كتب التراجم.
- ونال من الحظ والشهرة والرعاية ما كان كافيًا له، ومهيئًا لحياة اجتماعية حسنة.

(١٠) هو علامة الشام: محمد أمين الشهير بابن عابدين (عن الصفحة الأولى من الديوان).

(١١) سلك الدرر ١: ١١٣ - ١٢٤.

وأخذ عن علماء الشام حتى نضج، ثم قصد إلى مصر فأخذ عن علمائها حتى اكتمل. وأتقن علوم العربية والآداب، والفقه، وفنوناً أخرى .

ونال إجازة في الخط من شيخ دمشقي خطّاط: هو محمد العمري الدمشقي. وقد حلّاه المرادي في ترجمته إياه، في المقدمة، بعد العبارات العامة، فقال فيه<sup>(١٢)</sup>:

«... له يدٌ طولى في العلوم، وفنون الآداب، ومهارة تامة خصوصاً بالإنشاء والنظم والنثر، وبراعة في الكتابة بحيث تفرّد بحُسن الخط في وقته، مع معارف تامّة، وخطٌ أخذ من الحسن وافر الخط...» .

ومن الصور الاجتماعية - الثقافية، التي مرّت في سيرته أنه كان في دمشق: «غالبٌ جلوسه في حانوت بسوق الدرويشية، تجتمع عنده زمرة الأدباء والكُمل، مع لعب الشطرنج، وله أرجوزة عجيبة. وكان هو أحد أعيان (جند أوجاق البرليّة) بدمشق، والمشار إليه بهم. ووالده كان أمير الأمراء: تولى حكومة القدس وعجلون وغيرها»<sup>(١٣)</sup>.

- ولعل منطقة كيوان بدمشق منسوبة إلى جد الشاعر الأعلى «كيوان» ولم أجد هذا في مصادر ي، ولكنه على التوقع (بسبب مكانة ذلك الرجل).

## (٢)

في سنة (١٣٠١ هـ) قبل أكثر من قرن وربع القرن) طبع في دمشق ديوان أحمد الكيواني، وعبارة غلاف الديوان هي: ديوان أحمد بك الكيواني الدمشقي.

(١٢) سلك الدرر ١: ١١٣.

(١٣) المرجع السابق.

وقد طبع عن نسخة مصحّحة سبقت الإشارة إليها، وأضيف إلى مخطوطة الديوان ما ورد من شعره في (سلك الدرر) وفي أوراق أخرى صحيحة النسبة إلى الشاعر الكاتب.

وقد تداخلت القصائد بالرّسائل في تسلسل غير مرتب: لا على الموضوعات، ولا على حروف الهجاء، ولا على التسلسل التاريخي، على أن آخر ما ثبت من شعره في الديوان بيتان هما<sup>(١٤)</sup>:

على الله في كل الأمور مُعَوِّي      ومن فيضه أرجو بأن أبلغ المنى  
وما زلتُ مذ كانت حياتي جهالةً      أسيء إلى نفسي وما زال مُحسنا

- وهناك نصوص كثيرة لم ترد في الديوان من تراث الشاعر الكيواني<sup>(١٥)</sup>. وعلى كل حال: ديوان الكيواني الدمشقي نموذج حسن الدلالة، جيّد الشهادة، على نبض حيوي في الأدب: شعره ونثره في هذه المدّة من حياة الأدب العربي؛ وهو نموذج يكسر حدة الكلام المتسرع عن انحطاط عام وسقوط ذريع للأدب العثماني، ويغيّر من تلك الرّواسم الجامدة. (والرواسم جمع الرّوسم: « الكليشية »).

(١٤) ديوان الكيواني: ١٧٣.

(١٥) وللشاعر مدائح نبوية أشار إليها في قوله (الديوان: ٩٩).

فأنا الغريب وليس لي من مؤنس	وأنا الأسير وليس لي من فادٍ
مالي سوى حبٍّ لآل محمّد	أملُّ به أرجو فكاك صفادي
ومدائحي لهم على علّاتها	عمل أقدمه ليوم معادي



## (٣)

الأخبار القليلة التي بقيت عن الكيواني لا تكفي: لتصوير شخصه وعرض حقيقة شخصيته بالوضوح والإبانة، ولا تقدم معلومات، ولو موجزة، عن رحلاته، وأسفاره، ولا عن اغترابه؛ وهي لا تحدّد عمله الذي كان يزاوله مهنةً يتكسّب منها عيشه، ولا تبين لنا شيئاً ولو يسيراً عن أسرته وأقاربه...

على أن قارئ الديوان الذي يجمع بين أشتات الكلام، ويفصل بعض قضايا الشاعر عن بعضها، ويرتبها، ويحاول قراءتها يخرج ببعض الاقتراحات (أو الافتراضات) التي تقدم صورةً تقريبية للشاعر وأحواله، ومواقفه.

عرفنا أنه رحل وسافر، ونعرف أيضاً أنه استقر مدة يبدو أنها طويلة في مصر، واستقرّ مدة في عاصمة الدولة: إستانبول.

ويبدو أنه زاول عملاً في مصر تعيش منه، وقد يكون الكتابة الإنشائية، ومزاولة الخط. وشكواه من الغربة تدلّ على طولها (فقد وردت كثيراً في شعره). وفي الديوان قصيدة قصيرة في اثني عشر بيتاً كتب بها إلى ابن عمّ له، ولعله كان معها رسالة نثرية على عادته في مراسلاته. وفي الشعر ملمح إنساني عميق، إضافة إلى قيمة النص الاجتماعية، والشخصية.

قال يخاطب ابن عمه<sup>(١٦)</sup>:

يا ابن عمّي تفديك من كلّ سوءٍ      نفسٌ حرٌّ ما في يديه سواها  
ليت شعري وقد أضربني الشؤ ..      قُ أتجدي آه إذا قلت: آها؟

كنتُ أجلو عن مقلتي بمحيًا .. ك صداها وكنت أنتَ ضياها  
وهي اليوم من فراقك قد قرَّ .. حَهَا دُمُعها وخان كَراها...  
وهذا الشعر يُعَدُّ شعراً حسناً: صياغةً جيدة، وحسن أداءٍ للمعنى، وانسياباً في  
العبارة، ورقة في نسيج الكلام، وإتقاناً لبيان ذوب العاطفة...  
ويبدو أن الكيواني لم ينل حظاً عالياً في غربته، يليق به وبعلمه وفنّه، وإن استمر  
في اغترابه طويلاً. وقد طال حديثه عن إباء الحرّ، وعن هوان أمور الدنيا في جانب  
عزّة النفس. ونقرأ له<sup>(١٧)</sup>:

وهل يرتجي الحرُّ الهوانَ لنفسه      ولو أنه في جنة الخلد أو عدن  
فلا والدجا والبيد والعيسِ والسرى      وما قد أقاسي ليسَ ذلك من شأني  
وما فضل نفس الحرّ، والله كافلٌ      لأرزاقه إن ذلَّ يوماً ليستغني؟  
وقد أتبح له أن ينتفع بشيءٍ من علمه وثقافته وخبرته الأدبية شعراً ونثراً، فقد  
مدح بعض الكبراء دون أن يتذلل نفسه، بل إنه صرح في بعض قصائده أنه يمدح  
أو يثني دون غرض مادي أو تكسبي.  
وسافر إلى إستانبول مرافقاً لأحد الوزراء وأقام مدةً فيها (لا نعرف كم دامت)  
ويبدو أنها لم تكن طويلة.

والخبر الذي ذكره المرادي في ترجمته من افتتاحه دكّاناً في محلة الدرّوشية  
بدمشق يفيد باستقلالية عمله فيما كان يزاوله من الكتابة خاصة. ويكون مقبولاً  
أن نستنتج أنه كان يمارس الكتابة بأنواعها (الديوانية و الإخوانية) ويمارس الكتابة  
(الخطّ) أيضاً.

وشعره، في إشارات كثيرة وتصريحات من الشاعر نفسه، يدل على أنّ الكيواني لم يكن من أهل الثراء. وكانت عزة نفسه - كما يظهر من قصائده ورسائله - ترفعه عن الاستجداء والتكسب. وقد أكثر الشاعر من ذكر كلمة (الحرّ) وصفًا لنفسه أو لمن يكون كذلك من الناس من الاستقلال، والصّون، والترفع.

ونقرأ له قوله<sup>(١٨)</sup>:

إنَّ العُلاَّ أصبحت خلاءً      فالخُرَّبين الوري غريبُ  
وقوله<sup>(١٩)</sup>:

رأيت الزمان عدو الكرا .. م لا يبلغ الحرّ فيه وطرُ  
فسليت نفسي عن سلمه      وحاربتُه وركبتُ الخطرُ!  
وقوله<sup>(٢٠)</sup>:

وارفع بعزّ النفس همم ..      ك من دني أو همم  
وللاغتراب أثر في نفس الشاعر ظهر بوضوح وكثرة في الباقي من شعره ونثره.  
ونقرأ له قوله<sup>(٢١)</sup>:

ياربّ ضقتُ بغربتي      ذرعًا وبالكرب المتاح  
فاكشف كرب النفس أو      فأذن لروحي بالروح!  
وقوله<sup>(٢٢)</sup>:

(١٨) المصدر السابق: ١٢.

(١٩) ديوان الكيواني: ١٦.

(٢٠) المصدر السابق: ١٠١.

(٢١) المصدر السابق: ١١٣.

(٢٢) المصدر السابق: ١١٤.

غريبٌ قد بكاهُ إلٌ .. فهُ واشتاقَهُ وطُنُهُ  
 كما يشتاق قلباً غا .. بَ عن أحشائه بدَنُهُ  
 بعيدٌ قد تناساه الصُّ .. حاب، وخانه زمنُهُ  
 وقوله (٢٣):

إلى الله أشكو جَوْرَ دهرٍ مُعانِدٍ      وقعتُ أسيراً في يديه فجافاني  
 وبعيدٍ عن الخِلالِ أوهى تجلُّدي      وإن كنتُ من ذكرى عهدهم داني

## (٤)

أكثر شعر الكيواني الدمشقي ينبع من نفسه ومن شؤونه المختلفة، ويصّب فيها أيضاً، وربع شعره تقريباً يدخل في الإخوانيات وما يلحق بها، وشعره وإن ورد في عنوانات بعض قصائده أتمها في المدح والثناء، هو نوعٌ خاص من المدح لا يدخل في أشعار التكسب المعروفة، كما سوف أبيّن.

وغيبته (أوغيباته) عن دمشق كانت كثيرة، وكان بعضها طويلاً. وقد ظهر هذا في شعره: في موضوعاته المختلفة من الغزل، والوصف، والحنين، واسترجاع الذكريات.

وقد تركبت شخصيته الشعرية على شخصيته الذاتية النفسية. فشعره صدّي (أو أصداء) لما كان يجري له من دواعي الفرح والمرح، ومن دواعي الحنين والأين. ومن وراء تلك النفس المرهفة الشفافة، والشاعرية الأنيقة الرقيقة: انتبه بعض قراء الشاعر إلى ذلك كله ولا حظوه، حتى إن بعض معاصريه - وكان صديقاً له أو زميلاً -

وهو سعيد بن السمان<sup>(٢٤)</sup> كان يسمي ديوان الكيواني: المَلَطَمَة<sup>(٢٥)</sup> «لأن غالبه - بل كله ندبٌ وتأوّه». وقد اعترض المرادي صاحب سلك الدرر في ترجمة الكيواني على هذا، وقال فيه إن تسمية ابن السمان لديوان الكيواني بالملطمة حسدٌ منه، وإنه لا يصح أن يكون تلميذاً له، وشبه الكيواني في القرن الثاني عشر بالأمر منجك المنجكي<sup>(٢٦)</sup> في القرن الماضي، بل هو أرجح منه... ثم عقب وقال: وعلى كل حال فهو فرد الدهر أدباً وفضلاً ونظماً ونثراً..

أكثر شعر الكيواني إذن في الغزل وما يناسبه من النسيب والتشبيب؛ وهو على امتداد صفحات الديوان لا يذكر اسماً معيناً. والشعر لا يوحى باستغراق الشاعر في حديث امرأةٍ واحدةٍ معينةٍ لها سماتٌ خاصة تنطبع في بعض شعره. وقد كان الشعر العربي من قديمه إلى زمانه ماثلاً بين يديه أو حاضراً في حفظه، أو مستغرقاً في وجدانه. وإذا كانت الصنعة تدعو الشاعر أحياناً إلى استيفاء مقاصد الغزل وملاساته: كالمجالس والشراب والصَّخب، وهذا قليل، فإن الغالب على شعره الغزل الموصوف بالعفيف والوجداني، مع ميلٍ غالبٍ إلى أساليب العذريين. ونقرأ في قصيدة له<sup>(٢٧)</sup>:

أفي الله أم في الحب قتل متيِّمٍ عفيفٍ بلا ذنبٍ جناه ولا وزرٍ

(٢٤) ترجم له المرادي في سلك الدرر ١٦١/٢ وانظر ترجمة له ومراجع لها في أعيان دمشق في القرن الثاني عشر ١: ٨٣.

(٢٥) سلك الدرر ٢: ١١.

(٢٦) الأمير منجك بن محمد اليوسفي (١٠٠٧-١٠٨٠ هـ / ١٥٩٨-١٦٦٩ م). قال فيه الزركلي: أكبر شعراء عصره، وله ديوان مطبوع. انظر فيه الأعلام ٧: ٢٩١ ومصادره ثمة.

(٢٧) ديوان الكيواني: ٩.

ومن طرائف ما نذهب إليه قوله في بعض شعره<sup>(٢٨)</sup>:

إنما الحبّ شقوةٌ وعناءٌ      وإذا ما ألحّ فهو جنونٌ  
فإذا كان فيه هجرٌ وصدٌّ      أو فراق يطول فهو منونٌ!  
وقوله في قصيدة أخرى<sup>(٢٩)</sup>:

هيهات أن يبرا عليلٌ هوىً      إن المتيمّ داؤه صعبٌ  
وإذا المحبّ صفت سرائره      لم يشفّه بُعدٌ ولا قربٌ  
وبعض المعنى مولّد من شعر مشهور لابن الدّمينة<sup>(٣٠)</sup>.

فالمرأة « الحبيبة » في الديوان الذي يغلب عليه الغزل كما قلنا غير واضحة المعالم، ولا نعرف اسمها ولا خصوصيات سماتها، ولا مشهور علاماتها. أما الوطن الصغير فاسمه عالٍ صدّاح، يُذكر بالاسم بل بالأسماء التاريخية المتعددة لـ (دمشق) وبالأوصاف الكثيرة. وزاد من ولوع الشاعر بدمشق اغترابه عنها وتذكاره من فيها وما فيها. كانت هي الهوى العارم والشوق الغالب، والأنس الأنيس، وراحة النفس، وريحان القلب.

وكرّر الشاعر كلمة (سكن) في تسجيل أشواقه وإظهار عواطفه، وهي كلمة تصلح للزوجة، وتصلح للحبيبة أيضاً، وهذا مقطع من قصيدة ذكر فيها السّكن، ووصفه بالإلف وسمّى العلاقة وداداً، ووصف حاله في البعد بالشوق، قال<sup>(٣١)</sup>:

(٢٨) المصدر السابق : ١٠ .

(٢٩) المصدر السابق : ١١ .

(٣٠) انظر ديوان ابن الدّمينة : ٨٢ - ٨٣ .

(٣١) ديوان الكيواني : ١٧ .

ولي سكنٌ أشهى إليّ حديثه  
يسائل عن حالي ويُصفي الوداد لي  
ولا عذر للمشتاق في هجر إلفه  
ولو عرضت من دونه شقّة النوى  
ولكنه جار الزمان مع الهوى  
وليس مع الأقدار للحرّ حيلةٌ  
من القرقف الممزوج بالبارد العذب  
ويقلقه بُعدي ويرتاح من قربي  
ولو كان محبوباً بحُجبٍ من القُضبِ  
وكوبد فيها كلُّ مستعضلٍ صعبِ  
وأظهر أنواع العداوة والحربِ  
فلا بد من شكوى الخُطوبِ إلى الربِّ  
ويكثرُ هذا الملمح وما يشابهه في شعره، ولا يبعد صحّة افتراض قيام الكيواني

ببعض أسفاره غير الطويلة، وأهله باقون في دمشق. ومن ذلك قوله (٣٢):

نأء بمصر وبالشام حبيبهُ  
قد بان عن أحبابه فهل اشتفى  
وقوله وهو مقيم في مصر أيضاً (٣٣):

يارب قد طال البعاد فلم تدع  
- وهذا نص تامّ: قصيدة غزل قصيرة، تصلح مثلاً على غزله، واغترابه،

وتكشف عن كثير من خصائص أسلوبه وصنعتة الشعرية قال (٣٤):

طيفُ ألمِّ بمُدْنَفِ  
أجفانه لم تطرفِ  
أسرى به فكرٌ نَمَى  
وأزاره سرٌّ خَفِيَ (٣٥)  
فأتى إليّ يخوض في  
ضحضاح دمعٍ مسرفِ

(٣٢) المصدر السابق: ٤٤.

(٣٣) ديوان الكيواني: ٣٧.

(٣٤) المصدر السابق: ٩٥.

(٣٥) أسرى: سار ليلاً. نَمَى مضارعه: ينمي. أزاره: حثّه على (دفعه إلى) الزيارة.

ويقول لي: مولاي لم	تَرع الوداد ولم تف!
ما صَبْرُ يعقوب الهوى	وسلُوهُ عن يوسف!
فأجبتُهُ بتوجُّسٍ	وتذلَّلٍ وتلهَّفٍ:
أفديك ما هذا الجفا؟	يا قاتلي ومُعنَّفِي؟
لا والذي قد أودع الـ	حسراتِ قلب المدنفِ
لم أشلُ قريبك إنَّما الـ	أيَّامُ لي لم تسعفِ
ما حيلتي والدهرُ خصـ	مي والزَّمانُ مُسوِّفِي؟
إنَّ المحبَّةَ والوفَّاءَ	طبعي بغيرِ تكلفِ
أنَّما منْ صفالك وُدُّه	لكنني لم أنصفِ
يبكي المحبُّ لتنظفي	نارُ الغرامِ المتلفِ
فالدمعُ فوق حدوده	يجري ونار الشوقِ في!
ويحَ الغريبِ قضى أسي	وحبيبهُ لم يعرِفِ!!

فهذا حوارٌ بين الشاعر وبين طيف زاره ليلاً عاتباً عليه سلوّه وخفوت هواه؛ ودفاعٌ من الشاعر عن نفسه ووصفٌ لحال المحبِّ المدنف فيه. واللوم - يقول الشاعر - على الظروف (الدَّهرُ والزَّمان) وأكبرُ عوامل اضطرابه، العُربة وأهوالها، وإلا فإنه على الودِّ القديم والحب الدائم... ويسأل طيف الحبيب أن يسعفه، ويعيدَ زيارته، ولا يجفوه!

وختم القصيدة التي تسلك مسلك الحوار القصصي بالشكوى من الغربة التي اجتمعت مع الحب « المتلف ».

والنص « ينسجم » مع نفس الشاعر الغالب عليه في شعر الغزل، من حُسن عرض قضية الحب من جهة ووصلها بشخصيته وملاحظها العامة الغالبة من جهة أخرى.



وتتناسق عناصر القصيدة ألفاظاً وأفكاراً ومشاعر وعواطف، وتأتلف أجزاءها وتكون وحدةً متناغمةً تصِلُ بالقارئ إلى ما أراد الشاعر وانفعل به. ويمكن الربط بين هذه القصيدة، وبين قوله من قصيدة أخرى له أنشدها في اغترابه بمصر<sup>(٣٦)</sup>:

ناءً بمصر وبالشام حبيبهُ      دنفٌ ولكن أين منه طبيئهُ؟  
قد بان عن أحبابه فهل اشتفى      وهل استراح حسودُهُ ورقبيئهُ؟  
وقال من أخرى<sup>(٣٧)</sup>:

سأموثُ إن كذبَ الرجا ويضمّني      قبرٌ غريبٌ بالعراء سحيقُ  
ويظهر للقارئ هذا الإتقان في بناء القصيدة السالفة وسلامة تدفقها، ومناسبة إيقاعها (مجزوء الكامل) وحسن اتساق قوافيها وتلاؤمها مع سائر العناصر، ولطف إشراك القارئ معه في الكلام في البيت السابق للأخير (من الصفحة السابقة) فإنه لجأ إلى ما يعرف في علم البديع (بالاكتفاء)، حين حذف مجرور (في) آخر البيت، وهو يقول إن دمه يجري فوق حدوده، وإن نار الشوق في «قلبه» أو ما شابه ذلك مما يتّممه القارئ أو السامع...

## (٥)

والشاعر مع استغراقه في شعر الغزل مفتون - كشعراء الشام - بدمشق، دائم الذكر لها أو لشيء يتعلق بها، كثير الحنين عند الاغتراب إليها، كقوله - مثلاً -<sup>(٣٨)</sup>:

(٣٦) ديوان الكيواني : ٤٤ .

(٣٧) ديوان الكيواني : ٤٤ .

(٣٨) المصدر السابق : ١٢٤ .

إنني لمشتاقٌ إلى جناتِ عدنٍ بالشامِ

في جِلَّتِ الفيحاءِ لي بَدْرٌ يفوقُ على التمامِ

وقوله مشتاقاً ذاكراً دمشق وهو في مصر، مخاطباً شيخه ابن الغزي<sup>(٣٩)</sup>:

وريح سرت من جلق جاد أرضها وعهد تلاقينا بها كل هتان

ولا برحت مأوى كرام أعزة ومنزه ندمان ومسرح غزلان

يخيّل لي شوقي إلى ورد مائها إذا هاج أن النيل نُعبَةُ عطشان

أتت من رياض النيرين عليلةً ذكيةً أنفاسٍ بليلةً أردان

فبالله يا ريح الشام تحملي رسالةً مشتاقٍ إلى القرب هيمان...

ولا نعرف من شعراء دمشق خاصة والشام عامة من استغرق الغزل قسماً كبيراً

من أشعارهم كالذي نجده في ديوان الكيواني الدمشقي، وما نعرفه من تراث نزار

قباي، الدمشقي. مع فتنة الاثنين بدمشق وكل ما هو دمشقي شامي.

- وهذا ملمح يستحق أن يفرد بكلام مستقل.

وتسلك أبيات الحكمة وما يلحق بها من معانٍ، في الأمثال والأقوال التي تسير

في عددٍ من قصائده، وتكثر هذه الأبيات أحياناً، وهي دائماً موصولة بما يتعلق به في

حياته، وعلاقاته بالناس، ورؤاه الفكرية والعقدية.

وفي قصيدة له على روي الكاف جرت سهلة سلسلة عذبة - مع صعوبة القافية

- وقف الشاعر للمئات الزمان وأحداث الدهر، وشكا من الفرقة والغربة - وطالما

شكا من ذلك - وأشاد بنضال الحرّ من أجل حياة كريمة شريفة، ثم استطرد<sup>(٤٠)</sup>:

(٣٩) المصدر السابق: ٦٧.

(٤٠) ديوان الكيواني: ٨١.

وما ثمَّ ثوبٌ كالقناعة سائرٌ      كما لا يزينُ الزهدَ إلا التنسُّكُ  
وما كلُّ حاجاتِ القنوعِ نفوتهُ      ولا كلُّ آدابِ الحريصينِ تُدرِكُ  
وقال (٤١):

وأضيقُ من أضعِ الدهرِ صبُّ      شجبيَّ إلفه إلفُ مطوّل  
ودهرٌ لا يجود على محبِّ      عفيف، باللقا، دهر بخيل  
وقال (٤٢):

لأنَّ مع المحبَّة كلَّ شيءٍ      حقير، إن فكرتَ له، جزيل  
وقال (٤٣):

والحبُّ أقتل ما يكو ..      ن إذا الحبيبُ تعطَّفَا!  
وقال (٤٤):

ما عولج الهمَّ الدَّخي ..      يَلُ بمثلِ شدِّ أو مُدام!

## (٦)

ومن قصائد الديوان البارزة قصيدة في رثاء هرة كانت في داره؛ وهي من محاسن شعره؛ فيها سمات قوة صنعة الشعر، وقدرة الشاعر على التعبير والتصوير، و انفعاله بالموضوع - وهو محدود الإطار أصلاً- حتى ظهرت في القصيدة الملامح الشخصية والإنسانية والإسلامية من وراء قضية الحياة والموت، وإن كانت في مخلوق صغير من الحيوانات الأليفة.

(٤١) المصدر السابق: ٨٢.

(٤٢) ديوان الكيواني: ٩٧.

(٤٣) المصدر السابق: ١٠١.

(٤٤) المصدر السابق: ١٧٩.

وقد عالج الشاعر موضوع وفاة الهرة في أربعة وخمسين بيتاً في ترتيب خاص تجاوب مع تطور الموقف وانفعالاته المختلفة، إضافة إلى وصف الهرة وبيان شيء مهم من طبائعها، ووصف ائتلافها في المنزل واستئناسه بها، قال فيها<sup>(٤٥)</sup>:

كادت تصيدُ الفرقدي .. عين بوثبةٍ منها يسيره  
فتعلّمت حركاتها .. شعلُ البروقِ المستطيره  
وفي موضوع رثاء الهرة يقول بين الوصف والأسف:

خلسَ الحِمامَ حياتها .. وابتزّ من قلبي سروره  
كانت لنفسي إن فقدت .. تُت مسامراً أبداً سميره  
حتى إذا الفجرُ انجلى .. أو طائر أبدي صفيره  
قامت تجرُّ وراءها .. ذنباً ينوسُ ولا الضفيره  
سوداء رجعت الهري .. رَ كراهبٍ يتلوزبوره  
أعزّز عليّ بأن تصا .. بَ وأن أضمتها حفيره  
لو سامها مني الردي .. ما بعثها بخراج كوره  
قد غالها ما غالَ ذا الأو .. تادٍ واستقصى نفيره!  
..... إلخ.

- ولقصيدة الكيواني هذه مزيّة في مثل هذا الموضوع، وكانت قد اشتهرت قصيدة عباسية في رثاء هرة لأبي بكر بن العلاف (توفي ٣١٨ - أو ٣١٩ هـ)، أولها<sup>(٤٦)</sup>:

يا هُرُّ فارقتنا ولم تُعِدِ .. وكنت عندي بمنزل الولدِ

(٤٥) المصدر السابق: ١٨٠.

(٤٦) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢: ١٠٩ - ١١٠.

وتبقى لقصيدة الكيواني خصوصية الشاعر وملاحظه الشخصية، ونزعاته الإنسانية، وطبيعته المرهفة ورؤيته في جانب العبرة من الموت؛ في سماتها الإسلامية.

## (٧)

في شعر الكيواني، وفي رسائله القائمة على السجع وألوانٍ أخرى من البديع والبيان: يلاحظ القارئ الفرش الثقافي الواسع للشاعر، وغزارة محفوظه اللغوي، وحسن استعماله لتلك الثقافة مفرداتٍ، ومعاني، وأفكارًا...

وللشاعر إعجابٌ بشعراء بأعيانهم من العصور المختلفة مثل شعراء الغزل عامة، والعذريين خاصة، وإعجاب بالبحثري، وابن الدمينه وأبي الطيب المتنبّي، وغيرهم من الكبار.

ومن هنا كثّر التوليد في ديوان الكيواني، وكثرت محاولات التجديد والابتكار، ونلاحظ (كأس الأمانى) في قوله<sup>(٤٧)</sup>:

عاطني يا نديم كأس الأمانى      علّ همّي بذلك الكأس يُجلى  
واستعارة قلب آخر في قوله<sup>(٤٨)</sup>:

واحرّ قلبي من قلو      بٍ أصبحت أسرى لديه  
أبدًا يغارُ عليه من      عيني إذا نظرتُ إليه  
من لي بقلبٍ غير قل      بي أستعينُ به عليه؟!  
والذكرى الطائرة في قوله:

(٤٧) ديوان الكيواني: ١٠٩.

(٤٨) المصدر السابق: ٢٦.

تطيرُ بقلبه الذكرى ويُقعد جسمه وهنئه!  
ومرّ الشاعرُ بمعانٍ اشتهرت لشعراء كبار على سبيل الاقتراب منهم والانتفاء  
إليهم والتوليد عن قدرة وحسن صنعة من أشعارهم، فقال ناظرًا إلى أبي الطيب<sup>(٤٩)</sup>:

قم نشتك الشوق يا سميري فأنت وافي الهوى نسيبُ  
بانوا ووجه الزمان طلقُ فصار في وجهه قطوبُ  
فلا نديمٌ ولا صديقٌ ولا أنيسٌ ولا حبيبُ  
وقوله ناظرًا إلى المعري<sup>(٥٠)</sup>:

كم ليلةً أفنيتها بالشهد لاقيت جيش الشوق فيها وحدي  
وللثريارونق لآبدتُ في جيد زنجي الدجا كالعقدِ  
وقوله مشيرًا إلى ابن الدمينه<sup>(٥١)</sup>:

هل للمحبّ المستهام رفيقُ أم هل إلى الصبر الجميل طريقُ؟  
أم هل كما قالوا: إذا بان الذي تهوى فإن اليأس منه رفيقُ؟  
- وردّد مع القاضي الجرجاني إباءه، وما سمّاه بعضهم انقباضًا فقال<sup>(٥٢)</sup>:

فكم قائل فيك انقباضٌ ووحشةٌ فقلت له: لا بل من الذلّ أهيبُ  
وذلك كله داخل في مواضعه من القصائد مؤتلف معها، من نسيجها، وليس  
رقعة استعارها، يجلي بها شعره.

والشاعر الذي يرتاد أنواع البحور المطوّلة، يميل أيضًا إلى البحور القصار أو

(٤٩) المصدر السابق: ١٤.

(٥٠) ديوان الكيواني: ٤٢.

(٥١) ديوان ابن الدمينه: ٤٦.

(٥٢) ديوان الكيواني: ٤٧.

مجزوءات البحور، مثل مجزوء الكامل، ومجزوء الرَّمَل، ومجزوء الرجز، وله إعجاب ببحر المنسرح. وأسهمت هذه القصار والمجزوءات في تهيئة بعض شعره - في تقديري - ليكون شعراً مُعْنَى مطرباً. كقوله (جامعاً بين الغزل وذكرى دمشق)<sup>(٥٣)</sup>.

مَنْ لِلْمَحَبِّ الْمَسْتَهَامَ      بمهفهفٍ لَدُنِ الْقَوَامِ  
بل من لمغترِبٍ ينو ..      ح بشجوه شجو الحمام  
إنِّي لمشتاقٍ إلى      جنّات عَدْنٍ بالشَّامِ  
(من مجزوء الكامل المذيل)

- وقوله<sup>(٥٤)</sup>:

قم نشتكِ الشوق يا سميري      فأنت وافي الهوى نسيبُ  
(من مُحَلِّع البسيط)

- وقوله<sup>(٥٥)</sup>:

البدْرُ يغارُ إذا سفراً      والغصن يغارُ إذا خطرا  
(من الخَبِّب)

- وقوله<sup>(٥٦)</sup>:

ليبك داعية الغرام      أهلاً بأرواح الشَّامِ  
(من مجزوء الكامل المرفل)

(٥٣) المصدر السابق: ١٠٠.

(٥٤) ديوان الكيواني: ١٤.

(٥٥) المصدر السابق: ١١٨.

(٥٦) المصدر السابق: ٥٧.

- وقوله (٥٧):

مَنْ مَسْعَدِي مَنْ عَذِيرِي      مَنْ مُنْصَفِي مَنْ مُجِيرِي؟  
(من بحر المجتث)

وتَرَجِعُ إلى العبارة الشعرية في ديوان الكيواني في هذه المدة من تاريخ الأدب  
رصانتها ومتانتها، وتماسكها، ويظهر للقارئ صدورها عن خبير، متمكن من  
اللغة، ممسك بأطراف الكلام، قادر على إيضاح الفكرة بما يتناسب، ويتلاءم  
وأسلوبه الشخصي.

ونقرأ له قوله (٥٨):

وطالعتُ أيامي فألفيتُ وجْهَهَا      قَطُوباً عَلَيْهِ قَتْرَةٌ وَكُلُوحُ  
فَأَوْسَعْتُهَا زُهْدًا وَصَدًّا وَعِفَّةً      ورأيتُ أطراحَ القاطنين نجيحُ

- ويظهر هنا هذا التماسك، والتألف بين مكونات الشعر المختلفة.

وقوله (٥٩):

ترفتُ يا زمانُ فما فؤادي      بصلدٍ لا يلينُ ولا جليدِ  
وليس القلب من حجر فيبقى      على هذا، ولا أنا من حديدِ  
رويدًا لا تحاول ماءً وجهي      وهاك إن اشتهيت دمَ الوريدِ  
ولا تحسب حياتي فيك منَّا      فإني لستُ أرغبُ في الخلودِ

وهذا من الكلام القاصد، فيه: وضوح الفكرة، وسلامة العبارة، وقوة الأسلوب،

وانسيابه أيضًا.

(٥٧) المصدر السابق: ٩٨.

(٥٨) ديوان الكيواني: ٦٦.

(٥٩) المصدر السابق: ٥٤.



ومثل هذا الشعر - من حيث مقاصده - في ديوان الكيواني فاشٍ كثير. ويجد الشاعر نفسه (ويلاحظ القارئ أيضًا شخصيته) في أبيات كثيرة من قصائده المختلفة، وهذه نبذة مختارة من قصيدة له ينوّه فيها بنفسه، وبراعة شعره.. وهذا الاختيار يدخل أيضًا في دلائل رقي الأسلوب، وحسن الصياغة، وقوة الأخذ، واسترسال الكلام من خاطر شاعر متمكن، ومن قدرةٍ عنده على حُسن الأداء<sup>(٦٠)</sup>:

وشعر حُكْتُهُ من نسجٍ فكري      بُرودًا مثلَ ديباجِ الخدودِ  
معانٍ مثل معسولِ الأمانِ      وأشهى من رضابِ فمِ برودِ  
والفاظ عذابِ رائقات      تروق بحسنها دُرَّ العقودِ  
كما جُمع الهوى من بعد شوق      يذيبُ النفسَ بين فمٍ وجيدِ

لقد غاب عن دارسي الكيواني كونه طليعةً نهضةً شعريّةً حقيقيّةً، وهذا حقٌّ له ينبغي أن يوضّح. إنه حقًا طليعةٌ رائدةٌ نبتت في دمشق، وساحت في بلدان عربية وإسلامية بشعر متقدّم في الحيوية والجدّة، وفيه التمكن وحسن الصياغة، وفيه العذوبة التي أخذت قدرًا غير قليل منه إلى نوادي المطربين والموسيقيين، فضلًا على تصوير شعره لذاته وأحواله، إضافة إلى جوانب اجتماعية، وإلى انغماسه في دمشق العريقة ومجالي حسنها وجمالها....

ولقد استمرت حياة الموشح الأندلسي على يد الكيواني قويّةً طيعةً، ولم يلبث أمثال أمين الجندي أن تسلموها، وأغنوها. وتستحق موشحاته وقفةً مستقلة .

الكيواني شخصيةٌ جديرة بأن يعاد النظر في آثارها وتراثها، وأن تطبع الآثار الباقية من شعره ونثره وتنتشر نشرًا محققًا مدققًا، وأن تُصدّر بدراسة واسعة عن

حياة الكيواني وعن فنه من نثر وشعر... إنه طليعةٌ، ولقد مهَّد بقوة واقتدار وجمال شعري لمن جاء بعده في الشام كالجندي وفي أقطار العرب كالبارودي .

## مَصَادِرُ وَرُؤْيَا مَجْمَعِ الْبَحْتِ

- الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت.
- البارودي رائد الشعر الحديث - د. شوقي ضيف - دار المعارف بمصر.
- تاريخ الأدب العربي - العصر العثماني - د. عمر موسى باشا - دار الفكر - دمشق.
- ديوان أحمد الكيواني - المطبعة الحفنيّة - دمشق - ١٣٠١هـ.
- ديوان الأمير منجك باشا - عبد القادر بن عمر نبهان - المطبعة الحفنيّة - دمشق - ١٣٠١هـ - ١٨٨٢م.
- ديوان ابن الدّمينه - راتب النفاخ - دار العروبة - القاهرة.
- ديوان المتنبّي - بتحقيق د. عزام - لجنة التّأليف والترجمة والنشر - القاهرة.
- سلك الدّرر في أعيان القرن الثّاني عشر .
- الفنّ ومذاهبه في الشعر العربي - د. شوقي ضيف - دار المعارف بمصر.
- معالم الأدب العربي - د. عمر فَرّوخ - دار العلم للملايين - بيروت.
- من شعر أمين الجندي - عبد الفتاح قلعه جي - وزارة الثقافة - دمشق.
- وفيات الأعيان - ابن خلكان - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر.



## شهادة العروض على مسائل في علم أصوات العربية

د. عبد البديع النيرباني(\*)

### مقدمة

- ميزان العروض، كما قال ابن جنبي (ت ٣٩٢هـ)، عيار الحسّ وحاكم الطبع<sup>(١)</sup>، وكان قد تنبّه على صلة علم الأصوات بالموسيقا (والعروض منها) حين قال: «ولكن هذا القليل من هذا العلم - أعني علم الأصوات والحروف - له تعلّق ومشاركة للموسيقا، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم»<sup>(٢)</sup>.

- ويأتي هذا البحث تأملاتٍ صوتية في علم العروض، بغية استثمار ما في أحد العلمين في فهم الآخر<sup>(٣)</sup>.

---

(\*) عضو الهيئة التدريسية في جامعة البعث بحمص.

(١) انظر الخصائص: ٣٢٩/٢.

(٢) سر الصناعة: ٩/١.

(٣) يقوم البحث على علمي (العروض) و(الأصوات)، وبني على الانطلاق من الأصوات في فهم العروض، فهو تأملات صوتية في علم العروض، ويحتل وجهًا آخر، هو الانطلاق من العروض في فهم الأصوات، فهو شهادة العروض على مسائل في علم أصوات العربية. فكان

- وقد انتظمت لي من هذه التأمّلات سبع مسائل، أسوقها على هذا النحو:
- ١- تحديد مخارج الأصوات. ٢- تقارب الأصوات. ٣- الخفاء. ٤- الصوائت.
- ٥- المقطع. ٦- النبر. ٧- المخالفة.

### المسألة الأولى: تحديد مخارج الأصوات

- ابتكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) طريقة (ذوق الحروف) لتحديد مخارجها، قال تلميذه الليث: «وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو: أب، آت، آح، آع، آغ». (٤)

وتقوم هذه الطريقة على أمرين:

الأول: نطق الحرف ساكناً.

والآخر: اجتلاب همزة وصل قبله.

فأما الأمر الأول، وهو نطق الحرف ساكناً، فلأنه أكثر إعانة على تحديد المخرج، لما فيه من التلبّث الذي يتيح للمجرّب فرصة التأمل، ولما في الحركة من إقلاق للحرف وانحراف به عن موضعه. قال ابن جنّي: «وإنما سمّيت هذه الأصوات الناقصة حركات، لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجذب به نحو الحروف التي هي أبعاضها». (٥)

وأما الأمر الآخر، وهو اجتلاب همزة وصل قبل الحرف وهو ساكن، فلأن

أن بني البحث على أحد الوجهين وسمّي بلازم الآخر، مَبْنَهَةٌ عليه.

(٤) كتاب العين: ٤٧/١.

(٥) سر الصناعة: ٢٦-٢٧/١.

هذا من سنن العرب في كلامها. ألا ترى أنهم قالوا: ابن واسم، فألحقوا همزة حتى وصلوا إلى اللفظ بالساكن؟<sup>(٦)</sup>

- وما يشهد أن نطق الصامت ساكناً أطول منه متحرّكاً: أن التقطيع العروضي قائم على ثنائية (المتحرّك/الساكن)<sup>(٧)</sup>، ويشمل الساكن حروف المدّ (الصوائت الطويلة)<sup>(٨)</sup>، ولا شك في طولها. فوضع الصوائت الساكنة مع حروف المدّ في زمرة واحدة أمانة على طول النطق بها.

وهو بخلاف ما يتبادر إلى الذهن بادي الرأي من أن الصامت المتحرّك مركّب (صامت+صائت قصير) والساكن بسيط (صامت فقط)، والمركب أطول من البسيط. فهذا استدلال نظري يُغفل الاحتكام إلى الحسّ والتجربة.

### المسألة الثانية: تقارب الأصوات

- يحدّثنا الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) عن (الإكفاء)، وهو أحد عيوب الشعر، بقوله: «اختلاف حرف الروي في قصيدة واحدة، وأكثر ما يقع ذلك في الحروف المتقاربة المخارج، مثل قوله<sup>(٩)</sup>:

بُنَيِّ إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنٌ

الْمَنْطِقُ اللَّيِّنُ وَالطُّعْمُ<sup>(١٠)</sup>

(٦) الكتاب: ٣/ ٣٢١.

(٧) انظر العقد الفريد: ٥/ ٤٢٤، والمعيار في أوزان الأشعار: ١٧، والعروض والقافية: ٦٥.

(٨) انظر العروض والقافية: ٦٥.

(٩) لم أقف على قائله، وفي النوادر لأبي زيد: «وقالت امرأة لابنها: بني إن البر...» ص ٤٠٠.

(١٠) الوافي في العروض والقوافي: ٢١٦-٢١٧ (باختصار).

فالنون من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، والميم من بين الشفتين<sup>(١١)</sup>،  
والشَّكَّةُ بينهما مخرجاً ليست بعيدة، فضلاً عن اتفاقهما في صفة الغنة<sup>(١٢)</sup>.  
- وطريف من أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) استشاره هذه المسألة  
العروضية في الاحتجاج لاختلاف القراء في نحو قول الله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي  
الْعِلْمِ وَالْحِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، إذ قرأ قُنْبُلٌ بِخُلْفٍ عنه: (بسطة) بالصاد، وقرأ  
الباقون: (بسطة) بالسين<sup>(١٣)</sup>.

قال أبو علي: «فأما من لم يبدل السين في (بسطة) وترك السين، فلأنه أصل  
الكلمتين، ولأن ما بين الحرفين<sup>(١٤)</sup> من الخلاف يسير، فاحتمل الخلاف لقلته، ولأن  
هذا النحو من الخلاف لقلته غير معتدّ به. ألا ترى أن الحرفين المتقاربين قد يقعان في  
رَوِيٍّ فيستجيزون ذلك كما يستجيزونه في المثلين، كقوله<sup>(١٥)</sup>:

إِذَا رَكِبْتُ فَاجْعَلُونِي وَسَطًا

إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدًا<sup>(١٦)</sup>

(١١) انظر الجوانب الصوتية: ٥٧، ٥٨.

(١٢) انظر الجوانب الصوتية: ٨١.

(١٣) انظر النشر: ٢/٢٣٠.

(١٤) هما السين والطاء.

(١٥) لم أقف على قائله، والبيت في كتاب القوافي للأخفش: ٥٢؛ واللسان: مادة (ع ن د)،

٣/٣٠٧؛ ومغني اللبيب: ٨٩٤.

(١٦) وسط الدابة خير من طرفيها لتمكن الراكب. والعُنْد: جمع عَنُود، وهي الناقة التي لا

تستقيم في سيرها.

فكما جعل الدال مثل الطاء في جمعها في حرف الروي ولم يحفل بما بينهما من الخلاف في الإطباق، كذلك لم يحفل بما بين السين والصاد فلم يقربها منها كما فعل الآخرون.»<sup>(١٧)</sup>

### المسألة الثالثة: الخفاء

- الحروف الخفية خمسة: حروف المدّ واللين ولا سيما الألف<sup>(١٨)</sup>، والهاء<sup>(١٩)</sup>، والنون الساكنة إذا تقدّمت أحد حروف الفم<sup>(٢٠)</sup>.

ومعنى الخفاء في هذه الحروف أنها لا تحتاج إلى كبير جهد في النطق، قال مكّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ): «والألف أخفى هذه الحروف، لأنها لا علاج على اللسان فيها عند النطق بها...»<sup>(٢١)</sup>

وخفاء النون هنا أنها إذا كانت ساكنة فلها مخرجان: مخرج لها من الفم، ومخرج لغنتها من الخياشيم. فإذا جاء بعدها أحد حروف الفم، استعملوا ألسنتهم فيها من مخرج غنتها فقط، وكان ذلك أخفّ<sup>(٢٢)</sup>.

ومهما يكن من خفاء النون فإنها إذا كانت ساكنة تشارك بالسكون والغنة حروف المدّ واللين<sup>(٢٣)</sup>.

---

(١٧) الحجة: ٣٤٨/٢ - ٣٤٩.

(١٨) انظر الكتاب: ٤/٤٣٦.

(١٩) انظر الكتاب: ٢/٤٢١.

(٢٠) انظر الكتاب: ٤/٤٥٤.

(٢١) الرعاية: ١٠٣، وانظر الكتاب: ٤/٣٣٥-٣٣٦.

(٢٢) انظر الجوانب الصوتية: ٨٦.

(٢٣) انظر النوادر لأبي زيد: ٥٤٢.

- فإذا تحوّلنا إلى علم العروض في موضع الحروف التي لا تصلح أن تكون رويًا، وجدنا أن ما يجمع هذه الحروف شيئان: الخفاء والزيادة.

فجميع الحروف تصلح أن تكون رويًا، ما عدا الأحرف الآتية<sup>(٢٤)</sup>:

١. حروف المدّ إذا كانت زائدة أو مولدة من الإشباع. أما الألف المنقلبة عن واو أو ياء فقد تكون رويًا.

٢. النون التي ليست من بنية الكلمة، كنوني التوكيد، ونون الإناث، ونون التنوين.

٣. الهاء الساكنة، سواء أكانت هاء التأنيث وقفًا أم هاء السكت أم هاء الضمير متحرّكًا ما قبلها.

أما الشيء الأول وهو الخفاء، فلأنه ليس في الحروف الخفية من قوة الاعتماد ما يُرضي الناطق بحسن الوقف عليها.

وأما الشيء الآخر وهو الزيادة، فلأن الحرف إذا كان زائدًا جاز أن يُقدّر ساقطًا. وأما إذا كان أصلًا فلا يسوغ فيه هذا التقدير.

#### المسألة الرابعة: الصوائت

- تقسّم الدراسات الصوتية الحديثة الأصوات اللغوية على ضربين:

الأول: صوامت، وهي ما يعترض الهواء في نطقه حبس أو تضيق، كالباء والفاء.

والآخر: صوائت، وهي ما لا يعترض الهواء في نطقه حبس أو تضيق، وهي

الفتحة والكسرة والضممة (قصيرة)، والألف والياء والواو المدّيتان (طويلة)<sup>(٢٥)</sup>.

(٢٤) انظر كتاب القوافي للأحفش: ٧٧-٨٠، وكتاب القوافي للتونخي: ٧٥-٨١، والقوافي في

العروض والقوافي: ٢٠١-٢٠٢.

(٢٥) انظر الأصوات اللغوية: ٢٦.



- وتقسم الصوائت باعتبار انفتاح الفم عند النطق بها قسمين: واسعة كالفتحة، وضيقة كالكسرة والضممة<sup>(٢٦)</sup>.

وعلى هذا فالقاربة بين الكسرة والضممة أقوى من القاربة بين كل منهما والفتحة، وكذلك القاربة بين الياء والواو المدّيتين أقوى من القاربة بين كل منهما والألف<sup>(٢٧)</sup>.

ومما يشهد لهذا في العروض جواز اجتماع الياء والواو مدّيتين في الرّدْف<sup>(٢٨)</sup>، كقول المتنبي<sup>(٢٩)</sup>:

كَلَّمَا رَحَّبْتُ بِنَا الرَّوْضِ قُلْنَا      حَلَبٌ قَصَدْنَا وَأَنْتِ السَّيْلُ  
والمَسْمُونُ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ      وَالْأَمِيرُ الَّذِي بِهَا الْمَأْمُولُ

وكذلك أن الإصراف، وهو اختلاف حركة الرويِّ بفتح وغيره<sup>(٣٠)</sup>، نحو<sup>(٣١)</sup>:

وإني بحمدِ الله لا واهنُ القُوى      ولم يكُ قومي قومَ سوءٍ فأخشعا  
وإني بحمدِ الله لا ثوبَ عاجزٍ      لبستُ ولا من غَدْرَةٍ أتقنُّعُ

(٢٦) انظر مبادئ اللسانيات: ١٣٦.

(٢٧) انظر موسيقا الشعر: ٢٦٥-٢٦٦.

(٢٨) انظر كتاب القوافي للأخفش: ١٤، وكتاب القوافي للتنوخي: ٩٠، والعقد الفريد:

٤٩٦/٥، والوفائي في العروض والقوافي: ٢٠٥، والكافي في علم القوافي: ١٠٤.

(٢٩) انظر شرح ديوانه: ٣/٣٤٢.

(٣٠) انظر الوافي في العروض والقوافي: ٢١٥، وشرح تحفة الخليل: ٣٦٥، وموسيقا الشعر

العربي: ١٥٤.

(٣١) لبرذع بن عدي الأوسي، انظر مجالس ثعلب: ١/٢١٠، والبيتان في اللسان: (قوا)،

٢٠٩/١٥.

أشدَّ عيباً من الإقواء<sup>(٣٢)</sup>، وهو اختلاف حركة الرويِّ بكسر وضم<sup>(٣٣)</sup>،  
نحو<sup>(٣٤)</sup>:

أَمِنَ آلِ مِيَّةَ رَائِحُ أم مَغْتَدِي عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مَزْوُودٍ  
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنْ رِحَلْتَنَا غَدًا وَبِذَاكَ خَبَرْنَا الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ

### المسألة الخامسة: المقطع

- يتألف الكلام في النطق من توالي دقات صوتية، تتحدّد الدفقة منها بأنها أصغر ما يُبتدأ به من الصوت ويوقف عليه في لغة ما، وتدعى مقطعاً (syllable)<sup>(٣٥)</sup>.  
- والمقاطع في العربية ستة<sup>(٣٦)</sup>:

١. صامت+صائت قصير (CV)، نحو(بِ).
٢. صامت+صائت طويل (CVV)، نحو(بِي).
٣. صامت+صائت قصير+صامت (CVC)، نحو(مَنْ).
٤. صامت+صائت طويل+صامت (CVVC)، نحو(بَابْ).
٥. صامت+صائت قصير+صامت+صامت (CVCC)، نحو(عَبْدْ).

(٣٢) انظر كتاب القوافي للتنوخى: ١١٧، والوافي في العروض والقوافي: ٢٢٦، والكافي في علم القوافي: ١٠٧، وموسيقا الشعر العربي: ١٥٨.

(٣٣) انظر الوافي في العروض والقوافي: ٢١٥، وشرح تحفة الخليل: ٣٦٥، وموسيقا الشعر العربي: ١٥٤.

(٣٤) للنابغة الذبياني، انظر ديوانه: ٢٨-٢٩.

(٣٥) انظر علم اللغة بين القديم والحديث: ١١٢.

(٣٦) انظر دراسة الصوت اللغوي: ٣٠١، ومبادئ اللسانيات: ١٥٧-١٥٨.

٦. صامت+صائت طويل+صامت+صامت (cvvcc)، نحو(ضالّ).  
وأكثر ما يرد المقطع الرابع في الوقف، وقد يرد في غير ذلك إن أتى بعد الصائت الطويل صامت مدغم في مثله، نحو (ضالّين=ضالّ/لين).  
وأما المقطعان الخامس والسادس فلا يردان إلا في الوقف.  
واختصاص الوقف بمقاطع معينة ناتج عن أن تلك المقاطع كانت في الوصل على مقطعين، غير أن ذهاب الصائت القصير في الوقف بالسكون من المقطع الأخير أفقده قابلية الاستقلال في النطق، فألحق بما قبله، ونشأ لدينا ما سمّاه بعضهم المقطع المتّحد في مقابل الأصلي<sup>(٣٧)</sup>.

- وينقسم المقطع باعتبار نهايته إلى<sup>(٣٨)</sup>:

١. مفتوح: إذا انتهى بصائت.

٢. مغلق: إذا انتهى بصامت، وقد يكون مضاعف الإغلاق إذا انتهى بصامتين.

- وينقسم المقطع باعتبار طوله إلى<sup>(٣٩)</sup>:

١. قصير: إذا تألف من صامت وصائت قصير.

٢. متوسط: إذا تألف من صامت وصائت طويل، أو صامتين بينهما صائت قصير.

٣. طويل: إذا تألف من صامتين بينهما صائت طويل، أو أكثر من صامتين.

- وللمقطعية ارتباط بالعروض في أربعة مواضع:

---

(٣٧) انظر الوقف في العربية: ٩٨-٩٩.

(٣٨) انظر دراسات في فقه اللغة: ٢٠٠، ومبادئ اللسانيات: ١٥٦-١٥٧.

(٣٩) انظر دراسات في فقه اللغة: ٢٠٠، ومبادئ اللسانيات: ١٥٧.

## ١. استبعاد بعض المقاطع في الشعر

- لا يتوالى ساكنان في الشعر عدا القافية، فيجوز أن يتوالى فيها ساكنان، بشرط أن يكون الأول منهما حرف مدّ أو لين<sup>(٤٠)</sup>، نحو<sup>(٤١)</sup>:

ويأوي إلى نسوةٍ بئساتٍ      وشُعْتُ مراضيعٍ مثلِ السَّعالِ  
ونحو<sup>(٤٢)</sup>:

ومسَّهم ما مسَّ أصحابَ الفيلِ      ترميهمُ حجارةٌ من سِجِّيلِ  
فصيروا مثلَ كعَصْفٍ مأكولِ

- وهذا يعني أن ثمة مقاطع لا ترد في الشعر، وهي الخامس والسادس مطلقاً، والرابع إلا في القافية.

أما رفض المقطعين الخامس والسادس فلما فيهما من ثقل بالطول، والشعر فنّ يطلب فيه اعتدال اللفظ وخفّته.

وأما قبول المقطع الرابع مقيداً بالقافية فلتردده بين علتين: علة ثقل وهي كونه طويلاً، وعلة خفة وهي كونه مردوفاً بحرف المدّ أو اللين.

## ٢. القافية

- هي بتحديد الخليل: من آخر حرف في البيت، إلى أول ساكن يليه، مع المتحرّك الذي قبله<sup>(٤٣)</sup>.

(٤٠) انظر كتاب القوافي للأخفش: ٩٧.

(٤١) لأمية بن أبي عائذ، انظر شرح أشعار الهذليين: ٥٠٧/٢.

(٤٢) لرؤبة بن العجاج، انظر مجموع أشعار العرب: ١٨١.

(٤٣) انظر كتاب القوافي للأخفش: ٦، والعمدة: ٢٩٤/١، والوافي في العروض والقوافي: ١٩٩.

- وهذا يعني أن القافية أصغر بنية مقطعية ينبغي على الشاعر التزام نوعها في آخر كل بيت من القصيدة<sup>(٤٤)</sup>، مع إقحام المتحرك الذي قبل الساكن غير الطرف للتمكن من النطق بها. تؤكد هذا رواية لأبي يعلى التنوخي عن الخليل غير مشهورة أنها عنده «الساكنان الآخران من البيت وما بينهما، مع حركة ما قبل الساكن الأول منهما»<sup>(٤٥)</sup>.

فحق قول الشاعر<sup>(٤٦)</sup>:

إنّ الكلام من الفؤاد وإنما      جعل اللسان على الفؤاد دليلاً  
لا يعجبنيك من خطيبٍ قوله      حتى يكون مع البيان أصيلاً  
القافية في البيت الأول (ليلاً)، وفي الثاني (صيلاً)، والذي التزم فيها البنية المقطعية الآتية: (ياء مدية+لام+ألف).

- ويقول العروضيون في تعريف العلة: تغيير يطرأ على الأسباب والأوتاد معاً، إذا كانت هذه الأسباب أو الأوتاد في آخر التفعيلة. ولا يلحق إلا الأعرىض والأضرب، وهو تغيير لازم على الأغلب<sup>(٤٧)</sup>.

وأقول: إن لزومه في الأعرىض والأضرب يدل على عناية العرب بمقاطع كلامها، وذلك أن الذاكرة السمعية أكثر احتفاظاً بآخره، ولأجل ذلك فهو موضع التائق والفنّ.

---

(٤٤) حدّ أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج الشنتريني (ت ٥٥٠هـ) القافية بأنها «كل ما يلزم الشاعر إعادته في سائر الأبيات من حرف وحركة». الكافي في علم القوافي: ٩٧، وانظر العمدة: ٢٩٦/١.

(٤٥) كتاب القوافي للتنوخي: ٥٩.

(٤٦) الأخطل، انظر شعره: ٥٦٠.

(٤٧) انظر شرح تحفة الخليل: ٤٤، والعروض والقافية: ١٤٩، وموسيقا الشعر العربي: ١٢٣.

- ويجوز في القافية أن تجتمع الياء والواو في الردف، ولا يجوز أن تجتمعا في حركة الروي، لأنه كلما اقترب الاختلاف من آخر البيت قلّت المسامحة. قال ابن جني: «كلما تطرّف الحرف في القافية ازدادوا عناية به ومحافظة على حكمه»<sup>(٤٨)</sup>.

### ٣. غلبة القوافي المطلقة على القوافي المقيدة

- إذا كان رويّ الشعر متحرّكاً سمّيت القافية (مطلقة)، وإذا كان الروي ساكناً سميت (مقيّدة)<sup>(٤٩)</sup>.  
فالمطلقة نحو<sup>(٥٠)</sup>:

وقد أعتدي والطيرُ في وكناتها بمنجردٍ قيّد الأوابدِ هيكلي  
والمقيدة نحو<sup>(٥١)</sup>:

خفّفي يا عبد عني واعلمي أنني يا عبد من لحمٍ ودّم  
- وتغلب في الشعر العربي القوافي المطلقة على القوافي المقيدة<sup>(٥٢)</sup>، وما ذلك إلا لأن هذا الشعر نشأ نشأة شفوية، والشفوية تُعنى بتغامر الإسماع، والمقاطع المفتوحة أكثر إعانة على مطل الصوت وإطلاقه.

(٤٨) الخصائص: ١/ ٨٤.

(٤٩) انظر العمدة: ١/ ٢٩٨، والكافي في علم القوافي: ١٠١، وشرح تحفة الخليل: ٣٦٢، وموسيقا الشعر العربي: ١٤٥.

(٥٠) لامرئ القيس، انظر ديوانه: ١٩.

(٥١) لبشار بن برد، انظر ديوانه: ٤/ ١٦٦.

(٥٢) انظر كتاب القوافي للأخفش: ٣٦-٣٧؛ وموسيقا الشعر: ٢٦٠، ٢٨١.

#### ٤. ضعف الطَّرَف

- أصل الوافر (مفاعلتُن) ستُّ مرّات، لكنه لا يستعمل صحيحًا<sup>(٥٣)</sup>، لثقل توالي الأمثال مع ثقل هذه التفعيلة.

فإن قلت: فما تنكر من توالي التفعيلات هنا ست مرات، وقد توالى في المتقارب والمتدارك ثماني مرات؟

قلت: ليس توالي التفعيلات وحده هو الذي أوجب التغيير هنا، فقد انضاف إليه ثقل (مفاعلتن)، بما فيها من توالي ثلاثة أحرف متحركات.

فإن قلت: فقد توالى ثلاثة أحرف متحركات في (متفاعلن) في الكامل، وهي عكس (مفاعلتن)، دون أن يوجب التغيير فيه.

قلت: توالي المتحركات الثلاثة في (متفاعلن) وقع صدرًا، وفي (مفاعلتن) وقع عجزًا. وليس كل ما يحسن صدرًا يحسن عجزًا، وذلك أن عجز الكلمة أضعف في النطق من صدرها، وأن المقطع الأخير فيها عرضة للحذف والتغيير، فهو أقل احتمالًا للثقل<sup>(٥٤)</sup>.

#### المسألة السادسة: النَّبْر

- هو وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام<sup>(٥٥)</sup>، وينجم عن زيادة طارئة في نشاط أعضاء النطق<sup>(٥٦)</sup>.

(٥٣) انظر العقد الفريد: ٥ / ٤٥١، والوافي في العروض والقوافي: ٦٩، والمعيار في أوزان

الأشعار: ٤٨، وشرح تحفة الخليل: ١٤٦، وموسيقا الشعر العربي: ٣١.

(٥٤) انظر الجوانب الصوتية: ٢٨٨.

(٥٥) مناهج البحث في اللغة: ١٩٤.

- ويرتبط نبر العربية بمقاطع الكلام فيها، على النحو الآتي<sup>(٥٧)</sup>:

١. يقع النبر في الكلمات الأحادية المقطع على مقطعها الوحيد، نحو: قُمْ، لا.
٢. يقع النبر في الكلمات الثنائية المقطع على مقطعها الثاني (العَدَّ من الشمال إلى اليمين)، نحو: قام، هادٍ.
٣. يقع النبر في الكلمات الثلاثية المقطع على مقطعها الثاني إذا كان متوسطاً أو طويلاً، نحو: يَسْتَعْدِي، أَحْمَارٌ؛ وعلى الثالث إذا كان الثاني قصيراً، نحو: كتب، قاتل.

وكذلك الحال في الكلمات الكثيرة المقاطع، فالنبر لا يتجاوز المقطع الثالث. - ولم أقف فيما قرأت على ذكر لعلّة دخول النبر الكلام، وأغلب الظنّ أن توزّع النبر في العربية تحكمه كراهة توالي الأمثال من المقاطع، فكلمة (خَلَقَهُمْ) مثلاً يقع النبر فيها على اللام (ل)، في حين يقع النبر في كلمة (خَلَقَهَا) على القاف (ق). وإن كان لهذا الاختلاف من سبب، فهو اختلاف مجال ذاك التوالي في تينك الكلمتين.

- ويؤخذ من الضوابط التي وضعها المحدثون لتحديد مواقع النبر في العربية أن وحدته الكلمة. لكن ما مفهوم الكلمة؟ هذا ما أغفلت الدراسات الحديثة تبيانه. ويبدو أن مفهوم الكلمة هنا: وحدة في الجملة تُحدّد معالم كلّ منها بجواز الوقف عليها<sup>(٥٨)</sup>. ف(منها) كلمة لا كلمتان، وكذلك (ضربه) و(ذهبوا).

(٥٦) انظر مبادئ اللسانيات: ١٦٣.

(٥٧) انظر دراسات في فقه اللغة: ٢٠٧، ومبادئ اللسانيات: ١٦٤-١٦٥.

(٥٨) انظر أسس علم اللغة: ١١٢.



غير أن ما تجدر الإشارة إليه هنا أن (أل) التعريف كلمة برأسها، فنحو (اليد) فيه نبران: الأول على الكلمة الأولى (ال)، والثاني على الكلمة الثانية (يد) وقفاً. وهذا ندركه جيداً في اختلاف توزع النبر بين لفظين لهما صورة نطقية واحدة تكون (أل) في أحدهما كلمة مستقلة وتكون في الآخر جزءاً من كلمة، نحو: (أَلْحَجْج) و(أَلْحَجْج) أَفْعَل من لحج<sup>(٥٩)</sup>.

ويشهد لهذا الذي نقول مذهب الخليل في (أل)، قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): «وزعم الخليل أنها مفصولة ك(قد) و(سوف)، ولكنها جاءت لمعنى كما يجيئان للمعاني»<sup>(٦٠)</sup> - وجهد بعض المحدثين في أن يُقيم الشعر العربي على نظام النبر بديلاً عن عروض الخليل<sup>(٦١)</sup>، دون أن يَحْلَ بطائل<sup>(٦٢)</sup>، على ما بينهما من علاقة لا تنكر. ذلك أن القراءة العروضية للبيت الشعري تقوم على تقسيمه إلى تفعيلاته وفصل كل منها عن الأخرى بسكتة لطيفة، وإعادة توزيع النبر فيه وفق تلك التفعيلات. فنحو قول الشاعر<sup>(٦٣)</sup>:

مَنْ يُؤْنِ سَهْلٍ هَوَانٌ عَلَيْهِ      مَا لِحَرْحٍ بِمَيْتٍ إِيْلَامٌ

(٥٩) حَيَّي أَلْحَجْج: مُعَوِّج.

(٦٠) الكتاب: ٤/ ١٤٨.

(٦١) انظر في البنية الإيقاعية للشعر العربي نحو بديل جذري لعروض الخليل ومقدمة في علم الإيقاع المقارن للدكتور كمال أبو ديب.

(٦٢) انظر دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة: المبحث الرابع (٨٥-١٣١) والمبحث الخامس (١٣٢-٢٠٥).

(٦٣) المتنبي، انظر شرح ديوانه: ٤/ ٢٧٧.

يقرأ عروضيا على النحو الآتي:

مَنْيَهُنَّيْسُ / هُلِّلَهُوَا / نُعَلَيْهِ مَالِجُرْحُنْ / بِمَيِّتَيْنْ / إِيْلَامُو

T T T T T T

وعلى هذا فالنبر العروضي يختلف عن النبر اللغوي، لأن وحدة الأول التفعيلة، ووحدة الآخر الكلمة بالمفهوم الذي قدّمنا.

### المسألة السابعة: المخالفة

- هي أحد القوانين الصوتية<sup>(٦٤)</sup>، وتعني الفرار من توالي الأمثال لثقل اجتماعها<sup>(٦٥)</sup>.

وعبرت بعض كتب التراث عن هذا القانون بكرة (التضعيف)، أو (اجتماع المثلين)، أو (التكرير)، أو نحوها؛ وبطلب (الاختلاف)<sup>(٦٦)</sup>.

- وفي العروض نقف على حضور (المخالفة) في مواضع عدّة، أشهرها:

#### ١. التقطيع

- يذكر العروضيون أنه لا يتوالى في الشعر خمسة أحرف متحركات<sup>(٦٧)</sup>، فتوالي أربعة أحرف متحركات هو غاية ما يحتمل في بنية الشعر العربي، لأن الشعر فنّ

(٦٤) تطلق كلمة (القوانين) في العرف العلمي على الأصول العامة التي تبين ارتباط الأسباب بمسبباتها، والمقدمات بنتائجها. علم اللغة: ١٧.

(٦٥) انظر الجوانب الصوتية: ٢٥٩.

(٦٦) انظر الجوانب الصوتية: ٢٥٩.

(٦٧) انظر عروض الورقة: ١١، والعمدة: ١ / ٢٧٤، والوافي في العروض والقوافي: ٣٠.

يطلب فيه الإيقاع، ويعني انتظام الحركة<sup>(٦٨)</sup>، ومن جماله البعدُ عما يُشيع الاضطراب في النطق بتتابع أصواتٍ سريع إنتاجها<sup>(٦٩)</sup>.

## ٢. الزحافات والعَلَل

- الوافر:

أجزاؤه (مفاعلتن) ستّ مرّات:

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

إلا أن عروضه وضربه لا يستعملان صحيحين، بل يحذف السبب الخفيف من آخرهما ويسكن الخامس فيصبح كلّ منهما (مُفاعَلْ) ويحوّل إلى (فَعولن)، وهذا ما يسمّى (القطف)، وهو اجتماع حذف السبب الخفيف مع العصب، وهو إسكان الخامس<sup>(٧٠)</sup>.

وما ارتكب هذا التغيير إلا للفرار من توالي الأمثال (الأجزاء) مع ثقل (مفاعلتن).

ويصيب (مفاعلتن) أنواع من التغيير، منها العصب، وهو كثير جدًّا وحسن<sup>(٧١)</sup>؛ ووجه حسنه تحقق المخالفة فيه.

---

(٦٨) انظر الزحاف والعلة رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع: ١٦١.

(٦٩) راجع ما كنّا قد ذكرناه قبلاً في تحديد مخارج الأصوات من أن نطق الصامت ساكنًا أطول منه متحرّكًا.

(٧٠) انظر العقد الفريد: ٤٥١ / ٥، وعروض الورقة: ٣١، والعمدة: ٢٧٥ / ١، والوافي في العروض والقوافي: ٦٩، وشرح تحفة الخليل: ١٤٦، وموسيقا الشعر العربي: ٣١.

(٧١) انظر شرح تحفة الخليل: ١٥١، وموسيقا الشعر العربي: ٣٢.

- البسيط:

وزنه في الأصل:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن  
وله عروض واحدة مخبونة وجويًا (فَعْلَن)، والخبن حذف الثاني الساكن،  
ولهذه العروض ضربان: الأول مخبون كعروضه (فَعْلَن)، والثاني مقطوع (فَعْلَن)،  
والقطع حذف أول الوتد المجموع وهو العين من (فاعلن) فيصبح (فالن) وينقل  
إلى (فَعْلَن) (٧٢).

وما هذا التغيير إلا للفرار من توالي الأمثال.

### ٣. أقسام القافية

- يقسم العروضيون القافية باعتبار الحركات المحصورة بين طرفيها الساكنين  
أقسامًا خمسة: المترادف، والمتواتر، والمتدارك، والمتراكب، والمتكاوس (٧٣).  
وما يعيننا هنا الوقوف على القسم الأخير (المُتْكَاوس)، فهو توالي أربع حركات  
بين ساكني القافية، وهذا نادر جدًا (٧٤)، نحو قول الشاعر (٧٥):  
زَلْتُ به إلى الحضيض قَدْمُهُ

(٧٢) انظر العقد الفريد: ٥/٤٤٨، والوافي في العروض والقوافي: ٥٤-٥٥، وشرح تحفة

الخليل: ١٢٦-١٢٧، وموسيقا الشعر العربي: ٦٢.

(٧٣) انظر كتاب القوافي للأخفش: ٨، والعمدة: ١/٣٢٣-٣٢٤، والوافي في العروض

والقوافي: ١٩٧-١٩٩، والكافي في علم القوافي: ٩٩-١٠٠.

(٧٤) انظر شرح تحفة الخليل: ٣٤٤، وموسيقا الشعر العربي: ١٤٩.

(٧٥) الخطيئة، انظر ديوانه: ٢٩١.

قال الخطيب التبريزي: «وإنما سمِّي متكاوِّسًا للاضطراب ومخالفة المعتاد، ومنه: كاست الناقة إذا مشت على ثلاث قوائم، وذلك غاية الاضطراب والبعد عن الاعتدال.»<sup>(٧٦)</sup>.

وسبب ندرة المتكاوس ثقله بتوالي أربع حركات، وفي تسمية العروضيين له بهذا الاسم إدراك لهذا الثقل.

#### ٤. عيوب الشعر

- منها الإيطاء<sup>(٧٧)</sup>، وهو أن يتكرر ذكر كلمة الرويِّ بلفظها ومعناها في القصيدة الواحدة، دون أن يفصل بين الكلمتين المذكورتين سبعة أبيات على الأقل<sup>(٧٨)</sup>. وهذا يدلُّ على كراهة توالي الأمثال؛ وأن القافية موضع مشهود من البيت، ولأجل هذا كرهوا فيه ما لم يكرهوا في غيره.

---

(٧٦) الوافي في العروض والقوافي: ١٩٧.

«وقيل: إن اشتقاق المتكاوس من قولك: تكاوس الشيء إذا تراكم، فكأن الحركات لما كثرت فيه تراكمت.» كتاب القوافي للتنوخي: ٦٠.

(٧٧) سمي إيطاءً لتواطؤ الكلمتين، أي توافقهما لفظاً ومعنى. موسيقا الشعر العربي: ١٥٦.

(٧٨) انظر كتاب القوافي للأخفش: ٥٥-٥٦، وكتاب القوافي للتنوخي: ١٢٥، والعقد الفريد:

٥/٥٠٨، والعمدة: ١/٣١٩، والوافي في العروض والقوافي: ٢١٧، والكافي في علم القوافي:

١٠٩، وشرح تحفة الخليل: ٣٧٢، وموسيقا الشعر العربي: ١٥٦.

## المختاتمة

- إذا كان لا بدّ لكلِّ بحثٍ علميٍّ من نتيجةٍ ينتهي إليها، فالنتيجة التي نحبُّ أن نشير إليها في هذا البحث: أن المعرفة يفسر بعضها بعضاً. وإذا كان التخصص بجانب منها يُورث صاحبه عمقاً، فالخروج عن التخصص يورثه إبداعاً. فكم من فكرةٍ أحدثت ثورةً أن كانت خارجيّة! (٧٩)

## مِصْرَاوَرُومِرِاجِجَعُ البَحْتِ

١. أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٣ م.
٢. الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٢ م.
٣. الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: د. عبد البديع النيرباني، دار الغوثاني، دمشق، ط ١، ٢٠٠٦ م.

(٧٩) وأقرب مثال على هذا ما أحرزه السيوطي من توفيق في تأليفه كتابه (المزهر في علوم اللغة وأنواعها)، وهو كتاب في اللغة استعار له ترتيب علوم الحديث. انظر محاضرات في فقه اللغة: ١٨.

٤. الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط٢، ١٩٩٣ م.
٥. الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط٢.
٦. دراسات في فقه اللغة: محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت، ط٤، ١٩٦٩ م.
٧. دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة: د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٨٩ م.
٨. دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩١ م.
٩. ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨ م.
١٠. ديوان بشار بن برد: صنعة محمد الطاهر ابن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦ م.
١١. ديوان الخطيئة برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧ م.
١٢. ديوان النابغة الذبياني: صنعة ابن السكيت، تحقيق: د. شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨ م.
١٣. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، توزيع دار الكتب العربية، دمشق، ١٩٧٣ م.
١٤. الزحاف والعلة رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع: د. أحمد كشك، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٥ م.
١٥. سر صناعة الإعراب: ابن جني، تحقيق: د. حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣ م.

١٦. شرح أشعار الهذليين: أبو سعيد السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٥ م.
١٧. شرح تحفة الخليل في العروض والقافية: عبد الحميد الراضي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨ م.
١٨. شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط ٢، ١٩٣٨ م.
١٩. شعر الأخطل: صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط ٤، ١٩٩٦ م.
٢٠. العروض والقافية دراسة في التأسيس والاستدراك: محمد العلمي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٣ م.
٢١. عروض الورقة: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: محمد العلمي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٤ م.
٢٢. العقد الفريد: ابن عبد ربّه، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦ م.
٢٣. علم اللغة: د. علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
٢٤. علم اللغة بين القديم والحديث: د. عاطف مذكور، منشورات جامعة حلب، ١٩٨٨ م.
٢٥. العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني، تحقيق: د. محمد قرقران، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م.
٢٦. في البنية الإيقاعية للشعر العربي نحو بديل جذري لعروض الخليل ومقدمة في علم الإيقاع المقارن: د. كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٤ م.



٢٧. الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٢٨. كتاب العين: الخليل بن أحمد، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط٢، ١٤٠٩هـ.
٢٩. كتاب القوافي: الأخفش الأوسط، تحقيق: د. عزة حسن، وزارة الثقافة - مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٧٠م.
٣٠. كتاب القوافي: أبو يعلى عبد الباقي بن المحسن التنوخي، تحقيق: عمر الأسعد ومحبي الدين رمضان، دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.
٣١. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.
٣٢. مبادئ اللسانيات: د. أحمد قُدّور، دار الفكر، دمشق، ط٣، ٢٠٠٨م.
٣٣. مجالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٧م.
٣٤. مجموع أشعار العرب (ديوان رؤبة بن العجاج)، اعنتى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد، مكتبة المثني، بغداد، ١٩٠٣م.
٣٥. محاضرات في فقه اللغة: د. عبد البديع النيرباني، مكتبة نور الهداية، حلب، ط١، ٢٠١١م.
٣٦. المعيار في أوزان الأشعار والكافي في علم القوافي: أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج الشنتريني، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٩٧١م.
٣٧. مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، منشورات جامعة حلب.

٣٨. مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦ م.
٣٩. موسيقا الشعر: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨ م.
٤٠. موسيقا الشعر العربي: محمود فاخوري، منشورات جامعة حلب، ١٩٨٦ - ١٩٨٧ م.
٤١. النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٢. النوادر في اللغة: أبو زيد الأنصاري، تحقيق: د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط١، ١٩٨١ م.
٤٣. الوافي في العروض والقوافي: الخطيب التبريزي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط٤، ٢٠٠٢ م.
٤٤. الوقف في العربية على ضوء اللسانيات: د. عبد البديع النيرباني، دار الغوثاني، دمشق، ط١، ٢٠٠٨ م.



التعريف والنقد



## كتاب «القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية»

لابن طولون

د. مازن المبارك(\*)

صدرت عن دار أروقة للدراسات والنشر في عمّان طبعة جديدة من كتاب «القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية» لشمس الدين محمد بن علي بن طولون الصالحى المتوفى سنة ٩٥٣هـ بتحقيق السيد محمد إبراهيم الحسين الذي وصفها بأنها «طبعة متميّزة باستدراك فصول ناقصة وإيراد تعليقات الأستاذ محمد أحمد دهمان بتامها».

وابن طولون من الأئمة الأعلام، ولد في الصالحية من أحياء دمشق، وظهر علمه في الحديث والفقه والتاريخ والنحو وغيرها من العلوم التي شارك فيها. وقد أثنى عليه من ترجم له أو تحدّث عنه كالغزي في الكواكب السائرة، وابن العماد وغيرهما. كما تحدّث آثاره عن فضله وسعة علمه.

ولعلّ خير المصادر عن حياته وآثاره وعن شيوخه وإجازاته ما ذكره هو بنفسه في كتابه «الفلک المشحون في أحوال محمد بن طولون» ومقدمات المحقّقين للعلماء الذين نشروا كتبه. وأما كتاب «القلائد الجوهريّة» فهو عن (الصالحية) - وهي الممتدة في سفح قاسيون مطلّة على دمشق - وعن كل ما فيها من بيوت ومدارس ورباطات ومساجد وأسواق وأنهار وزوايا وتُرب وبيمارستانات وحدائق ودور قرآن ودور حديث، وعن كل من فيها من علماء ومتصوّفة وأعلام.

---

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

وقد طبع هذا الكتاب سابقاً بتحقيق العلامة الشيخ محمد أحمد دهمان في قسمين؛ ظهر الأول منها سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م وظهر الثاني في سنة ١٣٧٦ هـ و١٩٥٦ م. وأعاد مجمع اللغة العربية بدمشق نشره في سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨٠ م وقد نبّه الأستاذ دهمان في نشرته إلى نقص في النسخة وأن في النسخة التي حققها خرمًا لم يجده مستوفىً فيما طبع من الكتب والمصادر، وقد جاءت هذه الطبعة الجديدة مستوفية للكتاب مستدركة للنقص إذ وقف محققها على نسخة قال إنها بخط المؤلف، وإنما في مكتبة تشستريتي (دبلن - إيرلندا) وإنه وقف على أوراق من مجموع بخط المؤلف محفوظ في برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية، وكأنها مستلّة من نسخة تشستريتي، وهي تسدّ النقص في الطبعة السابقة.

وقد أفاد المحقق من تحقیقات الشيخ دهمان وتعليقاته فأثبتها في طبعته وأشاد بفضلها، كما أفاد من الكتب التي حققت وطبعت بعد طبعة الشيخ دهمان، واتبع أبرز ما يتبعه المحققون في مناهج تحقیقهم من وصف للمخطوطة، وتعريف بالأعلام من رجال ومواضع، وتخریج للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وصنع للكتاب فهرس شاملة للأعلام والمصادر والمراجع والموضوعات.

على أي لست أكرم عجبني من إهمال المحقق تصحيح ما وقع في الكتاب من خطأ لغوي ونحوي، وهو كثير، فقد تركه منتشرًا في الكتاب دون تصحيح ودون إشارة إليه في الحاشية! وهو أمر عجيب ما كنت أحب أن يفوته، وإني أتمنى أن يستدرك ذلك في طبعة قادمة، فالكتاب قلائد جوهريّة قلدها ابن طولون جيّد دمشق بذكر من عاش في الصالحية أو نزل بها أو هاجر إليها من أعلام العلماء والصالحين، وإن من حق القلادة على من يُظهرها أن يعطيها حقّها من الإشراق واللألاء، وألا يترك لمعانها يبهت، وإشراقها ينخبو، بهُجّة اللحن وسوء العرض.

ورحم الله ابن طولون، ورحم الأستاذ دهمان، وجزى المحقق السيد إبراهيم الحسين خيراً؛ فقد وضع بين أيدي القراء خير ذخر عن الصالحية ومن فيها وما فيها.

والحمد لله رب العالمين.

## معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها

تأليف الدكتور ف. عبد الرحيم (\*)

دار القلم - دمشق ٢٠١١

أ. د. عبد الإله نبهان (\*\*)

الدكتور ف. عبد الرحيم من المعنيين بالبحث في التقارض اللغوي، ولا سيّما بين العربية وما أتصل بها: من اللغات القديمة، كالفارسية، والعبرية، والسريانية، والتركية، أو من اللغات الحديثة، كالإيطالية، والإنكليزية، والإسبانية.

ففي عامي ١٩٦٩ - ١٩٧٠ نشر ما جمعه من الكلمات التركية في اللغة العربية<sup>(١)</sup>. وفي عام ١٩٩٠ نشر كتاب (المعرب) للجواليقي<sup>(٢)</sup> موهوب بن أحمد / ت ١٥٤٠هـ، مُدَيِّلاً كُلَّ مادة بتحقيقه اللغوي، وإعادة المادة إلى أصلها في اللغات الأخرى. وفي عام ١٩٩٢ نشر كتابه (الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء عليهم السلام)<sup>(٣)</sup>.

---

(\*) فانيا مبادي عبد الرحيم، ولاية تامل فادور بالهند، ١٩٣٣، أستاذ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٤٤: ٤ - ٨٧٥ - ٨٨٢، والمجلد ٤٥: ١ - ١٤٣ - ١٥٠، و ٣٧١ - ٣٧٥.

(٢) دار القلم بدمشق.

(٣) دار القلم بدمشق.

وفي عام ١٩٩٣م نشر كتابه (الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها)، وذكر فيه نحوًا من ٨٠٠ كلمة، «والآن - وقد مضى على إصداره نحوًا من أربعين سنة - أقدم للقراء هذا الكتاب المبني على سابقه باسم (معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها)، وقد أودعته أكثر من ١٦٠٠ كلمة مما يرد: في اللغة العربية الفصحى، وفي لهجات بعض أقطار المشرق العربي، كالسعودية، ومصر، وبلاد الشام».

قدّم المؤلف لكتابه بمقدمة موجزة أشار فيها إلى ظاهرة التقارض اللغوي، فاللغة تأخذ من جاراتها كما تأخذ من اللغات التي تتصل بها في مجالات التجارة والسياسة والسياحة، هذا «ولم تشدّ اللغة العربية عن مثيلاتها، فأخذت، وأعطت»، «ويُسمّى ما دخل في اللغة العربية من لغات أخرى (دخيلًا)، ولكلّ عصر دخيله»، فكان معظم الدخيل في العصر الجاهلي من اللغات الفارسية والسريانية واليونانية، وفي بعض العصور الإسلامية كثرت الكلمات الدخيلة من اللغتين التركية والفارسية، أما عصرنا هذا فجاء أكثر دخيله من اللغات الأوربية، كالإنكليزية، والفرنسية، والإيطالية، كما جاء كلمات من اللغة الأردنية، ولا سيما في لهجات الخليج.

لم يُعنّ المؤلف نفسه بتحديد مصطلح (المعرب) و(المولد) و(الدخيل)؛ تجنّبًا لتكرار ما أورده في مقدمته لكتاب (المعرب)، ويمكن أن نشير هنا إلى ما كان انتهى إليه هناك بقوله: «ويبدو أن الفرق بين المعرب والدخيل هو أنّ الدخيل أعمّ من المعرب، فيُطلق على كلّ ما دخل في اللغة العربية من اللغات الأعجمية، سواء أكان ذلك في عصر الاستشهاد، أم بعده، وسواء خضع عند التعريب للأصوات والأبنية العربية، أم لم يخضع، وسواء كان نكرة، أم علمًا؛ ذلك أنّ من اللغويين من لا يُسمّي



العَلَم من الدخيل (معربًا)، قال الفيومي: «وأما ما تلقوه عَلَمًا فليس بمعرب، وقيل فيه: أعجمي، مثل: (إبراهيم) و(إسحاق)».

وإذا كان بعض الدخيل مما تدعو إليه الحاجة، فإن منه ما لا يكون كذلك، بل إن استعماله يكون مجرد تقليد سخيّف لا لزوم له، كاستعمالهم في بعض اللهجات كلمات: (أونكل) بدلاً من (عمّ)، و(طنط) بدلاً من (خاله)، و(مرسي) بدلاً من (شكرًا)، و(باي) بدلاً من (وداعًا)... إلخ، وقد حمل المؤلف على مثل هذا التقليد، ونوّه باستعمال الكلمات العربية الأصيلة التي حلّت محلّ الدخيل، كاستعمال كلمات: (الهاتف) لـ(التليفون)، و(الناسوخ) لـ(الفاكس)، و(الحافلة) لـ(الباص)، و(الشاحنة) لـ(اللُّوري)، و(الحاسوب) لـ(الكمبيوتر)، و(القُرص) لـ(الدَّسك)، و(القرص المدمج)<sup>(٤)</sup> لـ(سي دي)، و(التأشيرة) لـ(الفيزا)، و(الشبكة العالمية) لـ(الإنترنت)... إلخ.

وواضح أن المعجم اشتمل على الكلمات الدخيلة المعاصرة، ولم يعرض للكلمات المعرّبة قديمًا، ولم يذكر منها سوى أسماء الشهور؛ لكثرة استعمالها، فبعض البلدان العربية تستعمل في تاريخها الشهور السريانية: كانون وشباط وآذار... إلخ، وبعضها تستعمل الشهور الرومية: ديسمبر ويناير وفبراير... إلخ؛ لذا أثار ذكرها؛ للتنبيه عليها.

وقد استمدّ المؤلف مادة معجمه «من الكتب والمعاجم الحديثة، ومن وسائل الإعلام المختلفة، ومن اللافات، ومن أفواه الناس المتتمين إلى البيئات اللهجية الآتية:

(٤) (القرص المُتراص): «معجم مصطلحات المعلوماتية» الصادر عن: «الجمعية العلمية السورية

لهجات المملكة العربية السعودية، ومصر، والسودان، وبلاد الشام»، ومن الجدير بالذكر أن المؤلف عاش في مصر والسودان، وهو الآن في المدينة المنورة، وخالط أناساً من بلاد الشام.

وقد رتب المؤلف كلمات المعجم ترتيباً ألفبائياً، ونبه على أنه جعل التاء المربوطة حرفاً مستقلاً، ووضعها بعد الهاء، كما ضبط الكلمات بالحرف، وعرض لمشكلة الإملاء في كثير من الكلمات المعربة التي لم يستقر إملؤها، ولا سيما في الكلمات التي يقع فيها خلاف في إثبات أحرف العلة، فبعضهم يكتب (أوربا)، وبعضهم يكتب (أوروبا)، وبعضهم يكتب (سوفيتي)، وبعضهم يكتب (سوفياتي)، وكذلك كلمة (سنا) و(سينا)، وكذلك الخلاف في كتابة القاف والجيم في مثل: (جراج) و(كراج) و(قراج)، و(بيلوغرافيا) و(بيلوغرافيا)، وكقولهم: (إيدروجين) و(هيدروجين)... إلخ، ففي مثل هذه الكلمات كان يذكرها في موضع، ويُحيل عليها إلى هذا الموضع إذا اقتضى الأمر ذلك.

وذكر أصل الدخيل مكتوباً بحرف لغته الأصلية، وإذا كان بالحرف اليوناني أو غيره أرفه بالحرف اللاتيني، وذكر صاحب المعجم «أن كثيراً من المصطلحات العلمية التي دخلت في اللغة العربية الحديثة من اللغات الأوربية إنما هي يونانية الأصل، فعند تأصيلها ذكرت مصدرها القريب، ثم فصلت القول في أصلها اليوناني».

وذكر أيضاً أنه حدّد اللهجة التي تُنطق بها اللفظة إذا كانت خاصة ببلدٍ محدد، كالشام، ومصر، والسعودية، «أما إذا أُطلقت الكلمة فإن ذلك يعني أنها تُستعمل في معظم لهجات المشرق العربي، أو أنها كلمة متداولة في اللغة العربية الفصحى».

واقترح المؤلف كلمات جديدة من وضعه، وهذه الكلمات لن تستقرّ حتى يُكتب لها الشيع، وتَعْتَمِدَها الهيئات اللغوية، فقد استعمل كلمة (النحط) للتعبير عن (النحت الطرفي)، وهو أن تكون كلمةً مكونةً من الأحرف الأول لعدة كلمات يتكون منها الاسم الكامل، مثل كلمة (يونسكو) UNESCO، وهي مكونة من الأحرف الأولى للكلمات التي يتكون منها اسم المنظمة:

United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

وضرب المؤلف مثلاً لهذا من التراث العربي كلمة (كشاجم)، وهي مركبة من أول حرف في كلّ من الكلمات: (كاتب)، و(شاعر)، و(أديب)، و(جميل)، و(مغنّ). ومن المعروف في فقه اللغة أن النحت يكون من كلمتين، كقولهم: (عشمي) من (عبد شمس)، و(عبقسي) من (عبد القيس)، لكنّ الدكتور ف. عبد الرحيم أراد أن يخرج من النحت إلى النحط؛ ليُخصّص الكلمة في النحت الطرفي. كذلك اقترح كلمة (المئيّ) على وزن (عشير)؛ للتعبير بها عن عُشر العشر، كأن تقول: «إن السانتي متر مئّي المتر».

كما اقترح كلمة (المئلاف)، ومعناه عُشر عُشر العُشر، كأن تقول: «إن المتر مئلاف الكيلومتر».

واقترح أخيراً كلمة (المليان)، وهو جزء من مليون، كقولك: «الميكرون مليون المتر». ثم ذكر مصطلحات الضبط الخاصة بنطق بعض الحروف مقابل بعض الحروف الأخرى، كالفارسية، والإنكليزية، والجيم المصرية... إلخ. وبدأ المعجم بباب الهمزة، ومُقَدِّمًا ما هو بالمدّ؛ لذا بدأ بكلمة (آب)، فقال: «هو من الشهور السريانية، ويُطابق (أغسطس) من الشهور الرومية».

وتتالت بعدئذٍ الكلمات حسب حروفها، وسنضرب بعض أمثلة منها:  
 (أَفْنَدِم) [بفتح الهمزة والفاء، وكسر الدال]: معناه بالتركية (يا سيدي)،  
 يستعمله المصريون بمعنيين: أولهما بمنزلة (لَبَّيْكَ)؛ تلبية لنداء، والآخر رجاء من  
 المخاطب أن يعيد كلامه، وهو بمنزلة (نعم).

(أَوْفُرُول) [بضم الهمزة والراء ضمًّا غير مشبع، وفتح الفاء]: ما يلبسه العمال في  
 أثناء العمل، وهو مكوّن من قطعة واحدة، إنكليزي Overall.

- (تسونامي): أمواج البحر العاتية التي يُسببها زلزال في قاع البحر على عمقٍ  
 أقل من خمسين كيلومترًا<sup>(٥)</sup>، وبقوة أكثر من ٦.٥ درجة على مقياس ريختر، راجت  
 هذه الكلمة رواجًا كبيرًا بعد حدوث الأمواج المدمّرة التي اجتاحت سواحل بعض  
 البلاد الواقعة في المحيط الهندي، كإندونيسية، وسريلنكة، والهند، وبلاد أخرى.

- (دِلْتَا) [بالكسر]: الأرض الواقعة بين فرعي النيل عند مصبّهما في البحر  
 الأبيض، ويُطلق أيضًا على أي أرض تقع بين فرعي نهر من جانب والبحر من  
 جانب آخر. هو حرفٌ يوناني، شكله مثلث  $\Delta$ ، ومن ثم سُمّيت به هذه الأرض  
 المثلثة الشكل.

- (سادة): غير مخلوط كما في (شاي سادة)، أي: (من دون حليب)، أو: (من  
 دون سكر)، وغير مُعلّم كما في (قمّاش سادة)، تركي sada، من (ساده) بالفارسية،  
 وقد دخلت في العربية عن طريق التركية، والجدير بالذكر أن هذه الكلمة قد عُرّبت  
 قديمًا بصورة (ساذج)، وذلك حسب النطق الفهلوي لها.

(٥) تقع أعمق نقطة في المحيط الهادي، ولا يتجاوز عمقها / ١٠ / عشرة كيلومترات! [المجلة].

- (سارس = سارز) [بسكون الراء]: مرض قاتل ظهر في الصين في مستهل ٢٠٠٣م، وانتقل إلى بعض بلاد جنوب شرق آسيا، ومنها إلى بلاد أخرى، وهو التهاب رئوي حادّ، إنكليزي SARS، وهو منحوط من اسمه الوصفي الكامل: Sever Acute Respiratory Syndrome

أي: (متلازمة التهاب رئوي حاد).

- (شَادِر) [بكسر الدال]: المخزن، ك(شادر أخشاب)، سرادق كبير يُقام فيه المآتم وغيرها (مصر)، قماش كقماش الخيمة تُغطّى به الشاحنات (الأردن)، والجمع (شوادِر)، تركي cadir، ومعناه (الخيمة).

- (شُوربة) [بضم الشين ضمّاً غير مشبع، وسكون الراء]: حساء خلاصة لحم أو عدس أو خَضراوات، فارسي (شوربا)، وهو مركب من (شور) بمعنى (مالح)، و(با) بمعنى (المرق).

- (كابِل) [بكسر الباء]<sup>(٦)</sup>: مجموعة أسلاك خاصة بالكهرباء والهاتف وغيرهما، مغلّفة بغلاف غليظ، والجمع (كوابِل)، فرنسي câble، إنكليزي cable، أصل معناه: (حبل غليظ)، وهذه الكلمة من cap(u)lum باللاتينية المتأخرة، وهو الحبل الذي يُوضع حول عنق الدابة، والكلمة اللاتينية مأخوذة من (حبل) بالعربية.

- (كابول): عاصمة أفغانستان، الصواب: (كابُل) [بضم الباء من غير الواو]، كما ورد في كتب الجغرافية القديمة، ك: (معجم البلدان)، و(معجم ما استعجم)، و(الروض المعطار)، وفي الشعر القديم قال النابغة الذبياني:

فُعُودًا لَهُ عَسَانٌ يَرُجُونَ أُوْبَهُ      وَثُرُكٌ وَرَهْطُ الْأَعْجَمِينَ وَكَابُلٌ

(٦) في المعجم الوسيط «كَبَلٌ» [المجلة].

وأُشِدَّ ابن بَرِّي لأبي طالب:

ثُطَّاعُ بِنَا الْأَعْدَاءِ وَدُّوَالْوَأَنَّا      تُسُدُّ بِنَا أَبْوَابَ تُرْكٍ وَكَابُلٍ

وقال غوية بن سلمى:

وَدِدْتُ مَخَافَةَ الْحَجَّاجِ أَنِّي      بِكَابُلٍ فِي اسْتِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ

فكلمة هذه العرّاقه حَرَّفَهَا مترجمون مجهولون لغتنا وتراثنا وتاريخنا إلى (كابول)؛

أخذًا من الحرف اللاتيني Kabul، فإلى الله المشتكى.

- (كاكي): نسيج رمادي اللون، يُفَصَّلُ منه الملابس العسكرية، وفي اللهجة اللبنانية (خاكي) بالخاء، إنكليزي khaki، وبالفرنسية والإيطالية kaki، يبدو أن صيغة (كاكي) من الفرنسية، أما (خاكي) فمن الإنكليزية، والكلمة الإنكليزية من (خاكي) بالأردية بمعنى: (ترابي اللون)، من (خاك) بالفارسية بمعنى (التراب)، ومن اللغة الإنكليزية دخلت هذه الكلمة في معظم لغات أوربا.

- (مودم) [بضم الميم ضمًّا غير مشبع، وإمالة فتحة الدال]: جهاز يُوصَلُ حاسوبًا بآخر عن طريق سلك الهاتف، إنكليزي modem، وهو منحوت من modulator demodulator، أي: (المحوّل) و(عاكس التحويل)، وأُفْتَرِحَ أن تُعَرَّبَ هذه الكلمة بصورة (مُوَضِّم) [بضم الميم وكسر الضاد]، وهو اسم فاعل من (أَوْضَمَ)، يُقَالُ: «وَضَمَ بنو فلان على بني فلان»، إذا حلّوا عليهم، و«أَوْضَمَهُم»، يعني: (جعلهم يحلّون عليهم)، ف(الموَضِّم) يجعل المعلومات المخزونة في حاسوب تحلّ ضيفًا على حاسوب آخر.

- (ميكروويف) [بفتح الميم، وضم الراء ضمًّا غير مشبع، وإمالة فتحة الواو الثانية]: فرن كهربائي يُتَّخَذُ للطَّهي، وتسخين الطعام البارد، يجري فيه

الطهي والتسخين بسرعة بالغة بوساطة الموجات الكهرمغناطيسية<sup>(٧)</sup>، إنكليزي microwave، وهو مُركَّب من micros باليونانية، بمعنى (الصغير)، و wave بالإنكليزية، بمعنى (الموج).

- (نَارَجِيلَة) [بفتح الراء]: أداة يُدخَّن بها التبغ، وكانت قاعدتها في الأصل من جوز الهند، ثم أخذت من الزجاج ونحوه أيضاً، وهي ما يُسمَّى (الشيشة) في بعض البلاد العربية، وهي من (نَارَجِيل) بمعنى (جوز الهند)، هو تعريب (نَارَكِيل) بالفارسية، وهو من (نَارَكِيل) [بكسر الراء، وإمالة فتحة الكاف] بالسنسكريتية، ومنه (نَارِيل) [بكسر الراء، وفتح الياء] بالهندية. لقد ذكر الزبيدي كلمة (النارجيل) في (تاج العروس).

وكما ذكرنا فإن الكلمة إذا كانت تُكتب بإملاءين، فإن المؤلف يذكرها بإملاء، ويُحيل على الثاني:

ففي كلمة (نافتالين) يُحيل على (نفتلين).

وفي كلمة (نَبْرِيج) يُحيل على كلمة (نربيج)، وفيها يذكر أن الكلمة بالفتح هي خرطوم الماء في دمشق، وفي حمص (نبريج) بتقديم الباء على الراء، تركي (ماربيج)، وهو خرطوم النارجيلة، وأصل معناه: (تحوِّي الحية)، أي: (تطوّقها)، وهو فارسي الأصل، وهو مُركَّب من: (مار) بمعنى (الحية)، و(بيج) من (بيجيدن)، بمعنى (تطوّق وتحوِّي)، وسُمِّي لِـ النَّارَجِيلَة هذه التسمية؛ لكونه يتطوّق تطوّق الحية. يُلاحظ أن الميم أصبحت نوناً في اللفظ الدخيل. انظر كذلك كلمة (بريش).

(٧) في معجم مصطلحات الفيزياء (مجمع دمشق): الكهرطيسية! [المجلة].

ولم يفت صاحب المعجم في تصديره للكتاب أن يطلب من القراء أن يُوافيه  
منهم ما يُحضرهم مما فاته من الدخيل، وذكر لهم عنوانه الإلكتروني.  
إنّ (معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها) جهدٌ طيّبٌ قدّمه للعربية  
الدكتور ف. عبد الرحيم، ونرجو أن يُعنى به المهتمون، وأن يُلاقى ما يستحقّه من  
العناية والدرس.





## قراءة في كتاب المدارس اللسانية

للدكتور أحمد عزوز

د. إبراهيم عطية(\*)

### مقدمة

تطورت الدراسات اللسانية في العصر الحديث، حتى أصبحت معظم مجالات الفكر الإنساني تخضع لمبادئها، وتبلور وفق مناهجها، وإذا بنا نجد علوم اللغة والنفس والاجتماع والتاريخ وغيرها تكتسب إطاراً علمياً، وحلّةً جديدة، وتتداخل فيما بينها لتفرز لنا مجالات معرفية جديدة، وفروعاً من التخصصات العلمية لم تكن معهودة.

وفي هذا الكتاب استطاع المؤلف الفاضل أن يؤرِّخ للدراسات اللسانية القديمة والحديثة، وأن يعرض مادة كتابه مفهومة ميسرة، شاملة بإيجاز وتكثيف لتاريخ اللسانيات ومدارسها وأعلامها.

مضمون الكتاب:

يتألف الكتاب من مدخل وعشرة فصول وخاتمة.

---

(\*) باحث في علم اللغة من العراق.

عرض في المدخل أهمية اللسانيات ووظيفتها وموقف الباحثين منها. وفيه رأى أن النموذج اللساني فرض وجوده على أغلب ميادين الفكر الإنساني، فظهرت تلك الميادين في مظهر جديد، بعد أن أُعيد بناؤها وترتيب مفاهيمها وفق المنهج اللساني. ووفق هذا التصور يمكن القول بأن مجال اللسانيات واسع جدًا، وإمكاناته غير محدودة، مع أنها إمكانات منهجية في الأصل، وليست إمكانات معرفية. وفي المدخل ذكر بعض الأسباب التي تقف وراء النفور أحيانًا من اللسانيات وأهمها:

- أ- حداثة هذا العلم، وما يقابلها من خوف فطري من كل جديد.
  - ب- الأسلوب غير المحبب في عرض اللسانيات، عند كثير من الباحثين، عن طريق الرسوم والرموز والأرقام.
  - ج- عدم الاطمئنان إلى ما تنتجه الأمم الأخرى.
- ويرى الباحث في هذا المدخل أن اللسانيات لا تتعارض والتراث اللغوي العربي، بل يمكن أن يكون لها وظيفة هامة حين تدخل مجاله، تتمثل في تنظيم أبوابه وإلغاء التداخل بينها، واستكمال نظرياته ومبادئه، وإعادة عرضه وفق منهج جديد. وبذلك تكون العلاقة بين اللسانيات الحديثة والتراث اللغوي العربي علاقة ألفة واستئناس، لا علاقة تنافر ورفض.
- ثم عرض المؤلف في الفصول الأربعة الأولى المدارس اللسانية القديمة وهي:
- الهندية واليونانية والرومانية والعربية.

وعرض في الفصول الخمسة التالية المدارس الحديثة وهي: مدرسة دي سوسير، والمدرسة الوظيفية، ثم النَّسَقِيَّة، فالسياقية، فالتحويلية التوليدية. وخصَّص الفصل العاشر للسانيات التداولية ومنطلقاتها الفكرية والواقعية. ونظرًا لأهمية هذه المدارس رأيت أن أعرض تعريفًا موجزًا بها، يَسُدُّ حاجة غير المختصين، ويكون حافزًا أمام المختصين للاطلاع على مضمون الكتاب.

### المدارس القديمة

وهي أربع: الهندية واليونانية والرومانية والعربية. وقد تجلَّى إسهام هذه المدارس في وضع القواعد التي تُرشد إلى معرفة الاستعمال الصحيح للغة، ولم تكن غايتها دراسة اللغة في حد ذاتها باعتبارها ظاهرة إنسانية، كما هو الشأن في المدارس الحديثة.

١ - المدرسة الهندية:

تتمثل الملامح الفكرية لهذه المدرسة في ثلاثة مرتكزات هي: اللغة السنسكريتية، والفيدا، والعالم اللغوي بانيني.

فاللغة السنسكريتية: مصطلح يُطلق على اللسان الهندي القديم، كما كان ينطقه ويكتبه الكهنة. ولهذه اللغة تاريخ قديم يعود إلى أكثر من (١٥٠٠ ق.م).

والفيدا (veda): اسم أُطلق على أربعة كتب مقدسة خاصة بالعقيدة البراهمية، وتلك الكتب مع ما يرتبط بها من النصوص تُسمَّى الأدب الفيدي.

وبانيني (panini): إمام نحاة الهنود، عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، وهو الذي صاغ قواعد اللغة السنسكريتية على درجة كبيرة من الدقة.

وأهم ما أثر عن هذه المدرسة وصف الأصوات ومخارجها وخصائصها وما يطرأ عليها من تغير، إضافة إلى وصف دقيق لأعضاء النطق. وكان غرض علماء هذه المدرسة خدمة اللغة المقدسة والتراث الديني. وقد تأثرت الدراسات الأوربية الحديثة بأراء هذه المدرسة ومنهجها عن طريق الترجمة.

### ٢- المدرسة اليونانية:

يتجلى التراث المأثور عن هذه المدرسة فيما بذله علماء اليونان من جهود نحوية لخدمة لغتهم. ويُعدّ أفلاطون رائد الدراسات النحوية اليونانية، ومن بعده تلميذه أرسطو، إضافة إلى بعض الأعلام من أمثال ثراكس (thrax) تلميذ أرسطو. ارتبطت الدراسات اللغوية اليونانية بالفلسفة، وأهم المباحث التي خاض فيها رواد هذه المدرسة: أنواع الجمل وتركيبها وأصناف البديع وأقسام الكلمات والأسلوب والأصوات. ولهذه المدرسة أثر واضح في كل المدارس اللسانية التي جاءت بعدها قديماً وحديثاً، وخاصة المدرسة الرومانية.

### ٣- المدرسة الرومانية:

الرومان كانوا تلامذة الإغريق في كل مجالات الفكر، ويشمل ذلك الفكر اللغوي، إذ ترجموا إلى اللغة اللاتينية معظم ما كتبه اليونان. ولذلك وضعوا نحو اللغة اللاتينية على غرار النحو اليوناني، ووفق المناهج التي سار عليها اليونان. ومن أشهر أعلام هذه المدرسة: شيشرون (ت ١٠٦ ق.م) الخطيب البليغ، وكونتيلين (ت ٩٠ ق.م) صاحب التأليف المطوّلة في البلاغة والنحو والفن الأدبي، وفارون (ت ٢٧ ق.م) صاحب الرقم الأعلى في عدد المؤلفات بين الإغريق، التي

بلغت ٦٢٠ مؤلفاً في مجالات الفكر المتنوعة، وبريسيان (ت ٥٦٠م) صاحب كتاب المقولات النحوية. وهناك أعلام آخرون ينتمون إلى هذه المدرسة. يتميز النحو اللاتيني والنحو اليوناني بأنيهما معياريان، أي إن قواعدهما موضوعة على اعتبار ما ينبغي أن يُقال، وليساً وصفيين يهتمان بما هو مستعمل. أما مجالات النحو اللاتيني فقد توزعت على: الأصوات والصرف وعلاقات التركيب والدلالة.

#### ٤ - المدرسة العربية:

تتميز هذه المدرسة بغنى تراثها، وامتدادها إلى الزمن الحاضر. وقد ولدت هذه المدرسة بعد الإسلام لخدمة القرآن الكريم وفهم مقاصد التشريع، وهذا الغرض جعل علماءها يتناولون أيضاً الشعر والتراث الأدبي. وتتصف المجالات اللسانية التي تناولتها هذه المدرسة بالتنوع والاتساع والتخصص والدقة والعمق. وأهم تلك المجالات: الأصوات والصرف والنحو والدلالة والبلاغة والنقد الأدبي والمعاجم.

#### المدارس الحديثة

نشأت هذه المدارس منذ القرن التاسع عشر، الذي سماه تشومسكي قرن العبقريات، حيث ازدهرت فيه الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة ازدهاراً مهّداً لظهور اللسانيات على أنها علم قائم بذاته، يُعنى بالظاهرة اللغوية، وفق منهج علمي واضح المعالم.

وقد مرت الدراسات اللسانية في العصر الحديث في ثلاثة أطوار:

١- طور الاشتغال بالنحو وقواعده (Grammars)، كما كان شائعاً في المدارس القديمة.

٢- طور ظهور الفيلولوجيا (philology) وهي فقه اللغة التاريخي والمقارن، و (philology) مؤلفة من جذرين وتعني: حب الكلام والبحث فيه. والفيلولوجيا هي التي مهدت لظهور علم اللغة التاريخي أو اللسانيات التاريخية.

٣- طور التفريق بين فقه اللغة وعلم اللغة (اللسانيات)، وفيه تحددت معالم علم اللغة المقارن، إضافة إلى الشروع في دراسة اللغة على أنها موضوع طبيعي. وأهم الأعلام الذين عاصروا الأطوار السابقة: بوب (bopp) وأوجست فريدريك بوت (August Friderick Pott) وماكس مولر (Max Muller) وشليجل (Shlegel) وشليشر (Schleicher) وجريم (Grimm) وراسك (Rask) وغيرهم.

والمدارس الحديثة في رأي المؤلف خمس هي:

١- مدرسة دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣):

ظهرت أفكار ودراسات مهدت لظهور هذه المدرسة، وأهم الأعلام الذين مهدوا لظهورها: كورتناي (Courtenay) ووايتني (Whitney) وبيرس (Peirce) ودور كايم (Durkheim).

ويعد دي سوسير أبا اللسانيات الحديثة، وقد قدم أفكاره وفلسفته بمحاضراته التي ألقاها بين عامي ١٩٠٦ و١٩١١، والتي جمعها بعد وفاته تلميذاه: سيشهاي (Secheyay) وبالي (Bally)، ونشرها عام ١٩١٦.

وفي آرائه ميّز بين اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية، واللسان باعتباره لغة شعب ما، والكلام باعتباره جهد فردي، كما فرق بين خصائص اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، ودرس العلاقة بين الدال والمدلول أي: بين اللفظ وبين ما يدلّ عليه ذلك اللفظ، إضافة إلى أفكار أخرى جعلت من دي سوسير ومن اعتمد أفكاره مدرسة لسانية قائمة بذاتها.

## ٢- المدرسة الوظيفية أو مدرسة براغ الوظيفية:

يُنسب تأسيس هذه المدرسة، التي ظهرت في عام ١٩٢٦، إلى العالم اللساني التشيكي ماثيسوس (Mathesius)، وأهم أعلامها: ترنكا (Tranka) وهافرانك (Havranek) وفاشييك (Vachek) وهؤلاء تشيكيون، وتروبتسكوي (Troubetskoy) ورومان ياكبسون (Jacobson Roman) وهما من روسيا.

يهتم أتباع هذه المدرسة بتتبع الوظيفة التي يؤديها العنصر اللغوي، داخل التركيب، في صنع المعنى، ويسعون باعتمادهم لنظرية التواصل، إلى دراسة عناصر التواصل: المرسل، والمتلقي، والرسالة، وقناة الاتصال وهي التي تحمل الرسالة كالهواء وغيره، واللغة باعتبارها أداة الاتصال، والمرجع وهو المجال الذي تدور في فلكه الرسالة.

وقد وجد أتباع هذه المدرسة أن كل عنصر، من عناصر التواصل السابقة، يولّد وظيفة لسانية خاصة، وحدّدوا تلك الوظائف بما يلي:

١- الوظيفة التعبيرية: تسمى أيضًا الوظيفة الانفعالية، وينتجها المرسل، وتعبّر

عن شخصيته في الكلام.

- ٢- الوظيفة الندائية: تتعلق بالمرسل إليه، الذي يُطلب إليه بها القيام بعمل معيّن. وهذه الوظيفة تقابل في العربية الأسلوب الإنشائي.
- ٣- الوظيفة المرجعية: تدور هذه الوظيفة حول السياق، وتعبّر عن الغرض الذي من أجله صيغت الرسالة، وهي ذات طبيعة إخبارية لأنها تحيلنا على أفكار ومواقف نتحدّث عنها، كالأمر الدينية والاجتماعية والفلسفية والتاريخية وغير ذلك.
- ٤- الوظيفة الانتباهية: وهي تركّز على استمرار التواصل وجودته بين المرسل والمرسل إليه، في أثناء التخاطب.
- ٥- وظيفة تعدّي الخطاب (ضمان الفهم): وهي تتعلق بكل ما يساعد على فهم اللغة المستعملة ذاتها، وكل ما يساعد على توضيحها، ليتأكد لطرقي الخطاب أن التفاهم حاصل.
- ٦- الوظيفة الشعرية: والمقصود بها ما يحمله الخطاب من عناصر التأثير في وجدان المرسل إليه. وتسمّى الإنشائية.
- وهذه الوظائف التي حدّدها ياكبسون تعدّد مدخلاً هاماً لتحليل بنية النص وآفاقه الدلالية.
- ٣- المدرسة النسقية بكوبنهاغن:
- أسّست هذه المدرسة في كوبنهاغن على يد عالّمين هما: أوتو يسبرسن (Otto Jespersen) وهولدر بدرسن (Holder Pedersen) في عام ١٩٣١، وكان من المؤسسين أولدال وبروندال.



وأشهر أعلامها: لويس يلمسلف (Louis Yhelslev) الذي تبلورت أفكار هذه المدرسة على يديه.

يرى أتباع هذه المدرسة أن اللغة ليست مادة، كما يرى دي سوسير، وإنما هي شكل يخضع لنسق من العلاقات الداخلية، التي يمكن دراستها بنوع من المعادلات الجبرية. فاللغة إذن في منظور هذه المدرسة تركيبٌ رياضي يُعبّر عنها بالمعادلات، ولا أهمية تذكر للنواحي الصوتية والدلالية.

فهذه المدرسة تهتم بالاتجاه البنيوي الذي بدأته مدرسة براغ، إضافة إلى اهتمامها بالنسق أو نظام العلاقات الذي أولاه دي سوسير أهمية كبيرة.

٤ - المدرسة الاجتماعية أو السياقية بلندن:

بدأت بوادر هذه المدرسة بالظهور في بريطانيا في القرن السادس عشر، الذي شهد ازدهاراً في الجوانب المختلفة للسانيات العملية، التي تضم علم التلّفُظ وإصلاح التهجئة وعلم المعاجم وعلم اللهجات، وفي هذه المدرسة اخترع نظام الاختزال، وابتكرت لغة عالمية.

وأهم أعلام هذه المدرسة: دالغارنو (Dalgarno) وويلكنز (Wilkins) ومالفيل بيل (Melvile Bell) وجراهام بيل (Graham Bell) وهنري سويت (Henry Sweet) ودانيال جونز (Daniel Jones) وفيرث (Firth).

تهتم هذه المدرسة بدراسة الصوتيات الوظيفية، أي الأداء الصوتي الذي يخدم المعنى كالنبر والتنغيم وغير ذلك، كما تركّز اهتمامها على الدلالة باعتبارها الغرض الأساسي الذي من أجله صيغ الكلام.

وهذه المدرسة تنظر إلى اللغة باعتبارها شكلاً من أشكال الحياة الإنسانية، لذلك ترى أن الكلمات لا تدلّ على شيء في ذاتها، وإنما تكمن حقيقتها وقيمتها في السياق الذي ترد فيه.

والسياق ليس أمراً لغوياً فحسب، بل هو مجموعة الظروف الطبيعية والاجتماعية والثقافية والنفسية التي يكتسب منها الخطاب دلالاته النهائية. ويمكن تفسير مبادئ هذه المدرسة بما عُرف عند العرب بالمقال والمقام. فالعناصر الصوتية والصرفية والتركيبة توازي ما يسميه العرب المقال، والظروف المحيطة الطبيعية والاجتماعية والثقافية والنفسية تقابل ما يسميه العرب المقام، ولا يمكن فهم المقال دون استيعاب المقام الذي يحيط به.

وأتباع هذه المدرسة يدرسون كل العناصر السابقة باعتبارها عناصر مكونة للسياق العام، وفي ضوء ذلك يحدّدون أربعة مستويات للسياق هي:

أ- السياق اللغوي: ويرتبط بنظام اللغة وكلماتها وترتيباتها المختلفة. وهو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، وما يؤديه ذلك من دور في تحديد الدلالة.

ب- السياق العاطفي: ويُراد به تحديد الشحنة الانفعالية التي تحملها الكلمات. فالكلمة في منظور هذه المدرسة لا تحمل معنى عقلياً فقط، بل فيها أيضاً ألوان من الإحساس كما في الكلمات «دموع، حبيب، ذكرى».

ج- سياق الموقف: ويُقصد به العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام، أي مجموعة الظروف الخارجية التي تؤثر في معنى النص ودلالته.

د- السياق الثقافي: ويُراد به ملاحظة الانتهاكات الثقافية والتخصّصات العلمية لأصحاب الخطاب، فمثلاً حين يستعمل دارسو العربية كلمة «الصرف» يقصدون العلم المعروف الذي تُعرَف به أحوال الكَلِم. وحين تُستعمل هذه الكلمة في الوسط التجاري والمالي فالمقصود بها تحويل العملة إلى بضاعة، أو التحويل من نقد إلى آخر.

#### ٥- المدرسة التحويلية التوليدية:

نشأت هذه المدرسة في الولايات المتحدة على يد اللساني الشهير نوام تشومسكي (Noam Chomsky) الذي تأثر كغيره من اللسانيين بدي سوسير، والذي ارتبطت اللسانيات باسمه في النصف الثاني من القرن العشرين، كما ارتبطت باسم دي سوسير في النصف الأول من ذات القرن.

وهذه المدرسة سبقتها مدرسة بلومفيلد (Bloomfield) التي ترى أن اللغة قائمة على الدوافع وردود الأفعال، أي إن اللغة سلوك بشري محكومة بالعلاقة السلوكية المشهورة (مُنَبَّه --- يؤدي إلى ---- ردّ فعل).

أما تشومسكي فيرى أن المادة اللسانية وسيلة لمعرفة كيفية عمل العقل البشري، وأداة لدراسة الفكر الإنساني، لذلك دعا إلى دراسة القضايا اللسانية باعتبارها المسؤولة عن تغذية العقل البشري بالمعلومات.

وأهم ما تميز به تشومسكي أنه سعى إلى بناء نظرية عامة للغة. وهذه النظرية تقوم على مبدأ «لا نهائية اللغة» أي مبدأ: كيف تُنتج اللغة جُملاً لا حدَّ لها من عناصر لغوية محدودة؟

وأهم عناصر نظريته:

١- الكفاية اللغوية: وهي القدرة التي يتمكن الفرد عن طريقها من التعبير والإتيان بعدد لا متناهٍ من الجمل الجديدة في المناسبات المختلفة. وهذه القدرة فطرية وتتسع بفضل الاكتساب من البيئة المحيطة. والكفاية اللغوية تُشبه الملكة اللغوية عند ابن خلدون.

٢- الأداء الكلامي: وهو القدرة على التواصل وتوليد الكلام وفق النظام النحوي، أي هو القدرة على توظيف الكفاية اللغوية في توليد الكلام.

٣- البنية السطحية والبنية العميقة: يرى تشومسكي أن لكل تركيب شكلاً ظاهرياً وبنية عميقة. فالبنية السطحية عنده هي: نظام الجملة القائم على تتابع الكلمات التي ينطقها المتكلم، أما البنية العميقة فهي: القواعد التي أوجدت التابع في البنية السطحية. وهذه ترتبط بالكفاية اللغوية.

لقد أفادت اللسانيات التحويلية التوليدية تعليم اللغات الإنسانية المختلفة، وخاصة الإنكليزية، إضافة إلى إفادتها مناهج التعليم ووضع البرامج.

\* \* \* \* \*

كان ما سبق عرضاً لمحتوى كتاب المدارس اللسانية للدكتور أحمد عزوز، الذي طبع في دار آل الرضوان بمدينة وهران الجزائرية عام ٢٠٠٨.



# المقالات والآراء



## السَّوْءُ وَالسُّوْءُ

د. مكّي الحسني (\*)

جاء في معاجم اللغة:

- «سَاءَ فِعْلٌ فَلَانٍ يَسُوْءُ سَوْءًا وَسَوْءًا: لِحَقِّهِ مَا يَشِينُهُ وَيُبَحِّحُهُ فَهُوَ سَيِّئٌ، وَهِيَ سَيِّئَةٌ.

- سَاءَ فَلَانٌ صَنِيعًا: أَي قَبَّحَ صَنِيعَهُ صَنِيعًا.

وتقول: ساء به ظنًا: لم يُحْسِنَ فِيهِ ظَنَّهُ وَارْتَابَ فِيهِ وَشَكََّ.

- سَاءَ فَلَانًا يَسُوْءُهُ سَوْءًا وَسَوْءًا وَمَسَاءَةً وَسَوْءًا وَ...: فَعَلَ بِهِ مَا يَكْرَهُ، وَهُوَ نَقِيضُ سَرَّةٍ.

- السَّوْءُ (بِالْفَتْحِ) هُوَ الْمَصْدَرُ مِنْ سَاءَهُ (أَي فِعْلٌ مَا يُكْرَهُ).

- وَالسُّوْءُ (بِالضَّمِّ) هُوَ الْأِسْمُ، وَهُوَ كُلُّ مَا يَغْمُ الْإِنْسَانَ وَكُلُّ مَا يَقْبَحُ. وَالسُّوْءُ اسْمٌ جَامِعٌ لِلآفَاتِ.». اهـ.

• وقد ورد المصدر (السَّوْءُ) في القرآن الكريم تسع مرات كان فيها جميعًا مضافًا إليه ما يُراد دَمَهُ، كما يقال: هذا رَجُلٌ سَوْءٌ: هذا رَجُلٌ قَبِيحٌ، سَيِّئٌ.

---

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

قال تعالى: ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾  
(مريم: ٢٨).

﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَابُّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ﴾ (التوبة: ٩٨).

دائرة السَّوِّءِ: أي الهزيمة والبلاء والعذاب.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِّءٍ فَسِيقِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٤).

﴿وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوِّءِ﴾ (الفرقان: ٤٠).

مطر السَّوِّءِ: مطر الإفساد والإهلاك، والمقصود هنا رمي القرية بالحجارة لإهلاك أهلها.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَفِيفِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَالظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَلِمْنَ﴾  
السَّوِّءِ﴾ (الفتح: ٦).

- يقال رجلٌ سَوِّءٌ كما يقال رجلٌ السَّوِّءِ (بالألف واللام) أي رجل الأعمال الشائنة القبيحة. ولا يقال: رجلٌ السَّوِّءِ (بالضم) وعلمه ابن بري بأن السَّوِّءِ اسمٌ للظُّرِّ وسُوءِ الحال، وإنما تجوز الإضافة إلى المصدر الذي هو فعله، كما يقال: رجلٌ الضَّرْبِ والطَّعْنِ، فيقوم ذلك مقام قولك: ضَرَّابٌ طَعَّانٌ، فلهذا جاز أن يقال رجلٌ السَّوِّءِ ولم يجوز أن يقال رجل السَّوِّءِ. ويقال: لا خير في قول السَّوِّءِ والسَّوِّءِ (بالفتح والضم). فإذا فتحت فمعناه: لا خير في قولٍ قبيح، وإذا ضممت فمعناه: لا خير في أن تقول سَوًّا (أي قولاً قبيحاً).

• أما السَّوِّءِ - وهو كما ذكرنا كلُّ ما يغمُّ الإنسان، وكلُّ ما يُقْبَحُ، وهو اسم جامعٌ للآفات - فقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم أربعاً وأربعين مرة كان فيها:



١- مضافاً (ولذا جاء نكرة)، نحو:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: ٤٩).

سُوءُ العذاب: شديده أو استمراره (معجم ألفاظ القرآن الكريم).

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ (فاطر: ٨).

سُوءُ عَمَلِهِ: عمله السيئ.

﴿يَنزُرِي مِنَ الْقَوَمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ (النحل: ٥٩).

سُوءُ مَا بُشِّرَ بِهِ: المراد: المولودة الأنثى.

٢- غير مُضاف (ولذا جاء نكرة وجاء معرفة)، نحو:

﴿فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ﴾ (آل عمران: ١٧٤).

﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٧٣).

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ (البقرة: ١٦٩)، أي بالسُّوءِ القبيح.

﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ (النساء: ١٤٨).

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: ٦٢).

• جاء في المعجم الوسيط:

«ساء: كلمة تقال في إنشاء الذم كبئس. يقال: ساء ما يفعل. وفي التنزيل العزيز:

﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ٢).

أساء فلان: أتى بسئى؛ نقيض أحسن، أي عمل سُوءًا.

أساء فلان العمل: أفسده ولم يحسنه، ألحق به ما يضره ويشينه ويعيبه.

وفي المثل: أساء كارهُ ما عمِل!

أساء فلاناً وبه وله وإليه وعليه، بمعنى واحد: ساءهُ: فعَل به ما يكره.

يقال: أساء به الظنُّ (بالألِف واللام): لم يُحسِن فيه ظنُّه وارتاب فيه وشكَّ، ولا

يقال: أساء به ظنًّا.

ومما له صلة بما ذكرتُ أنفاً ما جاء في «مجلة مجمع اللغة العربية الأردني»؛ فقد نشرت في عددها / ٧١ / الصادر في سنة / ٢٠٠٦م / مقالة طويلة للناقد اللغوي البارع الأستاذ صبحي البصام عنوانها: «إصلاح كتاب الحيوان» (ص ١٣١ - ١٨٧)، انتقد فيها على الجاحظ أشياء كثيرة، كما انتقد على محقق الكتاب، الأستاذ الكبير عبد السلام هارون، «غفلته عن نحو / ١٤٥ / تحريفاً ونحو / ٤٥ / تصحيحاً، وخطأه في ضبط كلمات بالشكل، وأخذَه بالغلط الذي في سائر الأصول مع إعراضه عن الصواب الذي في نسخة (ل)، وكثرة أخذَه بالغلط الذي في نسخة (ل) مع إعراضه عن الصواب الذي في سائر الأصول». وانتقد عليه أيضاً أشياء أخرى...

ومما يتصل بالخطأ في الضبط بالشكل، وبكلمة «سوء» تحديداً، ما جاء في كتاب

الحيوان (١ / ٢٨٦):

• «فأما اليتنُ فخرج رجل المولود قبل رأسه، وذلك علامة سُوء»، وضمَّت

السين من (سوء) والصواب فتحها.

• وتكرر مثل ذلك في مواضع من الكتاب كما في (٣ / ٨٣) في قول معن

ابن أوس:

إذا المجد الرفيع تعاورته      بئاة السوء أو شك أن يضيعا

- وكما في قول المتنعي الكندي (١٣٨ / ٣):  
 وصاحب السُّوء كالذَّاء العيَاء إذا ما ارفَضَّ في الجوف يجري ههنا وهنا  
 كَمُهْرٍ سُوءٍ إذا رفعت سِيرَتَه رام الجِماح وإن خَفَضَتَه حَرَنَّا  
 وتابع الأستاذ البصام نقده لعدم التمييز بين (سوء) و(سوء)، فقال إن ذلك له  
 نظائر في كتب كثيرة، منها ما هي مراجع عالية المنزلة، وهي تدل على سهو المحقق أو  
 عدم تثبته أو... وأورد شواهد من تسعة كتب شهيرة، ذكر أسماء مؤلفيها أو محققها  
 - وهم أساتذة كبار - وبين وجه الصواب:
- ففي «رياض الصالحين» ١٥٩ ورد الحديث النبوي: «وإنما مثل الجليس  
 الصالح وجليس السُّوء كحامل المسك ونافخ الكير»، وضمَّت السين من (السُّوء)  
 والصواب فتحها.
- وفي كتاب العين (٨ / ٤٣ بلد):  
 جرى طَلَقًا حتى إذا قيل سايح تداركه أعراق سُوء فبَلَدًا
- وفي «لسان العرب» (مادة: خبط): «نعوذ بالله من خاتمة السُّوء»، والصواب:  
 السُّوء بالفتح.
- وفي «نهج البلاغة» (٢١٦ / ١): «وَصَدَقَةَ العَلَانِيَةِ فَإِنِهَا تَدْفَعُ مِيَةَ السُّوءِ»،  
 والصواب بالفتح.
- وفي «الأغاني» (١١٩ / ١٧): «إن عامرًا أنزلكم منزل سُوء» والصواب فتح السين.
- وفي ديوان حسَّان بن ثابت، ١٨٠ لحسان:  
 أرى كثرة المعروف يورث أهله وَسَوَدَ عَصْرُ السُّوءِ غَيْرَ الْمَسْوَدِ  
 والصواب فتح السين.

- وفي «الجلس الصالح الكافي» (١ / ١٣١):  
فتلك ولاية السوء قد طال عهدهم فَحَتَّام حَتَّام العناء المَطَّوْلُ  
والصواب فتح السين.
- وفي ديوان القطامي ٥٣ (طبعة بريل) للقطامي:  
فلمَّا بدا حرمانها الضيف لم يكن عليّ مناخ السوء ضربة لازبِ  
والصواب فتح السين
- وفي ديوان حاتم الطائي وأخباره ٢٢٣ لحاتم:  
تَبَغَّ ابن عمّ الصدق حتى لقيته فإن ابن عمّ السوء إن سرَّ يُخْلِفُ  
والصواب فتح السين.



## قراءة الشعر وأثرها في تطوير الذوق الجمالي وتحقيق الاستقرار النفسي

الدكتور محمود الحسن (\*)

### مقدمة

هل سأل الإنسان نفسه مرة: لماذا يقرأ الشعر، وما الذي يُعجبه فيه؟ وهل فكّر يوماً لماذا يميل إلى قصائد دون غيرها؟ ولماذا يستهويه بيت أو مقطوعة في لحظات ثم يطلب غيرها في لحظات أخرى؟ وربما يوجد من لا يُحبُّ الشعر ولا يجد متعةً في قراءته، فهل يعلم مقدار ما فاتته من خير وفوائد؟

قد يجد من يتذوق الشعرَ ويُدمن عليه أجوبةً مجملة عن هذه التساؤلات، تتلخص في أن القارئ يكتسبُ من الشعر فكرةً جديدة، أو لغةً فصيحة، أو حكمةً مفيدة، أو جواباً مُفحِّماً، أو صورةً بليغة، أو طُرفةً مسلّية، أو موقفاً نبيلًا، أو سلوكًا صالحًا للاقتداء.

وهذه الفوائد موجودة فعلاً في الشعر، ويختلف مستوى إدراكها بين قارئ وآخر، وبين شابٍّ وكهل، وبين رجل وامرأة، وبين حزين يائس وسعيدٍ متفائل.

---

(\*) عضو الهيئة الفنية في مجمع اللغة العربية بدمشق.

ولكن من يقرأ الشعر قد لا يتنبه إلى أعظم فوائده وألطف خفاياه، وربما يحسُّ بها ولكنه لا يملك الكلمات الكافية للتعبير عنها والتصريح بها. وتلك الفوائد اللطيفة تتمثل في بناء الحسِّ الجمالي وتحقيق التوازن النفسي، عن طريق امتصاص الفيضان العاطفي الذي يتراكم في القلب من المواقف التي يمرُّ بها الإنسان في طريق الحياة، وهذا الفيضان العاطفي غالبًا ما يضطرب في القلب ويختلط بالسوساوس والأوهام، ويتحول أحيانًا إلى عاصفة تنكِّد على الإنسان طريقَ العبور إلى جزيرة السعادة، التي يرجو فيها أن يحظى بابتسامة الدنيا، ومُسألمة الزمان.

ولكن هذه الفوائد ليست موجودة في كلِّ ما قيل من شعر، بل هي مكنوزة في بعض ألوانه، ومزهرة في بعض موضوعاته، وهذا النوع من الشعر لا يملك القارئ إلا أن يُقابله بالإعجاب، وأن يصفه بالجمال.

فما ضوابط الشعر الذي يحوي تلك الفوائد، ويؤثر تأثيرًا مباشرًا في البناء

النفسي والشعوري عند القارئ؟

الشعر الحسن وموقعه في النفس:

لعلَّ أجمل أبيات الشعر هي تلك التي يجد فيها الإنسان ما لا يجده في النثر، فالحكمة والعلم والمواعظ والفلسفات والنصائح موجودة في النثر، وهو صالح لتقديمها في صور صافية، وألوان متناسقة، ووضوح يستحق الإعجاب.

أما الشعر فله وظيفة أخرى هي أن يُبجر عليه الإنسان، عندما يعجز النثر عن بلوغ عالم القلب والوجدان، وأن يستعين به على تطهير قلبه من ثقل العواطف المضطربة ونزعات النفس الصاخبة.

فالشعر الحسن هو الذي يفيض بعاطفة صادقة، فتظهر بين سطوره عبارات الروح لا عبارات الأفواه، وتتجسد في معانيه حرقه القلوب، لا صرامة العقول، ويدوبُّ على محرابه كبرياء النفوس، لا مسائل العلوم، ويشعُّ في جوانبه وميض الأمل ونار الألم وصرخة الخوف وضجّة التحدّي وسكينة الرجاء.

ومقياس هذا النوع من الشعر أن الإنسان يردّه في نفسه حين يخلو بها، ولا يملُّ من التواصل معه في لحظات الخلوة والتأمل. وذلك لأنه يُلامس حزنًا كامنًا في كل النفوس البشرية، فيدخل القلب بلا استئذان، ومن غير أن يطرق باب العقول. ولعلنا نتساءل لماذا يتفاعل الإنسان مع هذا النوع من الشعر؟ وكيف يصل عبر أوديته إلى راحة النفس واستقرار القلب؟

إن النفس الإنسانية مفعمة بلا شك بإحساس الحزن، الذي يدخل إليها من طرق خفية قد لا يكتشف العقل معظمها. ولعل من أهم أسباب الحزن الخفي الخوف من الموت ومما وراء الحياة، والإحساس الدائم بأن الأرض تتسع لأبعاد الجسد ولكنها تضيق عن تطلّعات الروح، ورؤية أن السعادة محدودة بقيود الزمن وملسوعة بنيران الكآبة ومحفوفة بأشواك الأمل ومختبئة أحيانًا بعيدًا عن الواقع، وربما خلف أسوار الخيال.

وتلك الطرق الخفية للحزن تولّد طاقة انفعالية لا يدرك الإنسان أسبابها ولا يعرف طبيعتها. فيسيطر اليأس على قلبه، ويستولي الهم على نفسه، وهو لا يدري ما حلّ به، ولا ما نزل بساحته. وأمام اليأس والهم تتصاغر همته ويسري الضعف في عروقه ويهوي في ظلمات الانطواء مستسلمًا لسطوة الحياة.

وربّما يستجمع قوته مرّةً فيصرخ في وجه الحياة متوشّحاً بسيف التمرد، ولكنه سرعان ما يمرّ به الزمن ساخرًا من تمرّده مستهزئًا بثباته، فتخور قواه مجددًا، وتستمر المواجهة، وفي كل مرّة يعود فيجد نفسه مثقلًا بجراح جديدة ومكبّلةً بقيود لم يعهدها من قبل، فيتراكم الألم وتعظم المصائب، ويحصد الإنسان في كل مواجهة مزيدًا من الأسى والخيبة والاضطراب.

فإذا استمرّ تراكم الحزن ثقل على الإنسان حملة، فيميل إلى الاستراحة في زوايا العزلة وأنفاق البكاء وكهوف الحظ العاثر. وفي هذه الحالة لا تقتصر معاناة الإنسان على الاضطراب النفسي، بل تكون قد تطوّرت إلى صورةٍ أخطر تتمثل في بدء التلاشي والانهيار.

فمسؤولية الإنسان ألا يجعل الحزن يتراكم على قلبه، وألا يسمح له بأن يتحكّم بمصيره. ويكون ذلك بالتخلّص المستمرّ من أكداسه بطرق كثيرة منها قراءة الشعر. وفي هذه الصفحات سيظهر أثر قراءة الشعر في تحرير النفس من قيود الكآبة والإحساس بالهزيمة أمام الحياة، وصولاً إلى الاستقرار النفسي.

#### أولاً - الشعر الحزين:

إن الشعر القادر على تحرير النفس من قيود الحزن والألم هو الذي يفيض بعاطفة حزينة صادقة، ويتلخص أثره في أن الإنسان حين يقرأ أبياتاً من هذا النوع يحسّ بوجود عالم يتسع لشكوى الروح المتعبة، فيتفاعل مع الأبيات وهو يشعر بأن صاحبها كأنه أحسّ بمعاناته فوصف له ما يجول في نفسه وما يتحرّك في أعماقه، فلا يملك القارئ إلا أن يفتح لهذا الشاعر أبواب القلب بعد أن اطمأنّ إليه، فتنغمس روحه في عالم ألوانه تُشبه ألوان نفسه، ونغماته تُحاكي نغمات



إحساسه باللوعة والضيق، فيقضي في هذا العالم لحظات من الحياة، ثم يتبعها بلحظات من التأمل الهادئ الذي يُشبه حالة من يستريح بعد التعب وهو راضٍ عما أنجز من أعمال مفيدة، ثم يخرج بعد ذلك إلى الواقع وقد ألقى بعضاً مما كان في قلبه من حزن وضيق في عالم القصيدة، وبعضاً آخر في لحظات التأمل بعد الفراغ من القراءة، ويعود إلى الواقع، والرضا ينسكب في قلبه وإحساسه، والراحة تجري في نفسه ووجدانه.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الشعر جَزْلٌ من كلام العرب، يُسكّن به الغَيْظُ، وُثْظُفًا به الثائرة، ويتبَلَّغُ به القومُ في ناديتهم، ويُعطى به السائل»<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة الشعر الحزين قول المتنبي مصوراً ضيقه وحزنه في يوم العيد:<sup>(٢)</sup>

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عَيْدُ	بِمَا مَضَى، أَمْ لِأَمْرٍ فَيْكَ تَجْدِيدُ
أَمَّا الْأَجْبَةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ	فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدَاءَ دُونَهَا بَيْدُ
لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَيْدِي	شَيْئًا تُتِيْمُهُ عَيْنٌ وَلَا جَيْدُ
يَا سَاقِيَّيْ أَحْمَرُ فِي كُؤُوسِكُمَا	أَمْ فِي كُؤُوسِكُمَا هَمٌّ وَتَسْهِيْدُ
أَصْحَرَةٌ أَنَا مَالِي لَا تُحَرِّكُنِي	هَذَا الْمُدَامُ وَلَا هَذَا الْأَغَارِيْدُ
إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً	وَجَدْتُهَا وَحَبِيْبُ الْقَلْبِ مَفْقُوْدُ
مَاذَا لَقَيْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهُ	أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكِ مِنْهُ مَحْسُوْدُ

(١) العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤ هـ، ٦: ١٣٠.

(٢) ديوانه، دار صادر، بيروت، ص ٥٠٦. والبيد: جمع بيدا، وهي الصحراء. وتُتِيْمُهُ: تجعله

يجبها ويتعلّق بها. والجيد: العنق. والمدام: الخمر. والكميت: الخمر.

في هذه الأبيات تتجلى المعاناة في أعلى صورها، إذ تظهر فيها حسرةٌ على سعادة مفقودة، وخيبةٌ أمل لم يتحقق، وألمٌ يُحسّه كلُّ من ذاق مرارة الفراق، وضعفٌ يأخذ بالنواصي إلى خيار الهزيمة والاستسلام، وغربةٌ يشعر بها من امتلك حسًا مرهفًا في مجتمعات تسخر من المبادئ والقيم، وتكوي المبدعين بنظرات الحسد.

وما أصعب أن يكون نصيب الإنسان الحسرة والخيبة والضعف والألم والغربة في يوم يُفترض فيه أن يكون على موعد مع السعادة، فيراها تتجاهله في حين تنفث عطرها في القلوب، وترسم ملامحها على الوجوه، وتشر حللها في كل مكان حوله، ولا يكون نصيبه إلا اليأس والعبوس.

وحين يقرأ الإنسان هذه الأبيات لا يجد العقل فسحةً كي يُلمَّ بالجزئيات والحوادث وما بينها من مناسبات، ويتخذ منها مقدمات يبنى عليها محاكماته المعهودة في البحث عن الحقائق والوصول إلى الأحكام والنتائج. وإنما تقتصر وظيفة العقل على نقل لغة الشاعر المترجمة بأحاسيسه، فإذا وصل الإحساس إلى وجدان القارئ توقّف العقل عن البحث، وأفسح المجال أمام النفس لاستقبال أحاسيس الشاعر واستلهاها، فتخرج الانفعالات من مكانها وتمتزج بنظائرها، فيتلوّن القلب بألوانها، وينقبض بتأثيرها، فإذا بالقارئ يتمثل لحظات الفراق والغربة والضيق ويسلم قلبه لها، فتنتشر فيه وتتحكّم وتهيج وتضطرب، ثم تمتزج وتتحد، ثم تصفو وتهدأ، ثم تتحوّل إلى إحساس غامض لا يُصاحبه حزنٌ أو فرح، ثم إلى طمأنينة ورضا، فتميل النفس إلى الراحة، ثم تتصل بالواقع وقد أَلقت ما فيها من حزن، واستعادت ما تأنس به من سعادة وأمل.

وموضوعات الشعر الحزين كثيرة ومتنوعة، وغالبًا ما تتجلى في لحظات الوداع وأيام الفراق ويران الشوق وآلام الحب وقيود الضعف وتسلب الخوف ومرارة اليأس وذل الهزيمة، ولكن القصيدة لا تكتسب قيمتها من الموضوع وإنما من الإحساس الذي تحمله بين سطورها وأنغامها، لأن الموضوع يتحوّل إلى رسوم وظلال تتنحّى أمام تدفّق العاطفة وفيضانها، على حين يخرق الشاعر بإحساسه قلب القارئ، فيهيّج ما فيه من جروح، ثم يستلّها ويمضي.

قال ابن هذيل في وصف حمامة: (٣)

ومرّنة، والدجن ينسج حولها      بُردين من حلك ونوء باك  
مالت على طي الجناح، وإنما      جعلت أريكتها قضيب أراك  
وترنمت لحنين قد حلتها      بغناء مسمعة، وأنة شاك  
ففقدت من نفسي لفرط تلّهفي      نفس الحياة، وقلت من أبكاك

هذه المقطوعة لا يكاد القارئ يبدأ بقراءتها حتى يختفي حاجز الكلمات، ويتوقّف العقل عن التحليل والاستنتاج، وينطلق القارئ على أجنحة الخيال ليُشاهد بعيونه صورةً محسوسة، لمخلوق ضعيف لطيف، داهمته فجأة ظلمات بعضها فوق بعض، فيفجّر ذلك المشهد كلّ ما في النفس من ضروب الرقة والعطف على تلك الحمامة، التي اصطبغ جمال صوتها بأنين الشكوى.

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٠، ٣: ٢٥٩. والمرّنة: الحمامة. والدجن: إلباس الغيم السماء. والحلك: الظلام، والنوء الباكي: الجو الماطر. والأريكة: ما يُتّكأ عليه. والأراك: شجر السواك. وترنمت: غنت. والمسمعة: المغنية. والشاكي: الحزين.

وبعد أن تمثل القارئ ذلك المشهد الحزين، وفاضت في أعماقه أحاسيس الرحمة والإشفاق، يُفاجأ في البيت الأخير بأن الحماسة أصبحت إنساناً تُشبه حاله حال الشاعر، فيصبّ أحاسيس الرحمة على الشاعر، ويتصل بوجدانه، فيختفي الموضوع في هذه اللحظة تحت سلطان العاطفة، كما اختفت الكلمات من قبل تحت سلطان التصوير، وتتلاقى أحاسيس القارئ والشاعر في جوٍّ من الحزن يطغى على الموضوع، ويطمس تفاصيله ومعالمه.

ومن هذا النوع الذي يتنحى فيه الموضوع أمام العاطفة هذه القصيدة التي عنوانها دموع الرجال:<sup>(٤)</sup>

فَوْقَ أَوْهَامِ سَرَابٍ وَخِيَالٍ	يَا حَبِيبِي كَيْفَ بَشَانَا نَلْتَقِي
نَرْتَجِي مِنْهُ إِيَابًا وَوِصَالَ	لَمْ يَعُدْ لِلْوَصْلِ قَلْبٌ خَافِقٌ
تُرْسِلُ الْأَحْقَادَ سَيْفًا وَنِيَالٍ	يَا حَبِيبِي وَالْمَنَايَا دُونَنَا
ضَاعَ مَا بَيْنَ بُكَاءٍ وَارْتِحَالٍ	لَمْ يَعُدْ لِلْحُبِّ أُمٌّ أَوْ أَبٌ
لَيْسَ لِي، وَاللَّهِ، فِي اللَّوْمِ احْتِمَالٌ	يَا حَبِيبِي لَا تَلْمَنِي فِي الْهَوَى
كِدْتُ أَفْنَى مِنْ دُعَاءٍ وَابْتِهَالٍ	ضَاقَ بِي الْكَوْنُ وَمَا لِي حِيلَةٌ
أَهْلَكَ الْأَزْهَارَ فِي سَفْحِ التَّلَالِ	يَا حَبِيبِي لَا تَسْلَنِي مَا الَّذِي
وَرَمَى الْحُسْنَ بِمِيدَانِ الزَّوَالِ	مَا الَّذِي أَبْكَى حَمَامَاتِ الصَّبَا
مُغْرَمٌ بِاللَّيْلِ مُدُّ غَابَ الْجَمَالِ	لَا تَسْلَنِي عَنْ نَهَارِي إِنَّنِي

(٤) هذه الأبيات للكاتب.

لستُ أَرَجُو من زَمَانِي رَحْمَةً      تِلْكَ قد بَاتتْ ضُرُوبًا من مُحَال  
لا تَسْلُنِي وارْتَقِبْ صَمْتَ الدُّنَا      يا حَبِيبِي عندما تَبْكِي الرِّجَال

في هذه القصيدة يتخيّل القارئ صورة «رجل يبكي»، فيُحيطها بمشاعر الرهبة والجلال، ويُضيف إليها ما يشاء من أبعاد خيالية وتصوّرات مظلمة، ويتنقّل بهذه الصورة في رحاب مواقف وذكرياتٍ مرّ بها في حياته، وكان فيها سخيّ الدّمع محطّم القلب منكسر الوجدان، يرى نفسه فيها كقطرة ماء في كبد الصحراء، أو قشة في زبد البحر، أو ذرة غبار في قلب عاصفة.

إن هذه الصورة لتطغى، بلا شك، على كل التفاصيل المعروضة في القصيدة، وربما لو سُئِل القارئ عما تحويه القصيدة من عذاب البعد، ولوعة الفراق، ويثمّ الحبّ، وعُري الطبيعة، وطول السهر، لأجاب بأنّ هذه الأمور ليست موجودة في القصيدة.

نعم هي موجودة، ولكنها تحوّلت إلى مشاعر مبهمّة تشبه الموسيقى الحزينة الصاخبة، التي تُعزف في المشاهد التي ينتصر فيها الظلم ويموت البطل. وهكذا تكتسب القصيدة قيمتها مما تبثّه في النفس من مشاعر الحزن والرّهبة، وما يجده القارئ من عزاء وعبرٍ في صورة الرجل الباكي، على حين تخفّي التفاصيل الأخرى للموضوع، وتحوّل إلى ظلال مبهمّة، ونغمات حزينة.

فللشعر الحزين إذن فوائد جليّة تتمثل في تطهير النفس الإنسانية من الانفعالات المضطربة التي تتراكم فيها بسبب التصوّرات المقلقة لمستقبل الإنسان ومصيره بعد الموت، والمواقف القاسية التي يمرّ بها في مسيرة حياته، والإحساس الدائم بأن حدود الواقع تضيق عن تطلعات الروح.

«قال بعض الفلاسفة: إنّ للنفس كلمات روحانية من جنس ذاتها ... فإذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى، الحلو اللفظ، التامّ البيان، المعتدل الوزن، مازج الروح ولاءم الفهم وكان أنفذ من نفث السحر وأخفى ديبياً من الرقى وأشدّ إطراباً من الغناء، فسَلَّ السخائم، وحَلَّلَ العقد، وسخَى الشحيح، وشجّع الجبان»<sup>(٥)</sup>.

#### ثانياً- شعر البطولة والمواجهة:

حين يتخلص الإنسان من جزء من حزنه الخفي يستعيد بعض قوته، فيشعر بالسرور والتفاؤل، وربما يفكر في تحدي سطورة الزمن ومرارة الواقع، وفي هذه الحالة يميل إلى الشعر الذي يحمل بين نغماته روح التمرد والمواجهة مع قوى الطبيعة وظلم البشر وقسوة الواقع، وحين يتصل به يستمد منه العزيمة والقوة، ويطرح في عالمه كلّ ما في نفسه من ضعف وتردد، فيعود للنفس صفاؤها وتكتسي حلّة من التوازن والاستقرار.

قال عنتره:<sup>(٦)</sup>

(٥) عيار الشعر، لابن طباطبا، تحقيق: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٥، ص ٢٣. والبصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: الدكتورة وداد القاضي، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨، ٧: ١٠٤.

(٦) ديوانه، ط ١، دار صادر، بيروت ١٩٩٢، ص ١٧١. وصرف الدهر: نوائبه التي تتصرف بالناس. والباع: قدر مدّ اليدين وما بينهما من البدن. والمقصود هنا اليد على المجاز. والمصانع: موضع في جزيرة العرب. والذوابل: الرماح.

وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعَا	إِذَا كَشَفَ الزَّمَانُ لَكَ الْقِنَاعَا
وَدَافِعُ مَا اسْتَطَعَتْ لَهَا دِفَاعَا	فَلَا تَخْشِ الْمَيِّتَةَ وَالْقَيْنَةَ
لَنَا بِفِعَالِنَا خَبْرًا مُشَاعَا	وَفِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكْنَا
وَصَيَّرْنَا النَّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا	أَقْمَنَا بِالذُّوَابِلِ سُوقَ حَرْبِ
فَخَاصَّ غُبَارَهَا وَشَرَى وَبَاعَا	حِصَانِي كَانَ دَلَالَ الْمَنِيَا
يُدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو الصُّدَاعَا	وَسَيْفِي كَانَ فِي الْهَيْجَا طَبِيَّا
وَخَصَمِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا اتِّسَاعَا	مَلَأْتُ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي
تَرَى الْأَقْطَارَ بَاعًا أَوْ ذِرَاعَا	إِذَا الْأَبْطَالَ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي

حين يقرأ الإنسان هذه الأبيات، يشعر بالقوة والرغبة في مواجهة الواقع، لأنه يقتنع بأن البطل الذي ملأ الأرض خوفاً من سيفه ما هو إلا إنسان يُشبهه، فيلتفت في تلك اللحظة إلى نفسه ويؤنبها، قائلاً علام أيتها النفس صغرت وتملكك الضعف، وجعلتني أحسُّ بأنني لا أقوى على مواجهة الحياة؟ ألا إني أمتلك من العزيمة ما يكفيني لخوض حرب وتغيير الدنيا، وقد يُطلق قلبه في عالم الشاعر فيستلهم منه الصبر والقوة، ثم يعود إلى الواقع وهو مكلَّل بنشوة الظفر والانتصار، وقد ألقى في جو القصيدة وما يعقبها من لحظات تأملٍ بعضاً مما في قلبه من ضعف وتردد، فيتابع حياته متحدِّياً تلك العقبات التي جعلته في وقت يميل إلى الاستسلام.

وقد يُعاني الإنسان من الظلم الاجتماعي، كتسلُّط الآباء والأزواج والإخوة،

وبعض أصحاب النفوذ الاجتماعي كالأغنياء وجهلة الدعاة، وقد يُعاني أيضًا من قسوة التقاليد، وفي هذه الحالة تمتلئ نفسه بالضيق وتزداد همومه إلى درجة قد يفقد فيها القدرة على الصبر.

ولكن حين يقرأ مثلًا قول عنترَةَ الآتي يشعر بأن ما تراكم في قلبه من ضيق ذهب معظمه، وحلَّ مكانه إحساس بالرضا والراحة. قال عنترَةُ: (٧)

وَأَطْلُبُ أَمْنًا مِنْ صُرُوفِ النِّوَابِ	أَعَاتِبُ دَهْرًا لَا يَلِينُ لِعَاتِبِ
وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّهُ وَعَدُّ كَاذِبِ	وَتُوْعِدُنِي الْأَيَّامُ وَعَدًّا تُعْرُنِي
لِعَوْنِي، وَلَكِنْ أَصْبَحُوا كَالْعَقَارِبِ	خَدَمْتُ أَنَا سَا وَأَتَّخَذْتُ أَقَارِبًا
وَعِنْدَ صِدَامِ الْحَيْلِ يَا بَنَ الْأَطْيَبِ	يُنَادُونَنِي فِي السَّلْمِ يَا بَنَ زَبِيبَةِ
وَلَا خَضَعْتَ أَسْدُ الْفَلَا لِلثَّعَالِبِ	وَلَوْلَا الْهَوَى مَا ذَلَّ مِثْلِي لِمِثْلِهِمْ
إِلَيَّ كَمَا يُدْنِي إِلَيَّ مَصَائِبِي	فِيَا لَيْتَ أَنْ الدَّهْرَ يُدْنِي أَحِبَّتِي
يَرَى فَيَضُّ جَفْنِي بِالْذَّمُوعِ السَّوَاكِبِ	وَلَيْتَ خَيَالًا مِنْكَ يَا عَبْلَ طَارِقًا
وَحَتَّى يَضِجَّ الصَّبْرُ بَيْنَ جَوَانِبِي	سَأَصْبِرُ حَتَّى تَطَّرَ حُنِّي عَوَاذِلِي
وَبَاعِي قَصِيرٌ عَنِ نَوَالِ الْكَوَاكِبِ	مَقَامُكَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَكَانُهُ

وسبب الشعور بالرضا هو اقتناع القارئ بأن الإحساس بالظلم لم يكن ينجو منه أمثال عنترَةَ الذي ملأ الأرض خوفًا من حسامه، يُضاف إلى ذلك أن القصيدة تمنح القارئ إحساسًا بأنه لو أراد الانتقام لاستطاع، فهذا هو عنترَةَ يصبر

(٧) ديوانه ص ١٠٣. والعواذل من النساء: جمع عاذلة: التي تلوم المحبين وتُصَيِّقُ عليهم.



مع القدرة على الانتصاف ممن ظلمه من أجل أنه يُحِبُّ، وفي هذا عزاء للقارئ وإحساس بأنه قد نال حقه.

ثم في شكوى الشاعر من ظلم الدهر تشتيت لإحساس القارئ بالظلم، ففي بداية القصيدة اتجه هذا الإحساس نحو الناس، ثم فجأة يتجه نحو الدهر، فيضيع جزء هنا وجزء هناك، ثم يتلاشى هذا الإحساس، في صور وذكريات، حين يذكر الشاعر عذاب الحب، وعدم قدرته على الوصول إلى محبوبته، وهذه الحالة تخلق في نفس القارئ تقبل حالة الاستسلام الهادئ المطمئن، اعترافاً بأن الكون أعظم من أن يُحيط به أو أن يتحكم به إنسان.

ولعل الإنسان يحتاج فعلاً إلى أن يكون قوياً ثابتاً في وجه الحياة، ولكن الثبات المستمر والمواجهة الدائمة ذاتها قد يجرّان عليه ضيقاً واضطراباً داخلياً، إذا كان يطمح أن يجني الرحيق من كلّ زهرة، ويبني في كل ناحية قلعة، وينتصر في كل موقف. وذلك لأنه يواجه خصماً لم ينتصر عليه أحد ألا وهو الزمن. وفي هذه الحالة يحتاج أن يضع في حسبانته أن قدرة الإنسان محدودة بطاقات، ومحكومة بنواميس كونية لا تتغير، إذ لا يوجد على ظهر الأرض سعادة مطلقة، ولا انتصار مطلق، ولا خلود يتوّج الإنسان مَلِكًا على عرش إنجازاته وإبداعه.

نعم عليه أن يُوقن أن كلّ نجاحاته وانتصاراته سيلتهمها الزمن، حين تفيض روحه، وربما يحتفظ الزمن ببعض منها، ولكن بعد أن تتحول إلى معانٍ وعبرٍ، وبعد أن يكون صاحبها قد ارتحل إلى المجهول.

عليه إذن أن يتقبل أن أمامه فسحة قصيرة من الزمن، وقطعة محدودة من الكون، وقوة لن تخرق أقطار السماء. فإذا ما استوفى الأجل، ونال نصيبه من السعادة، كانت في انتظاره سفينة الارتحال.

وهذه الحقيقة لم تكن غائبة عن ذهن أولئك الفرسان الذين فتحوا صدورهم للسيوف، وأمضوا حياتهم في ساحات الموت. فكأنوا أقوياء بها منحهم الزمن من فسحة، وما وهبتهم الحياة من لذة، وكانوا في الوقت ذاته يُسابقون الزمن وهم مستسلمون بطمأنينة ورضا لذلك اليوم الذي ينطفئ النور في عيونهم، ويصعدون فيه تلك السفينة في رحلة طويلة لا بدّ منها. قال عنتره:<sup>(٨)</sup>

بَكَرَتْ نُحُوفِي الحُتُوفَ كَأَنِّي      أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعزِلِ  
فَأَجِبْتُهَا إِنَّ المَنِيَّةَ مِنْهُلٌّ      لَا بَدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ المَنْهَلِ  
فَأَقْنِي حَيَاءَكِ، لَا أَبَا لِكَ، وَاعْلَمِي      أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

هكذا يستسلم الأبطال بطمأنينة ورضا للمصير المحتوم، وهذا الاستسلام الهادئ ربما يتحوّل في نظر بعضهم إلى ما يُشبه الاستراحة الأبدية، فيتصاغر في قلوبهم وقلوب من يقرؤون أشعارهم إحساسُ الرهبة من الموت، لتحلّ مكانه قوَى شعورية يحتاج إليها الإنسان في مواجهة الحياة ودخول أبواب السعادة.

(٨) العقد الفريد ١: ٩٧. والأبيات ليست في ديوان عنتره. والحتوف: جمع حتف، وهو الموت.

واقني حياءك، أي: الزميه.

ولكن لا بأس بأن يُعبّر الإنسان عن ضعفه أمام الزمن، وخوفه من الرحلة المحتومة، فلعلّ الكلمات تستلّ أحياناً من النفس بعض الحزن والقلق، فيحس القارئ بالراحة، وكأن السطور هي التي أصبحت تحتزن الحزن وليس القلوب. قال ذو الإصبع العَدَوَانِيّ: (٩)

جَزَعَتْ أَمَامَهُ أَنْ مَشَيْتُ عَلَى الْعَصَا      وَتَذَكَّرْتُ إِذْ نَحْنُ مِنَ الْفِتْيَانِ  
لَا تَعَجِبَنَّ أَمَامَ مَنْ حَدَّثَ عَرَا      فَالْدَّهْرُ غَيْرَ نَامَعَ الْأَزْمَانِ

ثالثاً - وسيلة الشعر في الإقناع:

حين يدخل الشعر أعماق القلب يفقد العقل سلطانه، فيتخلّص القلب ممّا يشوبه من حزن ويجد عزاءه في الكلمات الرقيقة والنغمات الهادئة، دون حاجة إلى الأدلة والبراهين والحقائق التي يحتاج إليها العقل في هذه الحالة لبناء المحاكمة العقلية المقنعة. ولهذا نجد أننا نقبل أموراً كثيرة عن طريق الشعر، قد لا نقبلها من طريق النثر الذي يتحكّم به سلطان العقل.

قال أبو هلال العسكري: «ومن صفات الشعر الذي يختصّ بها دون غيره أنّ الإنسان إذا أراد مديح نفسه فأنشأ رسالة في ذلك أو عمل خطبة فيه جاء في غاية القباحة، وإن عمل في ذلك أبياتاً من الشعر احتمل.

ومن ذلك أنّ صاحب الرياسة والأبهة لو خطب بذكر عشيق له، ووصف

---

(٩) ديوان ذي الإصبع العَدَوَانِيّ، جمعه وحققه عبد الوهاب محمد علي العَدَوَانِيّ ومحمد نائف

وَجَدَهُ بِهِ، وَحَنِينَهُ إِلَيْهِ، وَشَهْرَتَهُ فِي حَبِّهِ، وَبِكَاءَهُ مِنْ أَجْلِهِ لِاسْتِهْجَانِهِ مِنْهُ ذَلِكَ، وَتَنْقُصَ بِهِ فِيهِ، وَلَوْ قَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا لَكَانَ حَسَنًا»<sup>(١٠)</sup>.

فهذا الخليفة هارون الرشيد يتحدث، فيما نُسب إليه، عن حبه لثلاث من الجواري، ويذكر كيف يُطيعهنَّ وهنَّ يُخالفنه ويعصينه، فيقول:<sup>(١١)</sup>

مَلَكَ الثَّلَاثُ الْآنِسَاتُ عِنَايِي      وَحَلَلَنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ  
مَا لِي تُطَاوِعُنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا      وَأُطِيعُهُنَّ وَهُنَّ فِي عِصْيَانِي  
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانَ الْهَوَى      وَبِهِ عَزَزَنْ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

وهذه الأبيات يتقبلها القارئ مسرورًا، مفتشًا عما فيها من شكوى رقيقة، وعاطفة مناسبة، دون أن يُنكر على الخليفة الذي يحكم نصف الأرض أن يقولها. ولو أنشأ الخليفة خطبة مثلًا وتحدث فيها عن كلفه بتلك الجواري لما كان مقبولًا منه.

فالشعر إذن تسمح طبيعته للشاعر بأن يُعبر فيه عمًا لا يستطيع أن يعبر عنه في الشر، فكأنه مطية خاصة تحمل ما لا تستطيع المطايا حمله. والقارئ أيضًا يتقبل الكثير من الأمور في الشعر على حين لا يتقبلها لو وردت في الشر.

(١٠) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١، ص ١٥٧.

(١١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، ط ١، دار صادر، بيروت ٢٠٠٤، ٣: ٧٧.

ولعل سبب ذلك أن الإنسان يتلقى الشعر بأحاسيسه، أي إنّه يدخل النفس ويخاطب العالم الداخلي للإنسان، بعيداً عن سلطان العقل. وهذا يعني أن القارئ لا يبني قناعات راسخة ومبادئ ثابتة من الشعر. ولذلك لا يُحشى على من يقرأ الشعر أن ينحرف سلوكه وأخلاقه، حتى لو كان ظاهر الشعر يدعو إلى ذلك، كما في قول طرفة: (١٢)

ألا أيهذا اللائمي أحضَرَ الوَعَى،      وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنتَ مُخلِدي  
فإن كُنْتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيِّي،      فدَعني أبادِرها بِما مَلَكَتْ يَدِي  
فلولا ثَلاثُ هُنَّ من عِيشَةِ الفَتَى      وَجَدُّكَ لم أَحْفَلُ متى قامَ عُوْدِي  
فمِنْهُنَّ سَبَقِي العاذِلاتِ بِشَربِي،      كُمِيتِ متى ما تُعَلِّ بالماءِ تُزِيدِ  
وَكَرِي إذا نادى المُضَافُ مُحَنِّبًا،      كَسِيدِ العَضا، نَبَهَتَهُ، المُتَوَرِّدِ  
وتَقْصِيرُ يومِ الدَّجَنِ، والدَّجَنُ مُعْجِبٌ      بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطَّرَافِ المُعَمِّدِ  
كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ في حَياتِهِ،      سَتَعَلِّمُ إن مُتَنا غَدًا أَيُّنا الصَّدي  
أرى العِيشَ كَنَزًا ناقِصًا كُلَّ لَيلَةٍ      وما تَنقُصِ الأيَّامُ والدَّهْرُ يَنفِدي  
لَعَمْرُكَ، إنَّ المَوْتَ ما أخطأ الفَتَى،      لكالطَّوْلِ المُرَخى وَثِنياءُ بِاليدِ

فهذه الأبيات ظاهرها يدعو إلى ما لا تقبله المبادئ الدينية والأعراف الاجتماعية. ولكن حين يقرؤها الإنسان يشعر بأن عنفوان الشباب يُخالط دمه،

(١٢) ديوان طرفة، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت

وأن قلبه قد امتلأ أملاً وتفאוؤلاً وقوّة. ويلمح فيها صورة الفتى العربي الذي يتحدّى الحياة وهو موقن بأنه سيموت في النهاية، ويتحدّى الزمن فينال فيه السعادة التي يُريدها، وإن كان هذا الزمن يقف في وجهه.

أما ما تحتويه الأبيات من دعوة إلى هدم الأعراف والتقاليد فليس له سطوة التأثير والإقناع، بل هو أشبه بما يراه النائم في حلمه، ثم يزول عندما يودّع الإنسان النوم ويستيقظ.

وتجدر الإشارة إلى أن إعجاب القارئ بالشعر يختلف بحسب اختلاف أحواله، فهو في لحظات الحزن يتعلق بأشعار الشكوى، وفي لحظات الضعف يطلب أشعار البطولة، وفي شبابه يُعجّب بأنواع محدّدة وفي كهولته وشيخوخته تلائمه أصناف غيرها. ولهذا نجد أن أصحاب المختارات الشعرية غالباً ما يُضيفون إلى ما اختاروه أو يحدفون منه بحسب أحوالهم وأعمارهم، وما استجد لهم من ظروف الحياة.

\* \* \* \* \*

واعتماداً على ما سبق يمكن القول بأن من يقرأ الشعرَ الحزين لا يستجلبُ الحزن إلى نفسه، كما يُظنّ، بل يُلقى في بحاره ما تحمله النفس من أحزان. ومن يقرأ شعر التمرد والمغامرات لا يكون مذموم السلوك والأخلاق، بل يمنح روحه لذة الخروج إلى عالم الخيال الذي يتسع لتطلعاتها أكثر من اتساع الواقع. وحاله مع روحه تُشبه حال من يسمح لأطفاله بأن يلعبوا بالطين فيصنعوا ما

شأؤوا من أشكال وتماثيل يفرغون فيها كل ما في نفوسهم من تطلعات محبوسة  
وتساؤلات مبهمة قد لا تتسع لها زوايا البيوت وشرفاتها، فإذا بهم يارسون  
الإبداع ويقطفون أزهار المتعة، حتى إذا انتهوا اغتسلوا وعادوا إلى حياتهم  
وواجباتهم مسرورين.



## مَصَادِرُ وَرُؤْيَا الْجَمْعِ الْبَحْثِ

- البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: الدكتورة وداد القاضي، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨.
- ديوان ذي الإصبع العَدواني، جمعه وحققه عبد الوهاب محمد علي العدواني ومحمد نائف الدليمي، مطبعة الجمهور، الموصل ١٩٧٣.
- ديوان طرفة، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢.
- ديوان عنتره، ط ١، دار صادر، بيروت ١٩٩٢، ص ١٧١.
- ديوان المتنبي، دار صادر، بيروت.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٠.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤ هـ.
- عيار الشعر، لابن طباطبا، تحقيق: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٥.
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، ط ١، دار صادر، بيروت ٢٠٠٤.





أبناءُ جمعيةٍ وثقافيةٍ



من قرارات مجمع اللغة العربية في الألفاظ والأساليب

عامي ٢٠٠٩-٢٠١٠م

(٣٩)

عَبْرَ

(سافر عَبْرَ الصحارى)

١- المسألة:

يخطئ بعضهم كلمة (عَبْرَ) في نحو قولهم: يصل إليه عَبْرَ البحر، سافر عَبْرَ الصحارى.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: يصل إليه عَبْرَ البحر، سافر عَبْرَ الصحارى.

٣- التعليل:

في اللسان وتاج العروس: «عَبْرَ النهر عبْرًا وعبورًا: قطعهُ من شاطئ إلى شاطئ، وكذلك الطريق: قطعهُ من جانب إلى جانب». وقد بُحث استعمال (عَبْرَ) في مجمع القاهرة، وأجاز قولهم: سار عبْرَ البحار أو الصحارى على الحقيقة، وقولهم: كان النصر حليف العرب في معاركهم عبْرَ التاريخ، على المجاز بتشبيه زمن التاريخ بالمسافة البعيدة التي يقطعها المسافر (في أصول اللغة ١ / ٢٠٤). أما لفظ (عَبْرَ) فهو إمَّا ظرفٌ حلَّ محلَّ المصدر، وإمَّا حالٌ على التأويل باسم الفاعل.

٤- القرار:

جواز قولهم: (يصل إليه عَبْرَ البحر، سافر عَبْرَ الصحارى).

(٤٠)

كَلَّفَهُ

(كَلَّفَهُ بِالْمُهْمَّةِ)

١- المسألة:

يُخَطِّئُ بَعْضُهُمْ عِبَارَةَ (كَلَّفَهُ بِالْمُهْمَّةِ) مُتَعَدِّيًا بِالْبَاءِ، وَالصَّوَابُ عِنْدَهُمْ (كَلَّفَهُ الْمُهْمَّةِ) مُتَعَدِّيًا بِنَفْسِهِ.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: (كَلَّفَهُ بِالْمُهْمَّةِ). مُتَعَدِّيًا بِالْبَاءِ.

٣- التعليل:

جاء في اللسان: «كَلَّفَهُ تَكْلِيفًا أَيْ أَمَرَهُ بِمَا يَشُقُّ عَلَيْهِ». أَيْ مُتَعَدِّيًا بِنَفْسِهِ.  
وجاء في التاج: «التكليفُ: الأَمْرُ بِمَا يَشُقُّ عَلَيْكَ.. وَقَدْ كَلَّفَهُ تَكْلِيفًا. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] أَيْ مُتَعَدِّيًا إِلَى مَفْعُولَيْنِ بِنَفْسِهِ. وَلَكِنْ:  
أ- جاء في الوسيط: كَلَّفَهُ أَمْرًا: أَوْجَبَهُ عَلَيْهِ.. وَفَرَضَ عَلَيْهِ أَمْرًا ذَا مَشَقَّةٍ. وَيُقَالُ: كَلَّفَهُ الْأَمْرَ كَذَا مِنْ الْجَهْدِ وَالْمَالِ: اسْتَلْزَمَهُ مِنْهُ. وَكَلَّفَهُ بِالْأَمْرِ: وَكَلَّهُ إِلَيْهِ، (مُحَدَّثَةً). أَيْ مُتَعَدِّيًا بِالْبَاءِ.

ب- ورد في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: «كَلَّفَهُ اللَّهُ بِهِ». ٩٣ / ٨.

ج- ورد اسم المفعول (مُكَلَّفٌ) مُتَعَدِّيًا بِالْبَاءِ فِي الدَّرْرِ الْكَامِنَةِ ٧٨ / ٤ حَيْثُ قَالَ: «غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِشَيْءٍ». وَجَاءَ فِي تَذَكْرَةِ الْحِفَازِ لِلذَّهَبِيِّ: ٢ / ٢٤٥: «مُكَلَّفٌ بِقَفْوِ الْحَقِّ». وَمَعْرُوفٌ أَنَّ مُشْتَقَاتَ الْفِعْلِ تُعَدَّى بِمَا يُعَدَّى بِهِ فِعْلُهَا.

د- ورد في كتاب (نقض كتاب العثمانية) لأبي جعفر الإسكافي، وهو من كُتَّاب النصف الأول من القرن الثالث الهجري: «ومتى كان الصبي عاقلاً مميّزاً كان مكلفاً بالعقلية، وإن كان تكليفه بالشرعية موقوفاً على حدٍّ آخر وغاية أخرى». وجاء مثل ذلك في إرشاد الأديب والموافقات والكلية وغيرها.

٤- القرار:

جواز قولهم: (كَلَّفَهُ بِالْمُهَمَّةِ) متعدياً بالباء.

(٤١)

لعبَ دوراً

(يلعب المصلح دوراً هاماً في مجتمعه)

١- المسألة:

تشيع في الاستعمال المعاصر عبارة (لعب الرجل دوراً هاماً) بمعنى (قام بعمل هام). ويخطئ بعضهم لأمرين: الأول أن الفعل (لعب) لازم فلا ينصب مفعولاً به، وقد يعدى بالباء. والثاني أن معنى الفعل (لعب) هو (لها)، مما لا يجعل العبارة المعاصرة تعبر عن المعنى المراد. ويرون أن الصواب أن يقال: (أدى دوراً هاماً).

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: (لعب الرجل دوراً هاماً) بمعنى (قام بعملٍ جليل)، وإن كان الأفضل أن يقال: (أدى دوراً هاماً).

## ٣- التعليل:

يمكن تخريج العبارة على تضمين الفعل (لعب) معنى الفعل (أدى)، وبذلك يكون متعدياً بنفسه كما الفعل الذي ضُمَّته.

إن الفعل (لعب) لا يعني في هذه العبارة (اللهو)، بل معظم دلالاته المعاصرة هي (الجِدِّ)، فالألعاب الرياضية وألعاب الطيران ليس فيها من اللهو شيء. وحتى في العمل المسرحي فإن (لعبَ الدور) لا يعني اللهو، بل هو أداء في غاية الجدية.

ج- أقر مجمع القاهرة هذه العبارة في الألفاظ والأساليب ١٤٣/٢.

## ٤- القرار:

جواز قولهم: (لعب الرجل دورًا هامًا) والأفضل أن يقال: (أدى دورًا هامًا).

(٤٢)

اللَّمْحَة

(لمحة إلى حياة فلان)

## ١- المسألة:

يخطئ بعضهم عبارة: لمحة إلى حياة فلان، لأن اللمحة هي النظرة العجلى، والصحيح لديهم: لمحة عن حياة فلان.

## ٢- الاقتراح:

جواز قولهم: لمحة إلى حياة فلان.

## ٣- التعليل:

جاء في تاج العروس وأساس البلاغة: "لَمَحَةٌ: إذا أبصره بنظرٍ خفيف، واللمحة: النظرة العجلى، يقال: رأيتُه لَمَحَةً البرق، أي قدر لمعة البرق من الزمان. ولمحْتُ إلى الشيء لَمَحاً إذا نظرتُ إليه باختلاس البصر".

فإذا استُعْمِلَ الفعل (لَمَحَ) بمعنى النظرة السريعة إلى الشيء صحَّ قولهم: "لمحة إلى حياة فلان"، كما جاء في (المنتقى).

## ٤- القرار:

جواز قولهم: "لمحة إلى حياة فلان".

(٤٣)

(ما فَعَلْتُ هذا أَبَدًا)

## ١- المسألة:

يُخَطِّئُ بعضهم عبارة: "ما فَعَلْتُ هذا أَبَدًا"، ويرون أنَّ الصواب أن يُقال: "ما فَعَلْتُ هذا قطُّ ولن أفعَلُهُ أَبَدًا" محتجين بأنَّ النحاة يجعلون الظرف (قطُّ) لتأكيد نفي الماضي، و(أبدًا) لتأكيد نفي المستقبل.

## ٢- الاقتراح:

جواز قولهم: "ما فَعَلْتُ هذا أَبَدًا" في صيغة نفي الماضي.



## ٣- التعليل:

أ- كلمة (أبدأ) تعني الدهر، والدهر ليس مقصوراً على ما مضى، أو ما سيأتي من الزمان. فما مضى دهر وأبد، وما يأتي دهر وأبد. بدليل المثل: "طال الأبد على لبّد" فالأبد هنا الزمن الماضي.

ب- ورد في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]. وأياً كان التفسير فإنّ (أبدأ) جاءت هنا لتوكيد نفي الماضي. ولا يُحتجّ هنا بأنّ الشرط مجاله المستقبل، ذلك أنّ قولهم: "لولا المطرُ هلكَ الزرعُ" يعني أنه امتنع في الماضي الهلاك لسقوط المطر، وكذا قولهم: "لو زرتني لأكرمُتكَ" تعني أنّه امتنع الإكرام لامتناع الزيارة، وزمان الحدثين في الماضي. قال أبو حيان: "الماضي ينتقل بعد حروف الشرط إلى المستقبل إلا إذا كان خبرها ماضياً، فإنّ حرف الشرط لا ينقلها عن المضي. وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنْ كُنْتُ فُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٣]، وتذكرة النحاة لأبي حيان ٤٨٤.

ج- وردت هذه الصيغة في قول المتنبي:

لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ      أَبَدًا، وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ

ولم يعترض أحدٌ من نقاد المتنبي ومتعقيه - على كثرتهم - على هذا الاستعمال.

د- أجازها مجمع القاهرة في الألفاظ والأساليب ٨٤ / ٢.

٤- القرار:

جواز قولهم: "ما فعلتُ هذاً أبداً"، وإن كان الأولى أن يقال:

"ما فعلتُ هذا قطُّ، ولكن أفعله أبداً".

(٤٤)

## (علاجٌ مجَّانيٌّ، بالمجَّان)

١- المسألة:

يخطئ بعضهم كلمة "المجَّان" وعبارة "علاجٌ مجَّانيٌّ" لأنهما لم تردا في المعاجم.

٢- الاقتراح:

عدم جواز قولهم: "المجَّان" وجواز قولهم: "علاجٌ مجَّانيٌّ".

٣- التعليل:

في اللسان والتاج: "المجَّان: عطية الشيء بلا ثمن. يقال: هذا الشيء لك مجَّانٌ أي بلا بدل، وأخذَه أو فعلَه مجَّاناً. والمجَّان أيضاً عطية الشيء بلا تمنن ولا منة".

وبذلك نرى أن العرب لم تُدخِل عليها حرف الباء لأنه متضمَّن في دلالتها الأساسية، أمَّا النسبة إليها في قولهم: "مجَّانيٌّ" فأمرٌ قياسي.

٤- القرار:

جواز قولهم: "علاجٌ مجَّانٌ ومجَّانيٌّ"، وعدم جواز قولهم: "المجَّان".

(٤٥)

## المديرون والمُدراء

## (اجتماع مُديرو المدارس)

١- المسألة:

يشيع بين الكتاب والإداريين كلمة "المُدراء" جمع تكسير لكلمة (مدير)، ويخطئها اللغويون لأن حقها أن تُجمع جمع سلامة على (مُديرين).

٢- الاقتراح:

تخطئة جمع (مدير) على (مدراء) جمع تكسير، والصواب (مديرون).

٣- التعليل:

الأصل أن تجمع صفات العاقلين المبدوءة بميم زائدة جمعاً سالماً، فيقال (مدير ومديرون). وهذا ينطبق على الكلمة موضوع البحث، أما الصفات المبدوءة بحرف أصلي فقد تجمع جمع سلامة أو جمع تكسير نحو (عَلِيم وعَلِيمِينَ وعُلَمَاء).

ب- ولكن بعض الكتاب توهّموا أصالة الميم في (مدير) فحملوها على مقارباتها اللفظية من الصفات نحو (كَرِيم وكُرْمَاء)، أو الصفات التي غلبت عليها الاسمية نحو (سَجِين وسُجَنَاء).

ج- ومع أن العرب عاملت الحرف المزيّد معاملة الحرف الأصلي أحياناً عند الاشتقاق، فقالت: (تَمْتَرَس)، صاغتها من (المِتراس)، والميم فيها زائدة لا أصلية، والقياس أن يقال: (تَتَرَس)، إلا أنه لم يُسمَع توهّم في الجمع فلا يُقاس عليه.

٤- القرار:

عدم جواز جمع (مدير) على (مُدراء)، والصواب (مديرون).

(٤٦)

المسبق

(الأبنية المسبقة الصنع)

١- المسألة:

يخطئ بعضهم عبارة "الأبنية المسبقة الصنع"، والصواب عندهم "الأبنية السابقة الصنع أو الأبنية المسبق إليها الصنع"، لأن الفعل (أسبق) فعل متعدّد به إلى.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: "الأبنية المسبقة الصنع" بمعنى "الأبنية التي سبق صنع أجزائها ثم رُكِّبت".

٣- التعليل:

جاء في لسان العرب: "أسبق القوم إلى الأمر وتسبقوا: بادروا..".

وجاء في التاج: "سبَّقه يسبِّقه ويسبِّقه: تقدّمه.. وأسبق القوم إلى الأمر: بادروا..".

وواضح من هذا أن الفعل (أسبق) متعدّد به إلى.

ولكن هل يلزم مما سبق استخدام اسم الفاعل واسم المفعول منه مقروناً

بحرف الجر؟

إننا نرى أن هذا الجار والمجرور يجوز حذفه لأنه مفهوم ومعلوم (وكل ما علم جاز حذفه) على حد عبارة ابن مالك. وآية ذلك أننا نقول في إعراب (أكرم الرجل الضيفَ): أكرمَ (فِعْلٌ)، والرجل (فاعله)، والضيف (مفعوله)، ولا يلزم قولنا: (مفعول به له).

ورد في القرآن الكريم: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، مع أن (استعان) يأتي متعدياً بالباء.

الأفعال اللازمة التعدية بحرف جر قد تستعمل في اسم المفعول مجردة منه كقولنا: (اشتدَّ عليه المرض.. وهذا المرض مشتدٌ.. ومرضه مشتدٌ.. ومرض هذا الرجل مشتدٌ) دون أن يذكر (عليه).

من معاني بناء (أفعل) الصيرورة كما في (أورق) إذا صار ذا ورَقٍ. ألا يمكن أن تحمل (أسبق) على معنى صار ذا سَبَقٍ، أي تقدَّم في الصنع كما في عبارتنا؟  
جاء في قرارات مجمع القاهرة: "يجوز تحويل الفعل الثلاثي المتعدي بحرف من حروف الجر إلى فعل متعدٍّ مباشرة إذا تطلبت ذلك حاجة علمية أو بلاغية".  
فإذا جاز تحويل الثلاثي، لم يبعد تحويل مزيد الثلاثي وللحاجة نفسها.  
٤- القرار:

جواز قولهم: "الأبنية المسبقة الصنع" بمعنى "الأبنية التي سبق صنع أجزائها ثم رُكِّبت"، ويضاف هذا المعنى إلى معاني الفعل "أسبق".

(٤٧)

## المصدقيّة

(ليس لكلامه مصدقيّة)

١- المسألة:

يخطئ بعضهم كلمة (مصدقيّة) لأنها لم ترد في المعاجم اللغوية، ويرون أن الصواب هو (مُصدّق) أو (صِدْقِيّة).

٢- الاقتراح:

جواز قولهم (مصدقيّة) بمعنى ما يصدّق القول، أو دليل الصدق.

٣- التعليل:

جاء في لسان العرب: "الصدق: نقيض الكذب. صَدَقَ يَصْدُقُ صِدْقًا وَصِدْقًا وَتَصَدَّقًا.. ورجل صِدْقٌ وامرأة صِدْقٌ وُصِفَا بالمصدر.. ورجل صَدَقٌ: نقيض رجل سَوَاءٍ.. وهذا مُصَدِّقٌ هذا أي ما يُصَدِّقُه. ورجلٌ ذُو مُصَدِّقٍ، يقال ذلك للشجاع. ومصدّق الأمر: حقيقته".

وجاء في التاج: "مُصَدِّقُ الشَّيْءِ: ما يَصَدِّقُه".

وجاء في أساس البلاغة: "وعنده مُصَدِّقٌ ذلك، وهو ما يَصَدِّقُه الدليل".

وواضح من هذا أن الكلمة التراثية المعجمية هي (مُصَدِّقٌ).

ولكن يمكن أن تُحمل كلمة (مصدقيّة) التي لم ترد في المعاجم على أنها مصدر صناعي من كلمة (مُصَدِّقٌ) التي فُسرَت بمعنى ما يصدّق أو دليل الصدق أو الحقيقة.

أ- ومعروف أن المصدر الصناعي يُبنى من جميع الكلمات حروفاً وأفعالاً وأسماء جامدة أو مشتقة بزيادة ياء مشددة وتاء، وأن هذا المصدر من تسمية المعاصرين، وأن فائدته أنه يدل على معنى مجرد لم يكن فيه قبل الزيادة، ف (الرجوليّة) تعني معنى الرجولة، ولكنها تضم إليها لوازم الرجولة من شهامة وحماية الذمار والنجدة مما لا تتحملة كلمة الرجولة وحدها، و (التقدميّة) لا تعني التقدم فحسب، بل وما يستلزم التقدم من منهج في التفكير والعمل والالتزام.

ب- وعلى ما تقدّم يمكن أن تُعدّ كلمة (المُصدّاقية) مصدراً صناعياً من مبالغة اسم الفاعل (مُصدّق)، فإذا قيل: (هذا رجل ذو مُصدّاقية) عنينا به أنه صادق مع ما قد يلزم تلك الصفة من خلق مثل الأمانة والشجاعة والحياء، أو أنه رجل ذو دلائل كثيرة على صدقه.

ج- مما قد يرد على كلامنا أنه ما دامت كلمة (مصدق) تؤدي المعنى المراد فما موجب لتوليد كلمة جديدة؟ فنقول إن التوسع في توليد الألفاظ المطابقة في المعنى لتلبية حاجة التعبير البلاغي أو الشعري أو لمجرد التجديد هو مذهب من مذاهب العربية. وإذا كان بعضنا يرى أن لا لزوم لقولنا (مصدقية) مع وجود (مصدق) التي تؤدي الدلالة نفسها، فلنا أن نتساءل عن حكمة العرب في تعدد المصادر والجموع إذا كان مصدر واحد أو جمع واحد كافياً، ولماذا جمعت العرب (الأجمة) على أجم وأجم وأجم وإجام وإجام ما دام جمع واحد يمكن أن ينوب عنها؟

د- أجازها مجمع القاهرة في الألفاظ والأساليب ٣/ ٨٠ بناء على دراسة للدكتور شوقي ضيف.

٤- القرار:

جواز قولهم (مصدقية) بمعنى ما يصدّق القول، أو دليل الصدق.

(٤٨)

من خلال

(عرفته من خلال كتبه)

١- المسألة:

يخطئ بعضهم عبارة "من خلال" بمعنى بوساطة أو بطريقة.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: "من خلال كذا" بمعنى بوساطة أو بطريقة.

٣- التعليل:

جاء في "المصباح المنير": "الحَلَل بفتح الحاء: الفُرْجَة بين الشيئين، والجمع

"خِلَال" مثل: جبل وجبال. وقد جاء "خلل" ظرفاً، قال الشاعر:

أرى خَلَلَ الرماد وميَّضَ جمرٍ ويوشك أن يكون له ضرامٌ

وجاء على الجمع في قوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥]

ولما كانت "خلال" بمعنى "أثناء" وتشاركها في الظرفية ويدخل عليها في

الأصل حرف الجر "في" فإنه يمكن أن يدخل حرف الجر "من" الدال على ابتداء

الغاية على "خلال"، ويصبح قولهم: عرفتُ فلاناً من خلال الجرائد، أي مبتدئاً

معرفته من خلال الجرائد.

٤- القرار:

جواز قولهم: "من خلال كذا" بمعنى بوساطة أو بطريقة.



(٤٩)

مَوْقُوتٌ وَمَوْقَاتٌ وَوَقْتِيٌّ  
(حُكُومَةٌ مَوْقَاتَةٌ وَوَقْتِيَّةٌ)

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال الإداري خاصة كلمات (مَوْقَاتٌ وَمَوْقَاتٌ وَمَوْقُوتٌ وَوَقْتِيٌّ). ويُحطَّى بعضهم استعمال كلمتي "مَوْقَاتٌ" (بالهمزة) و"وَقْتِيٌّ" (على النسب) والصواب عندهم: "مَوْقُوتٌ وَمَوْقَاتٌ".

٢- الاقتراح:

صحة استعمال: "مَوْقَاتٌ وَمَوْقُوتٌ وَوَقْتِيٌّ" وجواز استعمال "مَوْقَاتٌ" بالهمزة.

٣- التعليل:

جاء في اللسان "الوقت: مقدارٌ من الزمان. وكلُّ شيءٍ قدَّرت له حيناً فهو مَوْقَاتٌ.. ووقتٌ مَوْقُوتٌ ومَوْقَاتٌ: محدود.. ووقت الشيء يوقِّتُه، ووقته يقيته إذا بين حده. فنقول: وقته فهو مَوْقُوتٌ إذا بين للفعل وقتاً يفعل فيه. وأقَّتت بالهمزة، لغة. مثل: وُجوهٌ وأجوهٌ، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقَّتَّتْ﴾ [المرسلات: ١١]، اجتمع القراء على همزها، وهي في قراءة عبدالله (وُقَّتَّتْ)، وقرأها أبو جعفر (وُقَّتَّتْ) خفيفة بالواو. وإنما همزت لأن الواو إذا كانت أول حرف وضمَّت همزت، يقال: هذه أجوهٌ حسانٌ، لأنَّ ضمة الواو ثقيلة. وليس في اللسان (أَقَّتْ).

ب - وجاء في الوسيط: "وَقْتَهُ يَقْتُهُ: جَعَلَ لَهُ وَقْتًا يُفَعَّلُ فِيهِ... وَوَقْتَهُ جَعَلَ لَهُ وَقْتًا يُفَعَّلُ فِيهِ... وَوَقَّتَ الشَّيْءَ لِيَوْمٍ كَذَا: أَجَّلَهُ. وَقَدْ أورد الوسيط الجذر (أَقَّتَ) وأحال دون شرح إلى (وَقَّتَ) كأنه يريد أن يقول إن معناها هو (وَقَّتَ) ولكنه لم يذكر ذلك. وقال: "الوقت: مقدارٌ من الزمن قُدِّرَ لأمرٍ ما، جمعه أوقات".

وجاء في كتب العربية: "وأما إبدال الهمزة من الواو فعلى ضريين: مقيس وشاذ، فالقيس إبدالها من كل واو انضمت ضمّاً لازماً، نحو: وُجُوهٌ وأُجُوهٌ، ووُعِدَ وأُعِدَ، ووُقِّتَ وأُقِّتَ، والمسموع ما عدا ذلك، نحو: وشاخ وإشاح، ووِعَاءٌ وإِعَاءٌ".

د- يفهم من هذا أن "أَقَّتَ" لغة في "وَقَّتَ" في هذه الصيغة حصراً، أي إذا جاءت الواو مضمومة، وليس في كل تصريفات (وقت). والمعروف أن العرب تُبدل الهمزة واواً للتخفيف وليس العكس، فتقول: "أَكَّدَ ووَكَّدَ وَسُؤِّلَ وَسُؤِّلَ، وَسُؤِّمَ وَسُؤِّمَ".

هـ- وأما كلمة "وقتي ووقتيّة" بمعنى محدد الزمان أو الأجل، فهو استعمال قياسي صحيح، فالبناء نسبة قياسية إلى الوقت، ولكن الكتاب ولاسيما الفقهاء لم يستعملوها بمعنى محدد الأجل أو الزمان، بل بمعنى مقابل معنى (فائت) فيقال: "فَرَضَ وَقْتِي، وفَرَضَ فائتٌ". ولكن إذا كان "الوقت مقداراً من الزمان قُدِّرَ لأمرٍ ما"، فإن كلمتي: "وقتي ووقتيّة" صالحتان للدلالة على ما قُدِّرَ له زمان محدد. وهذا المراد بقولهم "حكومةٌ مَوْقَّتَةٌ أو وقية".

٤ - القرار:

صحة استعمال مَوْقُوتٌ ومَوْقَّتٌ ووقتي، وجواز استعمال "مَوْقَّت" بالهمزة.

(٥٠)

## الميوعة، الليونة، السيولة، الخصوبة، العمولة

١- المسألة:

جرى على الأقسام قولهم: الميوعة، الليونة، السيولة، الخصوبة، العمولة.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: الميوعة، الليونة، السيولة، الخصوبة، العمولة.

٣- التعليل:

في المعاجم: "ماع الماء يميع ميعاً، ولان يلين ليناً ولياناً، وأخصب خصباً وإخصاباً واختصاباً، وسال سيلاً وسيلاناً ومسلاً ومسالاً، وعمل يعمل عملاً".  
وقد ورد في المعاجم: "السهولة، والخشونة".

وقد استخدمت بعض المصادر على (الفُعولة) في الأساليب والمصطلحات المعاصرة، فكُتِب علم الزيوت والبتروك تستخدم: ميوعة السوائل وسيولة السوائل، والمعجم الطبي الموحد وضع الخصوبة مقابل: fertility، والوسيط ذكر العمولة.

وقد عُرِضت هذه الكلمات وأمثالها على مجمع اللغة العربية بالقاهرة فأقر صوغ مصدر (فُعولة) من كل فعل ثلاثي بتحويله إلى الباب الخامس: (فعل - يفعل) إذا احتملت دلالاته الثبوت والاستمرار. (في أصول اللغة ٢ / ٨٩، ٨٠)

٤- القرار: جواز قولهم: ميوعة، وليونة.

(٥١)

النُّبْذَة

(نُبْذَة من حياة فلان)

١- المسألة:

يخطئ بعضهم عبارة: نُبْذَة من حياة فلان، لأن (النُّبْذَة) عندهم مشتقة من (النَّبْذ) وهو الطَّرح والتَّرحية.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: نُبْذَة من حياة فلان، أو نُبْذَة من مقالة فلان.

٣- التعليل:

جاء في اللسان والتاج: "النَّبْذ: الشيء القليل. يقال: ذهب ماله وبقي نَبْذُ منه ونُبْذَة، أي شيءٌ يسير". فالنُّبْذَة: القطعة من الشيء. يقال: نُبْذَة من كتاب أو نُبْذَة من رواية أو قصة. والنَّبْذ بالفتح من معانيه: الشيء القليل اليسير. فإذا قلت: "نُبْذَة من حياة فلان"، وأنت تريد تقديم شيء مختصر عنه صحَّ قولك على معنى أنك تقدم قطعة من حياته أو سيرته.

٤- القرار:

جواز قولهم: "نُبْذَة من حياة فلان، أو نُبْذَة من مقالة فلان".

(٥٢)

النزيف

"أوقف الطبيب النزيف"

١- المسألة:

يخطئ بعضهم عبارة: "أوقف الطبيب النزيف" لأن (النزيف) هو من سال دمه غزيراً فضعف. والصواب عندهم أن يقال: "أوقف الطبيب النزف".

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: "أوقف الطبيب النزيف" بمعنى أوقف خروج الدم من الجرح.

٣- التعليل:

جاء في التاج: "نَزِفَ فلان دَمَهُ: سال حتى يُفْرِطَ.. نَزَفَ فلان دمه نزفاً: استخرجه بحجامة أو فصد".

وجاء في الوسيط: "نَزَفَ الشيء ينزِفُ نزفاً: نَفَدَ وفِيَّ.. ونَزِفَ فلان: سال دمه من جرح أو علة حتى ضعف.. والنزيف: الذي سال دمه غزيراً فضعف. والنزيف: خروج الدم غزيراً من الأنف أو الفم أو نحوهما لعله أو جرح. (مجمع)". ويفهم من هذا أن مجمع القاهرة أجاز كلمة (النزيف) مصدراً إلى جانب المصدر المسموع وهو (النزف). ومعروف أن بناء (فَعِيل) في المصادر يأتي لما يدل على حركة أو سير أو صوت، وليس هذا ببعيد من دلالة النزيف.

٤- القرار:

جواز قولهم: "أوقف الطبيب النزيف" بمعنى أوقف خروج الدم من الجرح، والأولى أن يقال: (النزف).

(٥٣)

## الواجهة

(واجهة البيت، واجهة الأحداث)

١- المسألة:

تشيع في الاستعمال المعاصر كلمة (الواجهة) للدلالة على الوجه المطلق على الشارع من بناء أو محل تجاري، وتستعمل مجازاً للدلالة على مقدمات الأشياء والأمور كقولهم: "واجهة الأحداث". ولم ترد هذه الكلمة في المعاجم القديمة.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم (الواجهة) للدلالة على الوجه المطلق على الشارع لبناء ونحوه، أو على مقدمة الأشياء الظاهرة.

٣- التعليل:

أ- جاء في اللسان وقريب منه في التاج: "الوجه: مستقبل كل شيء.. وجه البيت: الخد الذي يكون فيه بابُه.. تَجَّهْتُ إليه أَنَّجُهُ أي توجَّهْتُ، لأن أصل التاء فيها واو. والمواجهة المقابلة"

وجاء في المعجم الوسيط: "واجهه مواجهة: قابل وجهه".

ب- يُفهم من هذا أن العرب استعملت الفعل (وجه) الثلاثي بمعنى (التوجه)، واستعملت (واجه) المزيد بمعنى: قابل وجهه. فالواجهة والوجه تعني مقابلة الوجه.

فإذا صح فعل (وَجَه) الثلاثي المجرد فإن كلمة (الواجهة) هي اسم فاعل منه، ولما كان (فَعَلَ) الثلاثي قد يأتي بمعنى (فَاعَلَ) نحو: واعدتُ زيداً ووعدتُه، ودافعتُ عنه ودفعتُ عنه، وجاوزتُه وجُزئتُه، أمكن أن يأتي (وَجَه) بمعنى (واجَه)، واسم الفاعل (واجهة) بمعنى (مواجهة)، فكأن أصل الكلمة قولهم: "الناحية الواجِهَة من البناء" أي المواجهة والمقابلة للوجه، فاستغني بالصفة عن الموصوف فغلبت عليها الاسمية فقيل: (الواجهة).

تكررت هذه الكلمة مئات المرات في نصوص ما بعد عصر الاحتجاج، ومن أمثلة ذلك:

قول الهيثمي في (تحفة المحتاج في شرح المنهاج): "وأفتى أبو زرعة في علوِّ وقفٍ أراد الناظر هدم واجهته وإخراج رواشن له في هواء الشارع بامتناع ذلك إن كانت الواجهة صحيحة" ج ٣٦ / ٣.

قول العيني في (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان): "تصدى الأمير لعبارة الجامع الأزهر وإصلاح مئذنته وإصلاح الواجهة التي وقعت" ٤٢٩ / ١.

قول السخاوي في (الضوء اللامع): "أحد نواب الخليفة بمجلس الواجهة من بولاق" ٤٣٩ / ٦.

٤- القرار:

جواز قولهم (الواجهة) بمعنى الوجه المطلق على الشارع أو مقدمة الأحداث.



# الكتبُ والمجلاتُ المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

أنور درويش (\*)

## أ - الكتب العربية

- أسماء لغوية: محمد المكي بن الحسين، تحقيق: علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، دمشق، ١٩٩٧.

- الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة لـ محمد سعيد العامودي، نشر: عبد المقصود خوجه، جدة، ٢٠١٢.

- الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة لـ حسين سرحان، نشر: عبد المقصود خوجه، جدة، ٢٠١٢.

- أمثال عربية: محمد المكي بن الحسين، تحقيق: علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، دمشق، ١٩٩٧.

---

(\*) أمين المكتبة العربية في المجمع



- حكم وأخلاق عربية: محمد المكي بن الحسين، تحقيق: علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، دمشق، ١٩٩٧.
- عاصفة السلام: كمال السيد: مطبعة أنصاريان، قم، ط ٣، ٢٠٠٤.
- فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي، أحمد الصديق الغماري، مطبعة أنصاريان، قم، ٢٠١٢.
- قضايا ومبدعون: حسين جمعة، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ٢٠١٢.
- كتاب الإثنية (ج ٢٨، مج ٢)، عبد المقصود خوجه، جدة، ٢٠١١.
- كلمات للاستعمال: محمد المكي بن الحسين، تحقيق: علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، دمشق، ١٩٩٧.
- محمد المكي بن الحسين حياته وشعره: علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، دمشق، ١٩٩١.
- من القدس إلى غزة: حسين جمعة، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ٢٠١٠.
- موسوعة العامية: ياسين عبد الرحيم، وزارة الثقافة بدمشق، ٢٠١٢.
- نواذر في اللغة: محمد المكي بن الحسين، تحقيق: علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، دمشق، ١٩٩٧.



## ب- النشرة الاجنبية

ربي المعدني (\*)

### Books:

- Rôles masculins: masculinités et violence, UNESCO.
- AL-Mawrid (A-E)(Dictionary)/Munir Baalbaki.
- AL-Mawrid (E-A)(Dictionary)/Munir Baalbaki.
- Collins york Dictionary (E-E).
- Oriental Languages in Translation/Anna Krasnowolska and others.
- Anthology of Poems/ Abdelaziz Saoud EL Babtine.
- Epanchment Rustique.
- JICA: Annual Report.
- Asp Net List of Participing Institutions/UNESCO.

### Periodicals:

- Journal of Asian and African Studies, No.85, 2013.
- Le Muséon: Journal of Oriental Studies, Tome 125,Fas.3-4,2012.
- AWRAQ, N.5-6, 2012.
- Ibla: Revue de l'Institut des Belle-lettres arabes, 75e Année, N. 210, 2012-2.



# الفهارس العامة للمجلد السابع والثمانين

## أ- فهرس أسماء كتاب المقالات

٥٩٩	أ. إبراهيم الزبيق
٨٣٩	أ. آيات الصالح
٨٦٧، ١٧٥	أ. بشار بكور
١٥١	أ. محمد خالد الفجر
٢٠٧	أ. ناصر توفيق الجباعي
١١٣٥	د. إبراهيم عطية
٧٢٧، ٤٤٥	د. أحمد علي محمد
٤١٩	د. المعتز بالله السعيد طه
٩٩٣	د. أنور الخطيب
٥٧٧	د. أيمن الشوا
٥٣	د. خالد سليمان الياسين
٧٧٩	د. خليل محمد أيوب
١٠٤٣	د. سمر الديوب

٣٨٣	د. سمير أحمد معلوف
٣٥٩	د. طارق الجنابي
٧٥٥	د. عادل الفريجات
١١٢٥، ٥٢٩	د. عبد الإله نبهان
١٠٩٧	د. عبد البديع النيرباني
٨٠٧	د. عبد الحلیم عبدالله
٨٥	د. عيسى العاكوب
٤٦٩	د. فوزية علي زوباري
١١٢٣، ٨٩٣، ٢٧٧	د. مازن المبارك
١٠٢٥	د. محمد الأمين بو علي
١٠٧١، ٦٨٩، ٥٦١	د. محمد رضوان الداية
١١٥٥، ٨٩٩، ٥٠٣	د. محمود الحسن
٩٤٣، ٦٣٧، ٣٠٧، ٧	د. محمود السيد
١١٤٩، ٨٦١، ٦٩٥، ٢٤٣	د. مكّي الحسني
٩٦٩، ٦٦١، ٣٣٣، ٣١	د. ممدوح خسارة
١٢٩	د. وليد محمد السراقبي



## ب- فهرس عناوين المقالات

- ٣٣٣ الأسماء المنتهية بواوٍ مضمومٍ ما قبلها
- ٣٥٩ أبو حاتم السجستاني في ضوء المذكر والمؤنث
- ٩٩٣ أتنيات نباتية عربية (ايتنوبوتاني Ethnobotany)
- ٢٨٧ أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في مطلع عام ٢٠١٢
- ٣٨٣ التشبيه المجازي
- ٣١ التعريب طريق العربية إلى العالمية
- ٣٠٧ الثقافة العلمية من متطلبات العصر
- ٨٠٧ الجملة بين الإسناد والاستقلال الدلالي
- ٢٧٧ الدكتور عبد الكريم الأشر، عضو شرف في مجمع اللغة العربية
- ٥٩٩ السلطان نور الدين والقبر النبوي الشريف
- ٦٩٥ السنّة القمرية والتقويم الهجريّ
- ٧٢٧ الشّعراء المُوسِّسونَ في التراث العربي
- ٤٤٥ الصورة التشبيهية في شعر الخباز البلدي
- ٥٠٣ الضَّبَط اللُّغويّ: تاريخه وأصوله
- ٧٥٥ العولمة والعربية... علاقة تفاعلية
- ٦٢٩ الكتب المهداة إلى مكتبة المجمع في الربع الأول من عام ٢٠١٢م
- ٩٣٣ الكتب المهداة إلى مكتبة المجمع في الربع الثاني من عام ٢٠١٢م
- ١١٩٨ الكتب المهداة إلى مكتبة المجمع  
في الربعين الثالث والرابع من عام ٢٠١٢م

- ١٠٧١ الكيواني الدمشقي أحمد بن الحسين
- ٦٣٧ اللغة العربية واللغات الأجنبية  
وموقعها في التعليم العام في الوطن العربي
- ٦٨٩ المظاهر اللغوية والأسلوبية في شعر محمد البزم
- ٤٦٩ المعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام الطائي
- ٦٦١ المكتبة العربية الإلكترونية الجامعة عصر التدوين الثاني
- ٨٣٩ الوقف وأثره في التأويل النحويّ عند أبي حيّان
- ٩٦٩ تجديد الدرس الصرّي بناء (فَعْلَن) وجواز تقييسه
- ٩٣٧ تصحيحات المجلد ٨٧ / ٢
- ١١٢٣ تعريف بكتاب: «القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية» لابن طولون
- ٨٩٩ تعريف بكتاب: «النُّكْت في القرآن» للمجاشعي (ت ٤٧٩هـ)
- ٢٤٣ تعقيب على «نقد صفحات لغوية»
- ٥٣ دراسة (إذْن) من أدوات المعاني في ضوء أقوال النحويين المفسرين
- ١٠٤٣ دراما الحركة والثبات في نونية ابن مقبل
- ٨٥ دَرَسُ إيزوتسو القرآنيّ في مرآة عربيّة
- ١٠٢٥ رسالة ابن كمال باشا في بيان أن صاحب علم المعاني يشارك اللغوي  
في البحث عن مفردات الألفاظ
- ١٢٩ رسالتان نادرتان لابن كمال باشا
- ٨٩٣ سليم الجندي وخدمة اللغة العربية
- ٤١٩ شبكة الكلمات العربيّة «المنهجية والتّطبيق»
- ١٠٩٧ شهادة العروض على مسائل في علم الأصوات

- ١١٤٩ صفحة لغة: السَّوْءُ والسُّوْءُ
- ٨٦١ صفحة لغة: عِبْرَ
- ٥٧٧ غيرُ المُطَرِّدِ في القراءات القرآنية
- ١٢٠١ فهارس المجلد السابع والثمانين
- ١١٥٥ قراءة الشعر وأثرها في الاستقرار النفسي
- ٥٦١ قراءة في تحقيق: «البديع في وصف الربيع»
- ١١٣٥ قراءة في كتاب المدارس اللسانية
- ١١٧٧، ٩٠٩، ٦٠٧ قرارات مجمع اللغة العربية في الألفاظ والأساليب عامي  
٢٠١٠-٢٠٠٩ م
- ٢٠٧ قضية النَّحْلِ عند أبي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بنِ الْمُثَنَّى
- ٥٢٩ مختار تذكرة أبي عليِّ الفارسيِّ لابن جنِّي
- ٧ مستقبل اللغة العربية ومتطلبات العصر القادم
- ٩٤٣ مشكلات اللغة العربية
- ١١٢٥ معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة
- ٨٦٧ مقدّمات الكُتُب: من خَبِيءٍ فَوَائِدُهَا وَمَكْنُونُ نَفَائِسِهَا
- ١٧٥ من مزاعم العرب في الجاهلية
- ٧٧٩ من مظاهر الافتراق الأسلوبي بين القرآن والحديث
- ١٥١ نظرية معاجم الحقول الدلالية وإرهاصاتها



